كتاب انشاء الدوائر

وكتاب عقلة المستوفز

وكتاب التدبيرات الإلهية في اصلاح المملكة الإنسانية

الشيخ الأكبر محيي الدين

محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

كتاب إنشاء الدوائر

الشيخ الأكبر محيي الدين
محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

كتاب انشاء الدوائر للشيخ الأكبر

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي خلق الإنسان على صورته وخصّه بسريرته ، وجعل المضاهاة والمباهاة مقدّمتين ، لتصحيح نتيجة معرفته فطورا يضاهي به حضرة ذاته وصفاته وطورا ، يضاهي به حضرة مخلوقاته والصلاة على النبىّ الجامع للمبادئ الأوّل والمقابل ، حضرة الأزل النور الساطع الّذي ليس له فيء والمستور ، خلف حجاب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ذلك حقيقة الحقائق والنّشء ، الأوّل المبرز ، على ، صورة المخلوقات والخالق منه من باب الشكل ومنه من باب الحقيقة ومنه من باب الاسم والوصف ومنه من باب الخلائق محمّد صلّى الله عليه وعلى ، آله وصحبه وسلّم ، وشرّف وكرّم .

أمّا بعد فإنّ الله سبحانه لمّا عرّفنى حقائق الأشياء .

على ما هي عليه في ذواتها وأطلعنى كشفا على حقائق نسبها وإضافاتها ، أردت أن أدخلها في قالب التشكيل الحسّىّ ليقرب مأخذها على الصاحب ، الولىّ عبد الله بدر الحبشي وليتّضح لمن كلّ بصره عن إدراكها ولم تسبح درارىّ أفكاره في أفلاكها فيتبيّن له من أين مرتبته في الوجود ، وما الشرف الّذي تحصّل له حتّى خضعت له الملائكة بالسجود .

وإذا سجد له الملك الكريم الأخلص فما ظنّك بالملإ الأسفل الأنقص ألا ترى خبر الحقّ الصدق عنه حيث قالوَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُوأدخل العالم كلّه أجمع ، تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع فما من ملإ أعلى إلّا بك مستعل ، وما من ملإ أدنى إلّا يتضرّع إليك ويبتهل فهم بين مستغفر لك ومصلّ عليك ، وملك سلام يوصله من الحقّ تعالى إليك .

وإذا كان السيّد الحقّ يصلّى عليك فكيف بملائكته وإذا كان ناظرا لك فما ظنّك بخليفته وما من فاكهة ونعمة عند تناهيها إلّا متضرّعة لك خاضعة أن تؤدّى لك ما أودع الله من المنافع فيها فما في الوجود كلّه حقيقة ولا دقيقة إلّا ومنك إليها ومنها إليك رقيقة فعدد الرقائق على عدد الحقائق والدقائق .

فلو لا ما صحّ لهذا الإنسان أحسن تقويم وفطر على صورة القديم واستخرج من

قصيراه الحقّ لمّا سكن له وبه تعشّق لمّا صحّ عنه وجود خلق ولا دان له الملأ الأعلى ولا ظهر بالموقف الأجلى ولا عنت له وجوه الأملاك ولا دارت بنفسه أجرام الأفلاك فاشكر الله ثانيا .
يا أيّها الإنسان على ما خصّك به الجواد الرحمن من كمال هذه النصبة وأوقفك على معاني حقائق هذه النسبة فابحث عن وجودك
وأين مرتبتك من معبودك وميّز بينك وبين عبيدك فانّك إن فعلت هذا حشرت في الاستواء الرحمانيّ والإنباء الربّانيّ

وهذا قد أوضحت لك في هذا الكتاب الّذي سمّيته إنشاء الدوائر الإحاطيّة على مضاهاة الإنسان للخالق والخلائق في الصّور المحسوسة والمعقولة والخلائق
وتنزيل الحقائق عليه في أنابيب الرقائق فنصبت الأشكال وضربت الأمثال وبيّنت ما هو في الإنسان بما هو إنسان وما فيه بما هو صاحب إيمان أو إحسان تقريبا للفهم وتوصيلا للعلم ومن موجد الكون نسأل التأييد والعون بمنّه وكرمه فصل

في الوجود والعدم

واعلموا وفّقكم الله لطاعته وجعلكم من الفائزين بمعرفته برحمته أنّه لمّا كان الغرض في هذا الكتاب أين مرتبة الإنسان في الوجود ومنزلته في حضرة الجود وبروزه من غيبه بعينه وهل كان متّصفا بحال قبل كونه احتجنا أن نتكلّم على العدم والوجود ولما ذا يرجعان وهل بين ذلك الوجود والعدم ما لا يتّصف بهما أمّ لا .

فجعلت هذا الفصل لهذا الأمر ومعرفته ثمّ بعد ذلك إن شاء الله ننشئ الدوائر والجداول ونمدّ الرقائق والحبائل ونبرز الأصول والفروع ونفرق بين المفروق والمجموع وما يتعلّق بهما من الأسماء

وأين الأرض من الإنسان والسماء وكيفيّات التجليّات وترتيبها على المقامات كلّ ذلك وأشباهه في أبواب مبوّبة في هذا المجموع وأشكال منصوبة بصناعة عمليّة ليقرب على الطالب مأخذ الفوائد والمعاني منها ويتصوّر المعنى في نفسه صورة ما نجسّده تسهل عليه العبارة عنها لقوّة حصولها في الخيال

ويحرص الناظر على استيفاء النظر حتّى يقف على كلّيّته معانيها إن المعنى إذا أدخل في قالب الصورة والشكل تعشّق به الحسّ وصار له فرجة يتفرّج عليها ويتنزّه فيها فيؤدّيه ذلك إلى تحقيق ما نصب له ذلك الشكل وجسّدت له تلك الصورة

فلهذا ما أدخلناه في التصوير والتشكيل فاعلم أنّ الوجود والعدم ليسا بشيء زائد على الموجود والمعدوم لكن هو نفس الموجود والمعدوم لكنّ الوهم يتخيّل أنّ الوجود والعدم

صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم ويتخيّلهما كالبيت والموجود والمعدوم قد دخلا فيه.

ولهذا تقول قد دخل هذا الشيء في الوجود بعد أن لم يكن وإنّما المراد بذلك عند المتحذلقين أنّما معناه أنّ هذا الشيء وجد في عينه

فالوجود والعدم عبارتان عن إثبات عين الشيء أو نفيه ثمّ إذا ثبت عين الشيء أو انتفى فقد يجوز عليه الاتّصاف بالعدم والوجود معا وذلك بالنسبة والإضافة فيكون زيد الموجود في عينه موجودا في السّوق معدوما في الدار

فلو كان العدم والوجود من الأوصاف الّتى ترجع إلى الموجود كالسواد والبياض لاستحال وصفه بهما معا بل كان إذا كان معدوما لم يكن موجودا
كما أنّه إذا كان أسود لا يكون أبيض وقد صحّ وصفه بالعدم والوجود معا في زمان واحد هذا هو الوجود الإضافيّ والعدم مع ثبوت العين

فإذا صحّ أنّه ليس بصفة قائمة بموصوف محسوس ولا بموصوف معقول وحده دون إضافة فيثبت أنّه من باب الإضافات والنسب مطلقا مثل المشرق والمغرب واليمين والشمال والأمام والوراء فلا يخصّ بهذا الوصف وجود دون وجود
فإن قيل كيف يصحّ أن يكون الشيء معدوما في عينه يتّصف بالوجود في عالم ما أو بنسبة ما فيكون موجودا في عينه معدوما بنسبة ما فنقول نعم لكلّ شيء في الوجود أربع مراتب إلّا الله تعالى

فإنّ له في الوجود المضاف ثلث مراتب **المرتبة الأولى** وجود الشيء في عينه وهي **المرتبة الثانية** بالنظر إلى علم الحقّ بالمحدث
والمرتبة الثانية وجوده في العلم وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا
والمرتبة الثالثة وجوده في الألفاظ
والمرتبة الرابعة وجوده في الرقوم ووجود الله الحقّ تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم
هذا هو الإدراك الّذي حصل بأيدينا اليوم ولا أدرى إذا وقعت المعاينة البصريّة المقدّرة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علم إثبات أو مزيد وضوح في جنس العلم الّذي بأيدينا اليوم منه في علمنا به سبحانه

فإن كان كذلك فليس له إلّا ثلث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتا في الدار الآخرة أو حيث وقعت المعاينة لمن وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة فتحقّق هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه

فإنّها نافعة في الباب ثمّ هذه المراتب بالإضافة إلينا كما قدّمنا بتقدّم وجود العين أو وجود ما يماثل العين أو وجود أجزاء العين مبدّدة غير مجموع بعضها إلى بعض بالإضافة إلى شكل ما يخترعه العاقل
كلّ هذا لا بدّ من تقديمه أعنى واحدا منها ثمّ بعد هذا ينضبط في العلم ويتصوّر في الذهن هذا بالإضافة إلينا وبالإضافة إلى الله تعالى
إنّما العلم متقدّم من غير زمان بالشيء قبل عينه فوجود الشيء المحدث في علم الله تعالى قبل وجود الشيء في عينه ومتقدّم عليه

غير أنّ ثمّ سرّا سنؤمى إليه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى ونبيّن لك أنّ وجود العين يتقدّم على وجود العلم بالمرتبة ويساويه في الوجود أزلا لا من جهة كونها محدثة وهذا في حقّ الحقّ وأمّا في حقّ الخلق فسنبيّن لك أنّ إدراك الحقّ للموجود في عينه تفصيلا أنّه قد كانت له حالة ما بالنظر إلى أمر ما لا يتّصف فيها بالوجود ولا بالعدم مع عدمه في عينه
ثمّ نرجع ونقول فامّا تبيين تلك المراتب الأربع المتقدّمة فهي أن نقول زيد باللسان فنعقل معناه أو نرقمه في الكاغد زيد فنعقل معناه أو يظهر في عينه فنعقل معناه أو نتخيّله في أنفسنا وهو غير حاضر فنعقل معناه
وهذا هو الوجود في العلم فكلّ واحدة من هذه المراتب متّحدة المعنى لم يزد باختلافها معنى في زيد فكلّ شيء قديم أو محدث لا يخلو من أن يكون في بعض هذه المراتب أو في كلّها
فإذا تقرّر هذا وثبت أنّه الحقّ فنقول أنّ الإنسان قديم محدث موجود معدوم أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود في العلم .
القديم متصوّر فيه أزلا وهي من بعض مراتب الوجود المذكورة وأمّا قولنا محدث فإنّ شكله وعينه لم يكن ثمّ كان فيخرج من هذا أنّ زيدا موجود في العلم موجود في الكلام معدوم في العين أزلا مثلا فقد تصوّر اتّصافه بالوجود والعدم أزلا
فصحّ من هذا أنّ الوجود ليس بصفة للموجود وإذ قد تقرّر هذا فبقي لنا أن ننظر بما ذا

يتعلّق العلم هل بالموجود أو بالمعدوم ولا نعلم ذلك ما لم نعلم ما هو العلم وإلى ما ذا تنقسم المعدومات
فنقول أوّلا أنّ العلم عبارة عن حقيقة في النفس تتعلّق بالمعدوم والموجود على حقيقته الّتي هو عليها أو يكون إذا وجد فهذه الحقيقة هي العلم والمعدومات

تنقسم أربعة أقسام :

معدوم مفروض لا يصحّ وجوده البتّة كالشريك والولد للإله والصاحبة له ودخول الجمل في سمّ الخياط

ومعدوم يجب وجوده وجوبا ترجيحيّا اختياريّا لا اضطراريّا كشخص من الجنس الواحد وكنعيم الجنّة للمؤمنين
ومعدوم يجوز وجوده كعذوبة ماء البحر في البحر ومرارة الحلو وأشباه ذلك
ومعدوم لا يصحّ وجوده قطعا اختياريّا لكن وجود شخص من جنسه

وهذا كلّه أعنى ما يجوز وجوده وما لا يصحّ اختيارا إنّما أريد به الشخص الثاني من الجنس فصاعدا على أنّ الحقيقة تثبت الإرادة وتنفى الاختيار كما تثبت العلم وتنفى التدبير
وإن كان ورد في السمع" يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" ، وورد "و َرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ " ولكن من وقف على سرّ وضع الشريعة عرف موضع هذا الخطاب بالتدبير والاختيار
وسأبيّنه إن شاء الله تعالى في كتابي هذا
أنّه سبحانه مريد غير مختار وأنّه ما في الوجود ممكن أصلا
وأنّه منحصر في الوجوب والاستحالة
وأنّه كلّما ورد في القرآن من قوله ولو شئنا ولو شاء اقتران المشيئة بحرف الامتناع لسبب موجود قديم يستحيل عدمه فيستحيل ضدّ مشيئته فخرجت المشيئة عن بابها المعقول في العادة إلى بابها المعقول في الحقيقة فمهما ذكرت في كتابي هذا ما يدّل على الإمكان أو الاختيار أو التدبير

وغير ذلك ممّا تأباه الحقائق فإنّما أسوقه للتوصيل والتفهيم الجاري في العادة وصاحب الحقيقة يعرف مرتبة الموضوعات ومعه أتكلّم في الحقائق وإيّاه أخاطب ومن نزل عن هذه الحقائق فإنّه يحمل الكلام على ما استقرّ في عرف العادة الّذي يتخيّل فيه أنّه حقيقة فيقبل كلّ واحد منهما المسألة

ولا يرمى بها لكن من وجهين مختلفين وبينهما ما بين مفهوميهما فإذا علمت هذا فالعلم لا يتعلّق من هذه الأقسام إلّا بالثلاثة
وأمّا المعدوم الّذي لا يصحّ وجوده البتّة فلا يتعلّق به علم أصلا لأنّه ليس شيئا يكون فالعلم إذا لا يتعلّق إلّا بموجود ولا يتعلّق بمعدوم رأسا

إذ العدم المحض لا يتصوّر تعلّق العلم به لأنّه ليس على صورة ولا مقيّد بصفة ولا له حقيقة تنضبط إلّا النفي المحض والنفي المحض لا يحصل منه في النفس شيء
إذ لو حصل لكان وجودا والعدم من جميع الجهات لا يكون وجودا أبدا فإنّ الحقائق لا سبيل إلى قلبها ألا ترى علمك بنفي شريك عن الله تعالى

إن تأمّلت إلى ما تقدّر لك في نفسك وما انضبط لك في قلبك من نفى الشريك فما تجد في النفس شيئا إلّا الوحدانيّة وهي موجودة وهي الّتي ضبطتها النفس وإن أبيت قبول

هذا وعسر عليك فارجع إلى نظر آخر وهو أنّ الشريك معلوم عندك موجود في عينه في المحدثات في حقّ زيد
فتلك النسبة الّتي أضفت بها الشريك إلى زيد موجودة هي بعينها لم تضفها إلى الله تعالى فانظر علمك بالمحال راجعا إلى العلم بأجزاء متفرّقة موجودة
ولولا ذلك ما عقلت نفيها عن الله تعالى فمهما تصوّر لك العلم بعدم ما فليس عندك إلّا العلم بوجود ضدّه أو بوجود الشرط المصحّح لنفيه أو بأجزاء موجودة في العالم نفيت نسبتها وإضافتها الموجود ما لحقيقة ذاتيّة موجودة

لذلك الموجود هو عليها علمتها أنت فنفيت عنه ما منعت تلك الحقيقة قبول ما اتّصف بها لذلك وأثبتّها لآخر لحقيقة أيضا موجودة يتّصف هذا الموجود الّذي أثبتّها له بها فتحقّق هذه المسألة فإنّها نافعة إن شاء الله تعالى
وهذا هو القسم الواحد من أقسام المعدومات وما عداه فقد جعلناه إمّا وجوبا أو جوازا أو محالا اختيارا مع فرض وجود شخص من الجنس فكلّها راجعة إلى الوجود وما كان راجعا إلى الوجود فالعلم يضبطه ويحصّله

واعلم أنّ الإنسان لولا ما هو على الصورة لما تعلّق به العلم أزلا إذ العلم المتعلّق أزلا بالحادث إنّما حصل ولم يزل حاصلا بالصورة الموجودة القديمة الّتى خلق الإنسان عليها والعالم كلّه بأسره على صورة الإنسان فهو أيضا على الصورة الّتى خلق الإنسان عليها فالعلم إنّما يتعلّق بالمعدوم لتعلّقه بمثله الموجود فافهم

فإذا تقرّر هذا فقد يمكن أن تحدس في النفس أن تقول لي إنّى أريد أن أعلم من أيّ طريق يتعلّق العلم بالمعلوم المعدوم الّذي يجوز وجوده
فإنّى فهمت من كلامك أنّه لا بدّ من الرؤية وحينئذ يحصل العلم في زمان الرؤية أو في تقدير زمان إن كان الرائي لا يجوز عليه الزمان
وإنّما المراد حصول العلم عند رؤية المعلوم بالإدراك البصرىّ أو مثل البصرىّ أو مثل المعلوم أو أجزاء المعلوم .

فلتعلم أنّ الأمر كما فهمت وأشرت إليه كذا هو عندي في حقّ كلّ عالم سواء ولا أحاشى من الأقوام من أحد .
غير أنّى سأنبّهك على ما سكّت عنه من الاعتراض أدبا منك وخوفا على القلوب العمى الّذين لا يعقلون ولمعرفتك تتفطّن لما أومأت إليه رمزا فاعلم أنّه ليس من شرط تعلّق العلم بالمعلوم عند الإدراك أن تكون أشخاص ذلك الجنس موجودة في أعيانها

لكن من شرطها أن يكون منها موجود واحد أو أجزاء في موجودات متفرّقة بجمعها يظهر موجود آخر فتعلمه وما بقي معدوما

فهو مثل له فعلمك إذا إنّما تعلّق رؤيتك بذلك الموجود وتلك الحقيقة وليس سماع الأصوات معرفة أعيانها
وإنّما تعرف عينها من باب الرؤية وهكذا كلّ معلوم على مساق ما تقدّم فما بقي معدوما فمدرك حقيقة عندك إدراكا صحيحا لأنّه مثل أمّ أجزاء موجودات لا سبيل إلى هذا
وضرورة أنّ كلّ عالم أحاطه من غير تخصيص موجود في نفسه وعينه عالم بنفسه مدرك لها وكلّ معلوم سواه إمّا أن يكون على صورته بكمالها فهو مثل له أو على بعض صورته فمن هذا الوجه يكون عالما بالمعلومات
لأنّه عالم بنفسه وذلك العلم ينسحب عليها انسحابا خذ هذا عموما في كلّ موجود ولا تقيّد غير أنّك يجب عليك التحفّظ من التشبيه إن دخلت إلى الحضرة الإلهيّة والتمثيل

فهذا هو إدراك المفصّل في المجمل وأمّا نحن فما أدركنا المجمل إلّا من المفصّل الحادث الحاصل في الوجود ثمّ أدركنا في ذلك المجمل تفصيلا مقدّرا يمكن أن يكون وأن لا يكون فتفهّم ما أومأنا إليه في قولنا عموما في كلّ موجود

ولا تقيّد فإنّه من وجد على صورة شيء فذلك الشيء أيضا على صورته فبنفس ما يرى صورته رأى من هو على صورته
وبنفس ما يعلم نفسه علم من هو على صورته لا يلقصه من ذلك شيء
فإذا تحصّل هذا في سمعك ونفث به روح القدس في روعك فألق السمع وأحصر القلب وحدّ الذهن وخلّص الفكر لما أذكره لك إن شاء الله تعالى

فاعلم أنّ الأشياء على ثلث مراتب لا رابع لها والعلم لا يتعلّق بسواها وما عداها فعدم محض لا يعلم ولا يجهل ولا هو متعلّق بشيء
فإذا فهمت هذا فنقول أنّ هذه الأشياء الثلاثة منها ما يتّصف بالوجود لذاته فهو موجود بذاته في عينه لا يصحّ أن يكون وجوده عن عدم

بل هو مطلق الوجود لا عن شيء فكان يتقدّم عليه ذلك شيء بل هو الموجد لجميع الأشياء وخالقها ومقدّرها ومفصّلها ومدبّرها وهو الوجود المطلق الّذي لا يتقيّد سبحانه وهو الله الْحَيُّ الْقَيُّومُ *العليم المريد القدير الّذي "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"

ومنها موجود بالله تعالى وهو الوجود المقيّد المعبّر عنه بالعالم العرش والكرسيّ والسماوات العلى وما فيها من العالم والجوّ والأرض وما فيها من الدوابّ والحشرات والنبات وغير ذلك من العالم فإنّه لم يكن موجودا في عينه ثمّ كان من غير

أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدّم به عليه فيتأخّر هذا عنه فيقال فيه بعد أو قبل هذا محال وإنّما هو متقدّم بالوجود كتقدّم أمس على اليوم فإنّه من غير زمان لأنّه نفس الزمان فعدم العالم لم يكن في وقت لكن الوهم يتخيّل أنّ بين وجود الحقّ ووجود الخلق امتدادا
وذلك راجع لما عهده في الحسّ من التقدّم الزمانيّ بين المحدثات وتأخّره وأمّا الشيء الثالث فما لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم وهو مقارن للأزليّ الحقّ أزلا فيستحيل عليه أيضا التقدّم الزمانىّ على العالم والتأخّر

كما استحال على الحقّ وزيادة لأنّه ليس بموجود فإنّ الحدوث والقدم أمر إضافىّ يوصل إلى العقل حقيقة ما وذلك أنّه لو زال العالم لم نطلق على الواجب الوجود قديما وإن كان الشرع لم يجيء بهذا الاسم أعني القديم وإنّما جاء باسمه الأوّل والآخر
فإذا زلت أنت لم يقل أوّلا ولا آخرا إذ الوسط العاقد للأوّليّة والآخريّة ليس ثمّ فلا أوّل ولا آخر وهكذا الظاهر والباطن وأسماء الإضافات كلّها

فيكون موجودا مطلقا من غير تقييد بأوّليّة أو آخريّة وهذا الشيء الثالث الّذي لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم مثله في نفى الأوّليّة والآخريّة بانتفاء العالم كما كان الواجب الوجود سبحانه

وكذلك لا يتّصف بالكلّ ولا بالبعض ولا يقبل الزيادة والنقص وأمّا قولنا فيه كما استحال على الحقّ وزيادة فتلك الزيادة كونه لا موجودا ولا معدوما

فلا يقال فيه أوّل وآخر وكذلك لتعلم أيضا أنّ هذا الشيء الثالث ليس العالم يتأخّر عنه أو يحاذيه بالمكان إذ المكان من العالم وهذا أصل العالم وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة وألحق المخلوق به وكلّ ما هو عالم من الموجود المطلق .

وعن هذا الشيء الثالث ظهر العالم فهذا الشيء هو حقيقة حقائق العالم الكلّيّة المعقولة في الذهن الّذي يظهر في القديم قديما وفي الحادث حادثا فإن قلت هذا الشيء هو العالم صدقت وإن قلت أنّه الحقّ القديم سبحانه صدقت.
وإن قلت أنّه ليس العالم ولا الحقّ تعالى وأنّه معنى زائد صدقت كلّ هذا يصحّ عليه وهو الكلّىّ الأعمّ الجامع للحدوث والقدم وهو يتعدّد بتعدّد الموجودات ولا ينقسم بانقسام الموجودات

وينقسم بانقسام المعلومات وهو لا موجود ولا معدوم ولا هو العالم وهو العالم وهو غير ولا هو غير لأنّ المغايرة في الوجودين والنسبة انضمام شيء ما إلى شيء آخر فيكون منه أمر آخر يسمّى صورة ما والانضمام نسبة

فإذا أردنا أن نحدث مثلّثا ضممنا أجزاء انضماما مخصوصا فحدثت ثلاثة أركان فقلنا
هذا مثلّث وأنواع ذلك من التشكيل والتصوير والألوان والأكوان معلوم في الكلّيّ الأعمّ

وهذا ملك وإنسان وعقل ذلك وهذا مقدار ومكان ووضع وانفعال ما ومنفعل ما
وبانضمام الجزئيّات الّتى تحت الأجناس الكلّيّات بعضها إلى بعض يحدث عالم
التفصيل علوّا وسفلا من غير افتراق إلّا ما حصل في الوهم
هذا وجه قولك أنّ هذا الشيء هو العالم وتصدق في ذلك وكذلك أيضا إن قلت أنّه ليس
العالم صدقت فإنّ العالم قد كان معدوم العين وهذا على حالته لا يتّصف بوجود ولا
عدم
لكنّ العلم القديم يتعلّق بما يتضمّنه هذا الشيء الثالث المجمل من التفصيل كما قدّمناه
قبل كما يتعلّق علمنا ببعض التفصيلات ويتعلّق بمجملاتها غير مفصّلة لكن يفصّلها
متى شاء وهذا سرّ.

فإنّ علمنا به كذلك لصحّة المضاهاة بيننا وبين الحقّ ولهذا الإشارة من الإمام أبى حامد
الغزاليّ وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ لو كان وادّخره لكان عجزا ينافي
القدرة وبخلا يناقض الجود
ولهذه العلّة قطع الإمكان وهذا ليس هو عندي على وجه واحد وأكمل الوجوه عندي في
هذا كونه وجد على الصورة فافهم

ولأنّه أيضا دليل موصل إلى معرفة الله فلا بدّ أن يكون مستوفى الأركان فلو نقص
ركن منه لما كان دليلا ولم تصحّ معرفة وقد صحّت
فقد ثبت دلالته قال النبيّ عم من عرف نفسه عرف ربّه ثمّ نرجع فنقول هذا الشيء
الثالث الّذي نحن بسبيله لا يقدر أحد أن يقف على حقيقة عبارته لكن نؤمى إليه بضرب
من التشبيه والتمثيل

وبهذا ينفصل عن الحقّ الّذي لا يدخل تحت المثال إلّا من جهة الفعل لا أنّه ينبئ عن
حقيقته فكنّا نحيط به علما وهذا لا سبيل اليه قطّ
وقد قال تعالى "وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً " فنقول نسبة هذا الشيء الّذي لا يحدّ ولا يتّصف
بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم إلى العالم كنسبة الخشبة إلى الكرسيّ
والتابوت والمنبر والمحمل أو الفضّة إلى الأواني والآلات الّتي تصاغ منها كالمكحلة
والقرط والخاتم
فبهذا تعرف تلك الحقيقة فخذ هذه النسبة ولا تتخيّل النقص فيه كما تتخيّل النقص في
الخشبة بانفصال المحبرة عنها

واعلم أنّ الخشبة أيضا صورة مخصوصة في العوديّة فلا ننظر أبدا إلّا للحقيقة المعقولة الجامعة الّتي هي العوديّة فتجدها لا تنقص ولا تتبعّض بل هي في كلّ كرسىّ ومحبرة على كمالها من غير نقص ولا زيادة
وإن كان في صورة المحبرة حقائق كثيرة منها الحقيقة العوديّة والاستطاليّة والتربيعيّة والكمّيّة وغير ذلك وكلّها فيها بكمالها وكذلك الكرسىّ والمنبر
وهذا الشيء الثالث هو هذه الحقائق كلّها بكمالها فسمّه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهيولى أو المادّة الأولى أو جنس الأجناس وسمّ الحقائق الّتي يتضمّنها هذا الشيء الثالث الحقائق الأول أو الأجناس العالية

فهذا الشيء الثالث أزلا لا يفارق الواجب الوجود محاذيا له من غير وجود عينيّ فانتفت الجهات والتلقاءات حتّى لو فرضناه موجودا ولم نجعله متميّزا لانتفت عنه التلقاءات والإزاءات فتحقّق هذا الفصل واعلمه

فصل في أصناف الموجودات

ولمّا تكلّمنا على أقسام المعدومات وتبيّنت مراتبها أردنا أن نتكلّم على الموجودات وأصنافها وهي على أقسام منها :
وجود مطلق لا يعقل ماهيّته ولا يجوز عليه الماهيّة كما لا يجوز عليه الكيفيّة ولا يعلم له صفة نفسيّة من باب الإثبات وهو الله تعالى وغاية المعرفة به الحاصلة بأيدينا اليوم من صفات السلب مثل " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " ،"وسُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ" .
فعلى ما قدّمنا من أنّ العلم لا يتعلّق إلّا بموجود فهنا متعلّق العلم نفى ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى ونفى ما لا يجوز عليه .

ثبت عندنا موجود فينا منسوب إلينا هذا قسم ومنها موجود مجرّد عن المادّة وهي العقول المفارقة الروحانيّة القابلة للتشكيل والتصوير ذوات الرقائق النوريّة وهي المعبّر عنها بالملائكة وهي لا تتحيّز ولا تختصّ بمكان دون مكان لذاتها وليس لها شكل تختصّ به ولا صورة

وإن كانت الصورة الّتي تظهر فيها متحيّزة وهو سرّ شريف لطيف وبهذه النسبة هي القوى الروحانيّة الناريّة المعبّر عنها بالجنّ غير أنّها تحت قهر الطبيعة فإنّ الحرارة من صفات ذواتها والملائكة ليست كذلك

ومنها موجود يقبل التحيّز والمكان وهي الأجرام والأجسام والجواهر الأفراد عند الأشعريّين ومنها موجود لا يقبل التحيّز بذاته ولكن يقبله بالتبعيّة ولا يقوم بنفسه لكن يحلّ في غيره وهي الأعراض كالسواد

والبياض وأشباه ذلك ومنها موجودات النسب وهي ما يحدث بين هذه الذوات الّتي ذكرناها وبين الأعراض كالأين والكيف والزمان والعدد والمقدار والإضافة والوضع وأن يفعل وأن ينفعل .

وكلّ واحد من هذه الموجودات ينقسم في نفسه إلى أشياء كثيرة لا يحتاج هنا إلى ذكرها فالأين كالمكان مثل الفوق والتحت وأشباه ذلك
والكيف كالصحّة والسقم وسائر الأحوال والزمان كالأمس واليوم والغد والنهار والليل والساعة وما جاز أن يسأل عنه بمتى والكم كالمقادير والأوزان وتذريع المساحات وأوزان الشعر والكلام وغير ذلك

ممّا يدخل تحت كم والإضافة كالأب والابن والمالك والوضع كاللغات والأحكام وأن يفعل كالذبح وأن ينفعل كالموت عند الذبح
وهذا أحصر الموجودات فالموجودات كلّها عشرة جواهر وأعراض وهذه الثمانية المذكورة ، في الإنسان وحده من بين سائر ما ذكرناه من الموجودات تجمع هذه الموجودات كلّها وهي في العالم متفرّقة

فإذا نفخ في الإنسان روح القدس التحق بالموجود المطلق التحاقا معنويا مقدّسا وهو حظّه من الألوهيّة
فلهذا تقرّر عندنا أنّ الإنسان نسختان نسخة ظاهرة ونسخة باطنة
فالنسخة الظاهرة مضاهية للعالم بأسره فيما قدّرنا من الأقسام
والنسخة الباطنة مضاهية للحضرة الإلهيّة فالإنسان هو الكلّى على الإطلاق والحقيقة إذ هو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك

فإنّ كلّ جزء من العالم لا يقبل الألوهيّة والإله لا يقبل العبوديّة بل العالم كلّه عبد والحقّ سبحانه وحده إله واحد صمد لا يجوز عليه الاتّصاف بما يناقض الأوصاف الإلهيّة كما لا يجوز على العالم الاتّصاف بما يناقض الأوصاف الحادثة العباديّة

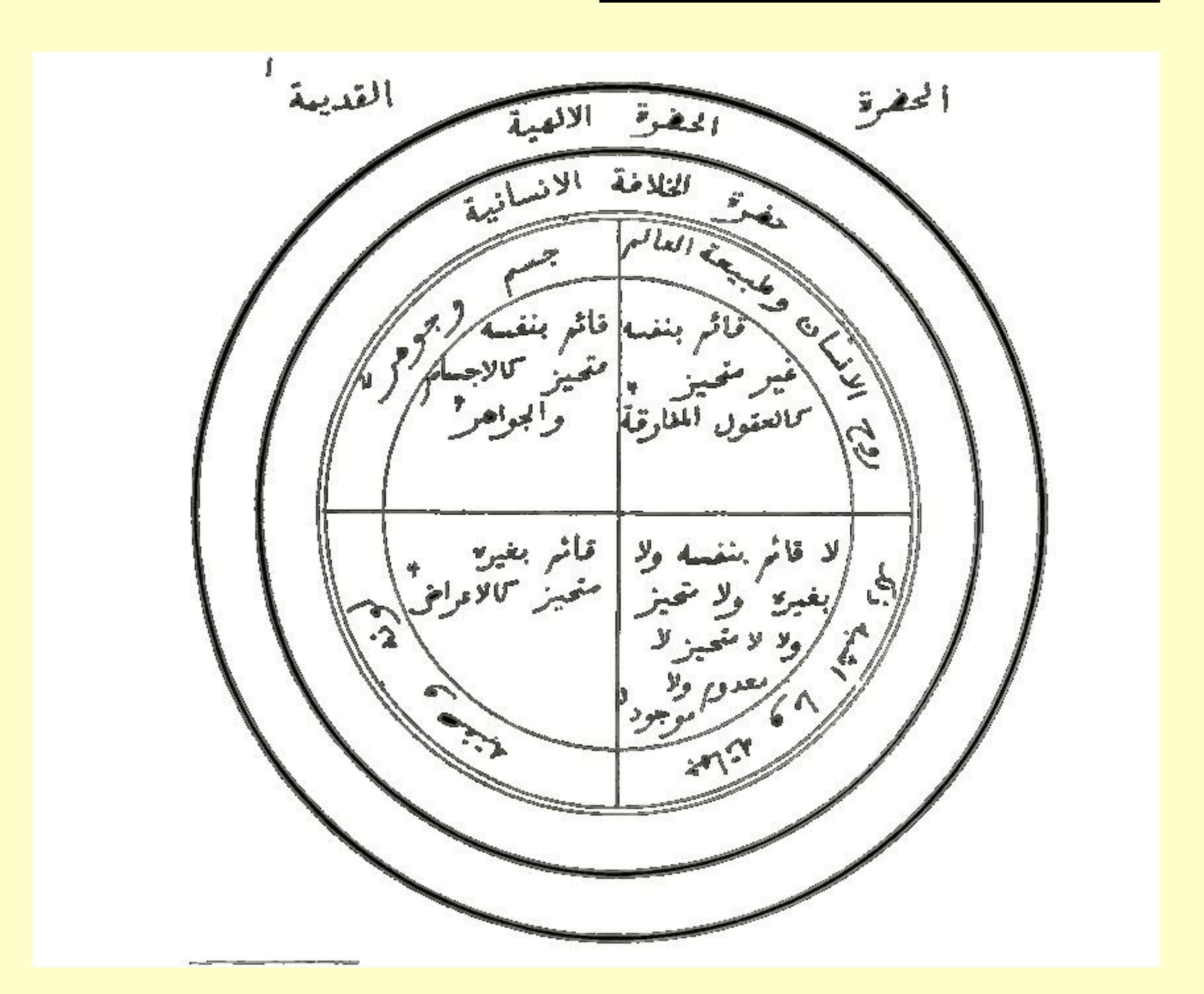
والإنسان ذو نسبتين كاملتين نسبة يدخل بها إلى الحضرة الإلهيّة ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الكيانيّة
فيقال فيه عبد من حيث أنّه مكلّف ولم يكن ثمّ كان العالم
ويقال فيه ربّ من حيث أنّه خليفة ومن حيث الصورة ومن حيث أحسن تقويم فكأنّه برزخ بين العالم والحقّ وجامع لخلق وحقّ

وهو الخطّ الفاصل بين الحضرة الإلهية والكونيّة كالخطّ الفاصل بين الظلّ والشمس وهذه حقيقته فله الكمال المطلق في الحدوث والقدم والحقّ له الكمال المطلق في القدم وليس له في الحدوث مدخل يتعالى عن ذلك

والعالم له الكمال المطلق في الحدوث وليس له في القدم مدخل يخسأ عن ذلك فصار الإنسان جامعا لله الحمد على ذلك فما أشرفها من حقيقة وما أطهره من موجود وما أخسّها وما أدنسها في الوجود.

إذ قد كان منها محمّد وأبو جهل وموسى وفرعون فتحقّق أحسن تقويم واجعله مركز الطائعين المقرّبين وتحقّق أسفل سافلين واجعله مركز الكافرين الجاحدين فسبحان من " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " .

وهذه دوائر ما قرّرناه على التنزيه والتشبيه



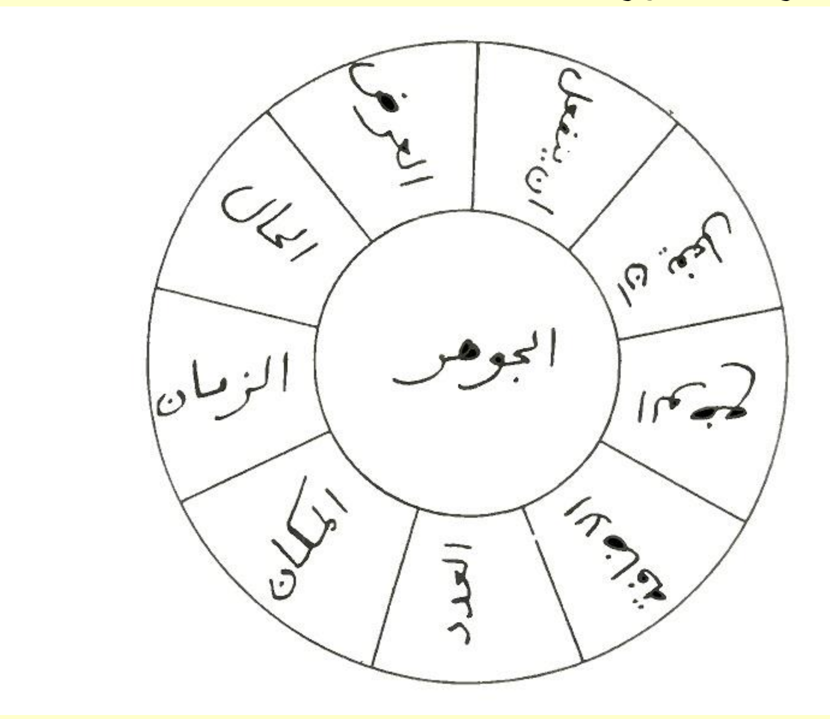
الدائرة البيضاء الّتي بين الخطّين الأسودين المحيطة هي مثال الحضرة الإلهيّة على التنزيه ولمّا كانت محيطة بكلّ شيء قال الله تعالى "إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ"

وقال الله تعالىوَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماًوالدائرة البيضاء الّتي في جوفها اللاصقة بها الّتي يشقّها الخطّ المستدير الأصغر هي دائرة الإنسان

فمن الخطّ المستدير الأصغر إلى جهة الحضرة الإلهيّة هو مضاهاة الإنسان الحضرة الإلهيّة ومن الخطّ الأصغر إلى الدائرة الصغرى مضاهاة الإنسان عالم الكون والفصل الّذي وقع فيها على التربيع هو لتعداد العوالم على الجملة
والدائرة الصغرى المخيطة بالمركز هي دائرة العالم الّذي الإنسان خليفة عليه وتحت تسخيره والخطوط الأربعة الخارجة من المركز إلى محيطها الفصول الّتي بين العوالم فتحقّق ذلك المثال تعثر على السرّ الّذي نصبناه

والله المرشد لا ربّ سواه .باب الجدول الهيولانيّ وهي الدائرة المحيطة بالموجودات على الإطلاق
من غير تقييد وهي الحاوية على جميع الحقائق المعلومة الموجودة والمعدومة واللامعدومة وفيها الحياة والمعقولة الّتي هي في القديم قديمة وفي المحدث حادثة وفيها العلميّة والإراديّة وهذا مثال صورتها لو كانت لها صورة ولكن لمّا كانت معقولة معلومة عندنا قدرنا
على إبرازها في المثال ولكن مجملة فتكون نقطة الجوهر عبارة عن كلّ ذات قائمة بنفسها قديمة أو حادثة ويكون العرض منها عبارة عن كلّ ذات لا تقوم بنفسها فيدخل تحتها أجناس الأعراض من كون ولو وغير ذلك والصفات كالعلوم والقدر وغير ذلك

وكذلك الزمان والمكان وسائر النّسب على حسب ما تراه إن شاء الله تعالى في هذه الدائرة وهي هذه الدائرة المذكورة



اعلم أنّ هذا الجدول الهيولانيّ هو الحقيقة الّتي أو جد الحقّ من مادّتها الموجودات العلويّات والسفليّات فهي الأمّ الجامعة لجميع الموجودات وهي معقولة في الذهن غير موجودة في العين وهو أن تكون لها صورة ذاتيّة لها لكنّها في الموجودات حقيقة من غير تبعيض ولا زيادة ولا نقص

فوجودها عن بروز أعيان الموجودات قديمها وحديثها ولولا أعيان الموجودات ما عقلناها ولولاها ما عقلنا حقائق الموجودات فوجودها موقوف على وجود الأشخاص والعلم بالأشخاص تفصيلا موقوف على العلم بها إن من لم يعرفها لم يفرق بين الموجودات
وقال مثلا أنّ الجماد والملك والقديم شيء واحد إذ لا يعرف الحقائق ولا بما ذا تتميّز الموجودات بعضها من بعض فهي متقدّمة في العلم ظاهرة في الموجودات فإن أطلق عليها تأخّر فلتأخّر الوجود الشخصيّ لا لعينها

فهي بالنظر إلى ذاتها كلّيّة معقولة لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم وهي المادّة لجميع الموجودات فقد ظهرت بكمالها بظهور الموجودات وما بقي شيء يوجد بعد ولهذا قال الامام وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم
إذ لو كان وادّخره لكان بخلا يناقض الجود وعجزا ينافي القدرة ووصف الباري بهذا محال فالّذي يفضي إليه محال فلو وجد إلى هذا العالم عوالم إلى أبد لا يتناهى لكانت مثلا لهذا العالم

وأمّا أن يزيد عليه بحقيقة ليست في هذا العالم فلا سبيل إلى ذلك
وإذا لم تصحّ زيادة حقيقة فما في الإمكان أبدع منه وقد تقرّر هذا في أوّل الكتاب باب جدول الحضرة الإلهيّة من جهة الأسماء الحسنى على ما ورد في الشرع المطهّر لا على ما يقتضيه الاستقصاء والحصر وهذه صورته

جدول أسماء الذات	جدول أسماء الصفات		جدول أسماء الأفعال
الله الربّ الملك القدّوس السلام	الحياة[1]	الحيّ	المبدئ الوكيل
	الكلام	الشكور	الباعث المجيب
المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر العليّ العظيم الظاهر	القدرة	القهّار القاهر المقتدر القويّ القادر	الواسع الحسيب المقيت الحافظ
الباطن الكبير الجليل المجيد الحقّ المتين[3] الواحد الماجد الصمد	الإرادة	الرحمن الرحيم الكريم الغفّار الغفور الودود الرؤف الحليم[4] البرّ[2] الصبور	الخالق البارى المصوّر الرزّاق الوهّاب[2] الفتّاح القابض الباسط
الأوّل الآخر المتعالي الغنيّ النور الوارث ذو الجلال	العلم	العليم الخبير المحصي الحكيم الشهيد	الخافض الرافع المعزّ المذلّ
الرقيب	السمع	السميع	الحكم العدل اللطيف
	البصر	البصير	المعيد المحيي المميت الوليّ التوّاب المنتقم[5] المقسط الجامع المغني المانع الضرّ النافع الباقي البديع الرشيد

اعلم وفّقك الله أنّ العالمين بالله تعالى ما علموا منه إلّا وجوده وكونه قادرا عالما متكلّما مريدا حيّا قيّوما سميعا بصيرا وما عرفوا سوى نفس الوجود
وأنّه سبحانه لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات لصفة هو في نفسه عليها يعقل وجودها ولا تعرف العبارة عنها ولهذا لا يجوز أن يقال فيه سبحانه ما هو إذ لا ماهيّة له ولا كيف هو

إذ لا كيفيّة له وعلى التحقيق ما تعلّق علم العالمين به سبحانه إلّا تلويحا من حيث الوجود ، إن حقّقت النظر حتّى تقع الرؤية إن شاء الله تعالى حيث قدّرها تعالى بمزيد الكشف والوضوح

فمن جهة أنّه لا إله إلّا الله قلنا عرفنا الله ومن جهة الحقيقة كعلمنا بأنّ الجوهر هو الّذي لا ينقسم المتحيّز القابل للأعراض قلنا لم نعرف ولهذا لا يجوز الفكرة في الله تعالى

إذ لا يعقل له حقيقة فنخاف على المفكّر في ذاته من التمثيل والتشبيه فإنّه لا ينضبط ولا ينحصر ولا يدخل تحت الحدّ والوصف وإنّما الفكرة في أفعاله ومخلوقاته وهذه الأسماء الحسنى الّتي سمّى بها نفسه توصيلا إليها في كتابه العزيز على لسان نبيّه الصادق فمنها ما يدلّ على ذاته تعالى

وقد يدلّ مع ذلك على صفاته أو أفعاله أو عليهما معا ولكنّ دلالتها على الذات أظهر فما كان من الأسماء على هذا النحو جعلناه من أسماء الذات وإن كان كما ذكرناه يدلّ على بعض الصفات أو الأفعال أو عليهما معا

وهكذا فعلنا في أسماء الصفات وفي أسماء الأفعال من جهة الأظهر لا أنّه ليس لها مدخل في غير جدولها الّذي جعلناه لها كالربّ مثلا فانّ معناه الثابت فهو للذات ومعناه المصلح فهو من أسماء الأفعال

وهو بمعنى المالك فهو من أسماء الصفات واعلم أنّ هذه الأسماء التي جعلناها في هذا الجدول ما قصدنا بها حصر الأسماء ولا أنّه ليس ثمّ غيرها وإنّما سقناها بهذا الترتيب تنبيها على ما سنذكره إن شاء الله تعالى
فمتى رأيت أسماء من أسمائه الحسنى فالحقه بالأظهر فيه واكتبه في جدوله إذ الأسماء كثيرة جدّا من طريق الاختلاف الّذي حصل فيها

وإنّما جعلنا هذا فتح باب لك إلى ما يصحّ عندك من الأسماء
وفائدة هذا الجدول الّذي وضعناه لها أن يتخلّق العبد بهذه الأسماء حتّى يرجع منها حقائق يدّعى بها وينسب إليها من أوّلها إلى آخرها قال الله تعالى :إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " ثمّ وصف لنا من خلقه عم فقال الله تعالى:" بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ " .

فإذا عرفت ما أردناه بهذا الجدول ورتّبناه علمت المتخلّق به إذا رأيت عليه في وقت ما اسما من الأسماء نسبته إلى ذلك الاسم وإلى تلك الحضرة في ذلك

الوقت فتقول فلان الآن في حضرة الأفعال إن كان من أسماء الأفعال أو في حضرة الصفة الفلانيّة أو في حضرة الذات كيف شئت على حسب حضرة ذلك الاسم فإن كان الاسم فيه معاني الحضرات الثلث .

فتنظر إلى ما غلب عليه من تلك المعاني فتنسبه إليه وتلحقه بتلك الحضرة في الحال وإن كان من جهة المقام فوقها ولكن تحكم عليه بما هو في الحال غير أنّ المكمّل منّا لا يحجبه ذلك في حقّ هذا الشخص إذا كان أعلى من حاله
فإنّه لا يخفى علينا من ينزل ذلك الاسم على ما يعطيه الوقت ممّن سلطانه ذلك الاسم وحاكم عليه وبهذا يفرق بينهما الكامل .

منّا ومن دون هذا إنّما يحكم عليه في الحال بذلك الاسم لا يعرف غير ذلك فهذا فائدة هذا الجدول وبدأنا به في الموجودات إذ هو الأوّل الّذي لا أوّليّة له
والأشياء كلّها معدومة ولهذا جعلناه على أثر الشكل الهيولانيّ ومعه لما كان مقارنا لها في الأزل من غير أن يكون لها وجود في عينها لكنّها معلومة له سبحانه يعلمها بحقيقة من حقائقها فهو يعلمها بها لا بغيرها إذ هي الشاملة للكلّ

وكان الحقّ أزلا لها ظاهرا وهي له باطن إذ هي صفة العلم وليس العلم بشيء غيرها ولا هي العالم فإنّ العالم منها من باب العالميّة وليست

منه لكنّها ظهرت فيه من باب الحقيقة ولهذا جعلنا وجود الحقّ يقابل ما يأتي بعد هذا من أكثر عوالم وجداولها وسقناه بالأسماء لأنّ مستند الأفعال إليها ولأنّ . الذات لا سبيل إلى تصويرها في الذهن ولا بدّ أن يحصل في النفس أمر يستند إليه فليكن الأسماء فلم يكن بدّ من ذكرها

فهذا الجدول من باب الجوهر المذكور في الهيولى لا من غيره إذ الجوهر عبارة عن الأصل وأصل الأشياء كلّها وجود الحقّ تعالى إذ لو لم يكن هذا الأصل الإلهيّ موجودا وهذه المادّة الهيولانيّة معقولة لما صحّ هذا الفرع المحدث الكائن بعد أن لم يكن ولما تصوّر فتحقّق ترشد إن شاء الله تعالى وهو المستعان

باب سبب بدء العالم ونشئه

اعلم وفّقك الله وسدّدك أنّه لمّا نظرنا العالم على ما هو عليه وعرفنا حقيقته ومورده ومصدره ونظرنا ما ظهر فيه من الحضرة الإلهيّة بعد ما فصّلناه تفصيلا فوجدنا الذات الإلهيّة منزّهة عن أن يكون لها بعالم الكون

والخلق وللأمر مناسبة أو تعلّق بنوع ما من الأنواع لأنّ الحقيقة تأبى ذلك فنظرنا ما
الحاكم المؤثّر في هذا العالم فوجدنا الأسماء الحسنى ظهرت في العالم كلّه ظهورا لا
خفاء به كلّيا وحصلت فيه بآثارها وأحكامها لا بذواتها
لكن بأمثالها لا بحقائقها لكن برقائقها فأبقينا الذات المقدّسة على تقديسها وتنزيهها
ونظرنا إلى الأسماء فوجدناها

كثيرة فقلنا الكثرة جمع ولا بدّ من أئمّة متقدّمة في هذه الكثرة فلتكن الأئمّة هي المسلّطة
على العالمين وما بقي من عدد الأسماء إذ الأئمّة الجامعون لحقائقها
فالإمام المقدّم الجامع اسمه الله فهو الجامع المعاني الأسماء كلّها وهو دليل الذات
فنزّهناه كما نزّهنا الذات وأيضا فإنّه من حيث ما وضع جامع الأسماء فإن أخذناه لكون
ما من الأكوان ما نأخذه من حيث ما وضع

وإنّما نأخذه من جهة حقيقة ما من حقائقه الّتي هو مهيمن عليها ولتلك الحقيقة اسم يدلّ
عليها من غير اسم الله فلنأخذها من جهة ذلك الاسم الّذي لا يحتمل غيرها ونبرز الكوّن
منها ونترك اسمه الله على منزلته من التقديس
فإذا تقرّر هذا وخرج الاسم الجامع عن التعلّق بالكون وبقي على مرتبته حتّى لا تبقى
حقيقة إلّا برزت فحينئذ يظهر سلطان ذاته كلّيا فلنرجع إلى الأئمّة الّذين هم من جملة
حقائقه

ونقول أنّ أئمّة الأسماء كلّها عقلا وشرعا سبعة ليس غيرها وما بقي من الأسماء فتبع
لهؤلاء وهي **الحيّ العليم المريد القائل القادر الجواد المقسط**
فالحيّ إمام الأئمّة ومقدّمهم والمقسط آخر الأئمّة والقائل أدخله الشرع في الأئمّة خاصّة
وقبله المقام وسرّ به وما بقي فالروح العقليّ اقتضاه إماما وانفرد الروح

القدسيّ بالقائل خاصّة وله مدخل في المقسط من جهة ما وفي اسمه الجواد لا غير

فاسمه الجواد يعمّ كلّ اسم رحمانيّ يعطى سرّا ونعمة فهو المهيمن على هذا القبيل من
الأسماء والمقسط يعمّ كلّ اسم غضبيّ يعطى ضرّا ونقمة وهو المهيمن على هذا القبيل
من الأسماء وليس في العالم إلّا هؤلاء الأئمّة
وهذان القبيلان من الأسماء لا غير ولولا ظهور الأحكام الشرعيّة ما احتجنا إلى الاسم
المقسط احتياجا ضروريّا فالعقاب والوعيد اضطرّنا إلى إمامة الاسم المقسط

ولكن ليس إيلام البهائم وما في ضمن ذلك من حكم اسمه المقسط ولكن من حكم اسمه
المريد وهو من الأئمّة المقدّمين فتحقّق الشكل إذا رسمناه لك ليثبت في خيالك فإنّي
سأقيم لك دائرة العالم من غير نظر إلى شريعة وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمّة

وسأقيم لك دائرة السعادة من العالم ودائرة الشقاوة وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمّة فانظر امتداد الرقائق من حضرات الأئمّة إلى العالم ومراتب الأئمّة الأوّل فالأوّل الأعلى فالأعلى
وسأقيم لك القبيلين من الأسماء بين دوائر العالم وحضرات الأئمّة وأجعل لهم ثلث دوائر دائرة تضمّ القبيلين في مقابلة دائرة العالم الكبرى المطلقة ودائرتان في مقابلة عالم السعادة وعالم الشقاوة وبتميّز القبيلين فانظرها وتحقّقها حتّى تحصّلها في

خيالك وسأجعل الرقائق من الأئمّة تمتدّ إلى سدنة من الأسماء ومن السدنة إلى العوالم وقد تمتدّ الرقيقة من بعض الأئمّة إلى بعض وحينئذ تنزل
وتتّصل بالعالم لوقوف بعض الأئمّة على بعض واكتب على الرقائق إثرها حتّى تعقل فألق بالك واشحذ فؤادك والشكر الله الّذي سخّرنى لك حتّى علمت من الوجود ما غاب عنه أكثر الخلق بأقرب محلولة وأصحّ مثال وذلك بفضل الله وحوله وقوّته ومنّه هذه صورة الدائرة المتقدّمة الذكر

(اعلم أنّ من الكشف ما هو عقلىّ وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج ومنه ما هو نفسانىّ وهو ما يرتسم في النفوس الخياليّة المطلقة عن قيوده المزاجيّة بأزمان الرياضات والمجاهدات بعد كشف الحجب المباينات والممايزات ومنه ما هو روحانىّ وذلك بعد كشف والحاجب العقليّة والنفسانيّة ومطالعة مطالع الأنفس الرحمانيّة ومنه ما هو ربّانىّ

وذلك بطريق التجلّى إمّا بالتنزّل أو بالعروج أو بمنازلات أسرار وهذا النوع يتعدّد بتعدّد الحضرات الأسمائيّة فإنّ للحقّ تجلّيات من كلّ حضرة من الحضرات الأسمائيّة وأعلاها هو التجلّى الإلهيّ الجمعىّ الأحدىّ يعطى المكاشفات الكلّيّة وفوقها التجلّى الذاتىّ

الّذي يعطى الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها وبحقيقة النفس والعماء وبالحقيقة الإلهيّة وبحقيقة الطبيعة الكلّيّة وقوله وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة أي الملائكة هي أرواح القوى القائمة بالصورة الحسّيّة والقوى النفسانيّة والعقليّة

وإنّما سمّيت ملائكة لكونها روابط موصّلات تربط الأحكام الربّانيّة والآثار الإلهيّة بالعوالم الجسمانيّات فإنّ الملك باللغة هو القوّة والشدّة

فلمّا قويت هذه الأرواح بالأنوار الربّانيّة وقويت الآثار الإلهيّة بها على إيقاع أحكامها وإيصال أنوارها سمّيت ملائكة وهم ينقسمون إلى علوىّ روحىّ وسفلىّ طبيعىّ

عنصرىّ ومثالىّ نورانىّ فمنهم المهيّمون ومنهم المسخّرون ومنهم المولّدة من الأعمال والأقوال والأنفاس ،

ظهور الحقّ في العالم الروحانىّ ليس كظهور في العالم الطبيعىّ فإنّه في الأوّل بسيط نورانىّ نزيه فعلىّ وحدانىّ وفي الثاني مركّب ظلمانىّ انفعالىّ ، قيل التقى آدم إبليس بعد الخطيئة فقال يا شقىّ وسوست إلىّ وفعلت

فقال يا آدم هب أنّى كنت إبليسك فمن كان إبليسى الشكل مقيّد بشكله والفرع منتشر عن أصله
اعلم أنّ سبب نشء العالم على ما اقتضاه الكشف المثالىّ والحكم الالهىّ ما ذكرناه في كتاب عنقاء مغرب في باب محاضرة أزليّة على نشأة أبديّة

وسأذكر منه في هذا الكتاب ما يحتاج إليه في هذا الموضع وذلك أنّ السدنة من هذه الأسماء لمّا كانت بأيديهم مقاليد السماوات والأرض ولا سماوات ولا أرض بقي كلّ سادن بمقلاده لا يجد ما يفتح

فقالوا يا للعجب خزّان بمفاتيح مخازن لا تعرف مخزنا موجودا فما نصنع بهذه المقاليد فأجمعوا أمرهم وقالوا لا بدّ لنا من أئمّتنا السبعة الّذين أعطونا هذه المقاليد ولم يعرّفونا المخازن الّتي نكون عليها فقاموا على أبواب الأئمّة على باب الامام المخصّص والامام المنعم والإمام المقسط
فأخبروهم الأمر فقالوا صدقتم الخبر عندنا وسنعيّنها لكم إن شاء الله تعالى ولكن تعالوا نصل إلى من بقي من الأئمّة ونجتمع على باب حضرة الإمام الإلهيّ إمام الأئمّة

فاجتمع الكلّ وهم بالإضافة إلى الإمام المعروف بالله سدنة فوقف الجميع ببابه فبرز لهم وقال ما الّذي جاء بكم فذكروا له الأمر وأنّهم طالبون وجود السماوات والأرض حتّى يضعوا كلّ مقلاد على بابه
فقال أين الإمام المخصّص فبادر إليه المريد فقال له أليس الخبر عندك وعند العليم فقال له نعم قال فإن كان فأرح هؤلاء ممّا هم فيه من تعلّق الخاطر وشغل البال فقال العليم والمريد أيّها الامام الأكمل قل للإمام القادر يساعدنا والقائل فإنّه لا نقوم به بأنفسنا إلّا أربعتنا فنادى الله تعالى القادر والقائل
وقال لهما أعينا أخويكما فيما هما بسبيله فقالا نعم فدخلا حضرة الجواد فقالا للجواد عزمنا على إيجاد الأكوان وعالم الحدثان وإخراجهم من العدم إلى الوجود وهذا من حضرتك حضرة الجود

فادفع لنا من الجود ما نبرزهم به فدفع لهم الجود المطلق فخرجوا به من عنده وتعلّقوا بالعالم فأبرزوه على غاية الإحكام والإتقان فلم يبق في الإمكان أبدع منه
فإنّه صدر عن الجود المطلق ولو بقي أبدع منه لكان الجواد قد بخل بما لم يعط وأبقاه عنده من الكمال ولم يصحّ عليه إطلاق اسم الجواد وفيه شيء من البخل فليس اسم الجواد عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخيل عليه فيما أمسك وبطلت الحقائق

وقد ثبت أن اسم البخيل عليه محال فكونه إن أبقى عنده ما هو أكمل محال وهذا أصل نشء العالم وسببه وما ظهر الإمام المقسط إلّا بعد نزول الشرائع فتأهّبت الأسماء بمقاليدها وعلمت حقيقة ما كان عندها وما هي عليه بوجود الأكوان فتحقّق هذا الفصل المختصر العجيب فإنّه نافع في هذا الباب

الله المرشد للصواب

تمّ الكتاب

كتاب عقلة المستوفز

الشيخ الأكبر محيي الدين
محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

المدخل الشيخ ابن العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق الحمد لله الواجب الّذي افتتح وجود السوي بالأرواح المهيّمة المخلوقة بل المبدعة من فيض السّبحات وعيّن منهم العنصر الأعظم بالمقام الّذي لا يقبل الحركات الحكيم الّذي فتح وجود عالم التكوين والتدبير بايجاد القلم الأعلى واللوح المحفوظ مظهرى عالم التدوين والتسطير

موجد محلّ الظلّ والمقدار والغشيان والإيلاج والتكوين مظهر أعيان الأشخاص الفلكيّة والأملاك ومعيّن مقاماتهم في الأركان والأفلاك مسخّر الأنوار ومحرّك الأكوار بضروب الأدوار واختلاف الأحوال والأطوار:" يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ ويُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ" .

على عالم الانشقاق والانفطار لإيجاد الإنسان الّذي خلقه الله فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

وأبرزه نسخة كاملة جامعة لصور حقائق المحدث وأسماء القديم أقامه سبحانه معنى رابطا للحقيقتين

وأنشأه برزخا جامعا للطرفين والرقيقتين أحكم بيديه صنعته وحسّن بعنايته صبغته فكانت مضاهاته للأسماء الإلهيّة بخلقه ومضاهاته للأكوان العلويّة والسّفليّة بخلقه

فتميّز عن جميع الخلائق بالخلقة المستقيمة والخلائق عيّن سبحانه سرّه مثالا في حضرة الأسرار وميّز نوره من بين سائر الأنوار

ونصب له كرسيّ العناية بين حضرتيه وصرّف نظر الولاية والنيابة فيه وإليه

فلمّا أقامه تعالى بهذا المقام الأكمل وردّاه برداء المعلّم الأجمل فنظرت إليه الروحانيّات العلّى بعين التعظيم وذلك قبل وجود مركّبه البهيم

فلم يزل عالي الكلمة وبعلم الأسماء مميّزا لتفاصيل الأشياء إلى أن أخذت مقاماتها الأملاك ودارت بأشواقها الأفلاك وانفعلت الأكوان لذلك الدّور وانعطاف المكوّر عليها بعد الكور

وظهرت المولّدات الجسمانيّات والجسميّات ذوات الكمّيّات والكيفيّات كالمعدن والنبات والحيوان وليس للإنسان وجود في الأعيان

حتّى إذا بلغت الدورة المخصوصة وتوجّهت الكلمة المنصوصة من الحضرة العليّة المأنوسة بايجاد هذه الكلمة الهويّة المحروسة قبض الحقّ سبحانه كما روى من الأرض قبضة من حيث لا يعلمون

وخمّر طينته بيديه من غير تشبيه ولا تكييف وهم لا يشعرون

وسوّاه متجاور الأضداد وميّزه بالحركة المستقيمة من بين سائر الأولاد وأعطته قوى هذه البنية التصرّف بالحركة المنكوسة الأفقيّة

ثمّ أنطق الفهوانيّة في الروحانيّات بخلافته فطعنت من فورها في نيابته

ولو عاينوا تشريف اليدين ما حجبتهم مجاورة الضدّين

فلمّا نفخ فيه الرّوح الأنزه والسرّ المتألّه عرفت الملائكة حينئذ قدر هذا البيت الأعلى والمحلّ الأشرف الأسنى

فأوقفهم الحقّ بين يديه طالبين وأمرهم فوقعوا له ساجدين والصلاة على ما المخصوص بهذه المكانة الشريفة والمرتبة المقدّسة المنيفة الظاهر بها من غير طعن ولا إنكار محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ما اندرجت الأنوار في الأنوار واتّحدت الأسرار بالأسرار وسلّم تسليما كثيرا

باب في نظم ما يحتوي عليه هذا الكتاب من ذكر العالم العلويّ والسفليّ وترتيبه ونضده

وهو هذا الحمد للّه الّذي بوجوده * ظهر الوجود وعالم الهيمان
والعنصر الأعلى الّذي بوجوده * ظهرت ذوات عوالم الإمكان
من غير ترتيب فلا متقدّم * فيه و لا متأخّر بالآن
حتّى إذا شاء المهيمن أن يرى * ما كان معلوما من الأكوان
فتح القدير عوالم الديوان * بوجود روح ثمّ روح ثان
ثمّ الهباء وثمّ جسّم قابل * لعوالم الأفلاك والأركان
فأداره فلكا عظيما واسمه * العرش الكريم ومستوى الرحمن
يتلوه كرسىّ انقسام كلامه * فيلوح من تقسيمه القدمان
من بعده فلك البروج وبعده * فلك الكواكب مصدر الأزمان
ثمّ النزول مع الخلاء لمركز * ليقيم فيه قواعد البنيان
فأدار أرضا ثمّ ماء فوقه *   كرة الهواء وعنصر النيران
من فوقه فلك الهلال وفوقه * فلك يضاف لكاتب الديوان
من فوقه فلك لزهرة فوقه   * فلك الغزالة مصدر الملوان
من فوقه المرّيخ ثمّ المشترى * ثمّ الّذي يعزى إلى كيوان
ولكلّ جسم ما يشاكل طبعه * خلق يسمّى العالم النوراني
فهم الملائكة الكرام شعارهم * حفظ الوجود من اسمه المحسان
فتحرّكت نحو الكمال فولّدت * عند التحرّك عالم الشيطان
ثمّ المعادن والنبات وبعده * جاءت لنا بعوالم الحيوان
والغاية القصوى ظهور جسومنا * في عالم التركيب والأبدان
لمّا استوت وتعدّلت أركانه * نفخ الإله لطيفة الإنسان
وكساه خلعته فكان خليفة * تعنو له الأفلاك والثّقلان
وبدورة الفلك المحيط وحكمه * أبدىّ لنا في عالم الحدثان
في جوف هذه الأرض ماء أسودا * نتنا لأهل الشرك والطغيان
يجرى على متن الرياح وعندها * ظلمات سخط القاهر الدّيّان

دارت بصخرة مركز سلطانه الروح الالهىّ العظيم الشأن

باب الكمال الإنسانيّ

أمّا بعد فإنّ الله تعالى علم نفسه فعلم العالم فلذلك خرج على الصورة وخلق الله الإنسان مختصرا شريفا جمع فيه معاني العالم الكبير وجعله نسخة جامعة لما في العالم الكبير ولما في الحضرة الإلهيّة من الأسماء
وقال فيه رسول الله صلعم إنّ الله خلق آدم على صورته

فلذلك قلنا خرج العالم على الصورة وفي هذا الضمير الّذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول
وفي قولنا علم نفسه فعلم العالم غنية لمن تفطّن وكان حديد القلب بصيرا ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحّت له الخلافة والنيابة عن الله تعالى في العالم فلنبيّن في هذا المنزل نشأة هذا الخليفة ومنزلته وصورته على ما هي عليه ولسنا نريد الإنسان بما هو إنسان حيوان فقطّ بل بما هو إنسان وخليفة وبالإنسانيّة والخلافة صحّت له الصورة على الكمال

<u>وما كلّ إنسان خليفة فإنّ الإنسان الحيوان ليس بخليفة عندنا</u>
وليس المخصوص بها أيضا الذكوريّة فقط فكلامنا إذا في صورة الكامل من الرجال والنساء فإنّ الإنسانيّة تجمع الذّكر والأنثى والذكوريّة والأنوثيّة إنّما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانيّة لمشاركة الحيوان كلّها في ذلك
وإن كان يستدعيهما حقائق أخر ثمّ من حيث النتاج فذلك أمر آخر قد ذكرناه في كتاب النكاح وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكمال للنساء
كما شهد به للرجال فقال في الصحيح كمل من الرجال كثيرون وكلمت من النساء مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون
وسئل بعض الأولياء عن الأبدال كم يكونون
فقال رضى الله عنه: أربعون نفسا
فقال له السائل: لم لا تقول أربعون رجلا
فقال : قد يكون فيهم النساء
وغرضنا إنّما هو الكمال ظهر فيمن ظهر
وللرّجال عليهنّ درجة وتلك الدرجة الأصليّة
فإنّ حوّاء وجدت من آدم فله عليها درجة في الإيجاد وكذلك العقل مع النفس والقلم مع اللوح
فلما كانت المرأة منفعلة عن الرجل بالأصالة لذلك كانت الدرجة

<u>باب في خلق الأرواح المهيّمة والعنصر الأعظم</u>

اعلم أنّ للّه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه . بصر من خلقه.
فلذلك نرى الحقّ من غير الوجه الّذي يرانا وإنّما يقع الاحتراق والأثر إذا وقعت الرؤية من وجه واحد وهو وقوع البصر منك على البصر منه .
وقد أوجد الله تعالى في هذه الدار مثالا لهذا المقام على عزّته وعلوّه
فخلق دابّة تسمّى الصلّ إذا وقع بصر الإنسان عليها
ووقع بصرها عليه على خطّ واحد فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته بالخاصيّة .

واعلم أنّ الله كان ولا شيء معه هذا نصّ الخبر النبوىّ وزاد علماء الشريعة فيه وهو الآن على ما عليه كان .
فهذه الزيادة مدرجة في كلام رسول الله صلعم ولا يعرفها كلّ واحد وقد سبق في علمه أن يكمل الوجود العرفانىّ بظهور آثار الأسماء الإلهيّة والنسب والإضافات لا أن يكمل هو بذلك تعالى الله علوّا كبيرا فهو الكامل على الإطلاق
ومعنى قولي ليكمل الوجود فنعطيك لذلك مثالا واحدا وبه تستدلّ على ما بقي
وذلك أنّ العقل والحقيقة تقسّم الوجود إلى ماله أوّل وإلى ما لا أوّل له وهو كمال الوجود فإذا كان ما لا أوّل له موجودا.
وهو الله تعالى والّذي لم يكن ثمّ كان ويقبل الأوّليّة الحادثة ليس بموجود فما كمل الوجود ما لم يكن هذا موجودا .
ولذلك قوله تعالى لبعض أنبيائه وقد سأله لم خلقت الخلق
فقال كنت كنزا مخفيّا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرّفونى .
وذلك أنّ العلم بالله ينقسم إلى قديم وإلى محدث فعلم الله نفسه وألوهيّته بالعلم القديم ونقص من مراتب الوجود العلمىّ العلم المحدث فخلق الخلق فتعرّف إليهم فعرفوه بقدر ما يعطيه استعدادهم .
فوجد العلم المحدث فكملت مراتب العلم بالله في الوجود لا أنّ الله تعالى يكمل علم العباد وبعد أن تقرّر هذا وثبت فلنقل أنّ الله كان ولا شيء معه
وهو يعلم ويريد بقاء المعدوم في العدم أي موصوفا بالعدم ويكلّم نفسه بنفسه ويسمع كلامه ويرى ذاته وهو الحىّ بذاته سبحانه .
فهذه الأسماء والنسب وهو الحىّ العالم السميع البصير المتكلّم المريد هي الّتي لم يزل حكمها أزلا وأمّا كونه قادرا ورازقا وخالقا ومبدعا فبالصلاحيّة والقوّة وما بين الوجودين من امتداد زمانىّ
ولكنّ الارتباط بين الوجودين ارتباط المحدث بالقديم على الوجه الّذي يليق بالجلال فتجلّى الحقّ سبحانه بنفسه لنفسه بأنوار السبحات الوجهيّة من كونه عالما ومريدا، فظهرت الأرواح المهيّمة بين الجلال والجمال
وخلق في الغيب المستور الّذي لا يمكن كشفه لمخلوق العنصر الأعظم
وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببىّ ولا على لا سبيل إلى ذلك
وما منهم روح يعرف أنّ ثمّ سواه لفنائه في الحقّ بالحقّ واستيلاء سلطان الجلال عليه.

ثمّ إنّه سبحانه وتعالى أوجد دون هؤلاء الأرواح بتجلّ آخر من غير تلك المرتبة فخلق أرواحا متحيّزة في أرض بيضاء خلقهم عليها وهيّمهم فيها بالتسبيح والتقديس لا يعرفون أنّ الله خلق سواهم ولاشتراكهم مع الأوّل في نعت الهيمان

لذلك لم نفصّل بل قلنا الأرواح المهيّمة على الإطلاق وكلّ منهم على مقام من العلم بالله والحال وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة وسمّيت أرضا لنسبة مكانيّة لهذه الأرواح المتحيّزة لا يجوز عليها الانحلال ولا التبدّل

فلا تزال كذلك أبد الآباد كما سبق في العلم والإنسان في هذه الأرض مثال وله حظّ فيهم وله في الأرواح الأول مثال آخر
وهو في كلّ عالم على مثال ذلك العالم ثمّ نقول إنّا ما أوردنا شيئا ممّا ذكرناه أو نذكره من جزئيّات العالم إلّا واستنادنا فيه إلى خبر نبوىّ يصحّحه الكشف
ولو كان ذلك الخبر ممّا تكلّم في طريقه فنحن لا نعتمد فيه إلّا على ما يخبر به رجال الغيب رضي الله عنهم
ثمّ نرجع ونقول إنّ هذا العنصر الأعظم المخزون في غيب الغيب له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ولا وجود لذلك العالم في العين وهذا العنصر أكمل موجود في العالم
ولولا عهد الستر الّذي أخذ علينا في بيان حقيقته لبسطنا الكلام فيه وبيّنّا كيفيّة تعلّق كلّ ما سوى الله به .

فأوجد سبحانه على ما قال الوارد الشاهد عند تلك الالتفاتة العقل الأوّل وقيل فيه أوّل لأنّه أوّل عالم التدوين والتسطير والالتفاتة
إنّما كانت للحقيقة الإنسانيّة من هذا العالم فكان المقصود فخلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز أسبابا مقدّمة لترتيب نشأته
كما سبق في العلم ترتيبه ومملكة ممهّدة قائمة القواعد فإنّه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله
فلا بدّ من تقدّم وجود العالم عليه وأن ويكون هو « آخر موجود بالفعل وإن كان أوّل موجود

بالقصد كمن طلب الاستظلال والاستكنان فوقعت فكرته على السقف ثمّ انحدر إلى الأساس فكان الأساس آخر مقصود بالعلم وأوّل موجود بالفعل .
وكان السقف أوّل معلوم بالقصد وآخر موجود بالفعل فعين الإنسان هي المقصودة وإليه توجّهت العناية الكلّيّة فهو عين الجمع والوجود والنسخة العظمى والمختصر الشريف الأكمل في مبانيه

باب في خلق العقل الأوّل وهو القلم الأعلى

فأوّل ما أوجد الله من عالم العقول المدبّرة جوهر بسيط ليس بمادّة ولا في مادّة عالم بذاته في ذاته علمه ذاته لا صفة له مقامه الفقر والذلّة والاحتياج إلى باريه وموجوده ومبدعه .
له نسب وإضافات ووجوه كثيرة لا يتكثّر في ذاته بتعدّدها فيّاض بوجهين من الفيض
فيض ذاتيّ وفيض إراديّ
فما هو بالذات مطلقا لا يتّصف بالمنع في ذلك وما هو بالإرادة .
فإنّه يوصف فيه بالمنع وبالعطاء وله افتقار ذاتيّ لموجده سبحانه الّذي استفاد منه وجوده وسمّاه الحقّ سبحانه وتعالى في القرآن حقّا وقلما وروحا وفي السنّة عقلا وغير ذلك من الأسماء
قد ذكرنا أكثرها في كثير من كتبنا قال الله تعالى "وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ" وهو أوّل عالم التدوين والتسطير
وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانيّة الّتي من أجلها وجد ولها قصد ميّزها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزا إلهيّا علم نفسه فعلم موجده فعلم العالم فعلم الإنسان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه لسان إجمال والحديث الآخر أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه لسان تفصيل فهو العقل من هذا الوجه
وهو القلم من حيث التدوين والتسطير
وهو الروح من حيث التصرّف
وهو العرش من حيث الاستواء
وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء ورقائقه الّتي تمتدّ إلى النفس إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة إلى الحركات إلى المولّدات إلى الإنسان إلى انعقادها في العنصر الأعظم وهو أصلها ستّة وأربعون ألف ألف رقيقة وستّمائة ألف رقيقة وستّة وخمسون ألف رقيقة
ولا يزال هذا العقل متردّدا بين الإقبال والإدبار يقبل على باريه مستفيدا فيتجلّى له فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه
فيعلم من باريه قدر ما علم من نفسه فعلمه بذاته لا يتناهى فعلمه بربّه لا يتناهى

وطريقة علمه به التجليّات وطريقة علمه بربّه علمه به ويقبل على من دونه مفيدا هكذا أبد الآباد في المزيد

فهو الفقير الغنىّ العزيز الذليل العبد السيّد

ولا يزال الحقّ يلهمه طلب التجلّيات لتحصيل المعارف واستواء هذا الاسم عليه كان من أحد العرش فأذكر العرش

باب في ذكر العرش

اعلم أنّ العرش خمسة :

عرش الحياة وهو عرش الهويّة

وعرش الرحمانيّة

والعرش العظيم

والعرش الكريم

والعرش المجيد

فعرش الحياة هو عرش المشيئة وهو مستوى الذات

وهو عرش الهويّة قال تعالى: " وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ" فأضافه إلى الهويّة وجعله على الماء

فلهذا قلنا أنّه عرش الحياة قال تعالى "وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ "

وقال فيه "وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ" أي أظهر الحياة فيكم " لِيَبْلُوَكُمْ "

وكذلك قال تعالى في موضع آخر" الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ "

فجعل ليبلوكم إلى جانب الحياة فإن الميّت لا يختبر وهو قوله:" عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ"

وهو قوله تعالى :"وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " .

فهو العنصر الأعظم أعنى فلك الحياة وهو اسم الأسماء ومقدّمها وبه كانت وقوله تعالىوَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ من حيث هو حىّ لا من حيث هو جوهر

والعرش المجيد هو العقل الّذي ذكرناه

والعرش العظيم النفس وهو اللوح المحفوظ الّذي نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى

ويتلوه العرش الّذي هو عرش الرحمانيّة وهو فلك الأفلاك ويتلوه العرش الكريم وهو الكرسىّ

وسنذكر هذه كلّها في أماكنها إن شاء الله .

باب في العرش العظيم

وهو اللوح المحفوظ وهو النفس الناطقة الكلّيّة الثابتة ولمّا أوجد الله سبحانه القلم الأعلى أوجد له في المرتبة وانشد :

رأيت النفس ليس لها وجود * بلا عقل ويأخذها الحدود

فأوجدها فراشا فهي ارض * لعقل في تعقلها يجود

بها ولها تعيّن كلّ شيء * وكان لهما التلذّذ والمزيد
هي العرش الذي ما فيه شكّ * وذلك عرشها عرش المجيد
وينظرنا من استولى عليه * بأسماء يقال لها الصعيد
ومن ينزل بساته يكنه * ويحميه بمنزلة السعود
وكان مراده منها نبيّها * فبان بأنّه الحقّ للمريد
ودلّ دليل فينا فقلنا * هو المولى ونحن له العبيد
فإن قلنا بأنّا قد عقلنا * سوى هذا ونحن به شهود
صدقنا في مقالتنا عليه * إذا كان المراد هو الشهيد
وليس كذلك المعنى فحقّق * فأنت العالم الندب الجليد

الثانية هذه النفس الّتي هي اللوح المحفوظ وهي من الملائكة الكرام وهو المشار إليه بكلّ شيء في قوله تعالى : "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ "وهو اللوح المحفوظ " مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ "
وهو اللوح المحفوظ وقال تعالى "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ"
فهو موضع تنزيل الكتب وهو أوّل كتاب سطر فيه الكون فأمر القلم أن يجرى على هذا اللوح بما قدّره وقضاه ممّا كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أوّل موجود وإيجاد الأرواح المهيّمة في جلال الله تعالى

وجماله الّذين لا يعرفون العقل ولا غيره ولا يعرفون سوى من هاموا في جلاله وطاشوا بمشاهدته شهودهم دائم ليس لهم لحظة إلى ذواتهم ولا رجعة إليهم أفناهم الأبد عبدوا الله بحقّه لا من حيث أمره وعلى قلوب هؤلاء الأرواح هم الأفراد منّا الخارجون عن دائرة القطب

وممّا يكون إلى أن يقال فريق في الجنّة وفريق في السعير ويذبح الموت ويقوم منادى الحقّ على قدم الصدق يا أهل الجنّة خلود فلا خروج في النعيم الدائم الجديد
ويا أهل النار خلود فلا خروج في العذاب المقيم الجديد إلى هنا حدّ الرّقم بما بينهما وما بعد هذا فله
حكم آخر إن يمكن لنا أن نذكره في أثناء كلامنا كان وإن لم يجز منّا عليه لسان ذكر فلا حاجة لنا في التعريف به
فهذا اللوح محلّ الإلقاء العقليّ هو للعقل بمنزلة حوّاء لآدم عم وسمّيت نفسا لأنّها وجدت من نفس الرحمن
فنفّس الله بها عن العقل إذ جعلها محلّا لقبول ما يلقى إليها ولوحا لما يسطره فيها
وليس فوق القلم موجود محدث يأخذ منه يعبّر عنه بالدّواة
وهي النّون كما ذكره بعضهم وإنّما نونه الّتي هي الدواة عبارة عمّا يحمله في ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل

فلا يظهر لها تفصيل إلّا في اللوح الّذي هو اللوح المحفوظ
فهو محلّ التجميل والنفس محلّ التفصيل وهذا القلم له ثلاثمائة وستّون سنّا من حيث ما هو القلم وثلاثمائة وستّون وجها

ونسبة من حيث ما هو عقل وثلاثمائة وستّون لسانا من حيث ما هو روح مترجم عن الله ويستمدّ كلّ سنّ من ثلاثمائة وستّين بحرا وهي أصناف العلوم وسمّيت بحرا لاتّساعها
وهذه البحور هي إجمال الكلمات الّتي لا تنفد ولها جاء المثل في القرآن :" وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ "
لأنّ غاية كلّ نقطة من البحر أن يكتب بها عين ذاتها لا غير وتبقى

الأقلام وجميع المخلوقات الكائنة في الآن والماضية والمستأنفة وهذا الملك الكريم الّذي هو اللوح المحفوظ
هو أيضا قلم لما دونه وهكذا كلّ فاعل ومنفعل نوح وقلم ولهذه النفس من الرقائق والوجوه على عدد ما للعقل وجعل الله أمر التركيب وعالم الأجسام والإنشاءات

كلّها بيد هذا الملك الكريم فإذا اعتدلت المباني واستوت المعاني وتصوّرت نشأتها نورانيّة كانت أو ناريّة أو ظلمانيّة أو شفّافة
كان القلم الأعلى واهب الأرواح فيها الّتي جعله الله أمينا عليها وهو فيض عجيب ذاتيّ له وإرادى لله تعالى

ولهذا الملك الكريم نسبتان **نسبة نورانيّة** وهو ممّا يلي العقل الكريم **ونسبة ظلمانيّة** وهو ممّا يلي الهباء بحر الطبيعة وهي في نفسها خضراء لهذا الامتزاج الدقيق العجيب .
وقد استوفينا ذكرها وصفتها في كتاب النفس وهو كتاب الزمرّدة الخضراء وذكرنا أيضا مقام القلم الأعلى في كتاب مفرد سمّيناه الدّرّة البيضاء
والمقصود من هذا الكتاب كيف كان تمهيد المملكة لوجود الخليفة الّذي هو الإنسان
باب العرش الرحمانيّ

الجامع للموجودات الأربعة وهي الطبيعة والهباء والجسم والفلك مثل ما لاح لعين في الهوا برق يماني
ثمّ أوجد الله سبحانه الهباء فأوّل صورة قبل صورة الجسم هو الطّول والعرض والعمق فظهرت فيه الطبيعة فكان طوله من
العقل وعرضه من النفس وعمقه الخلاء إلى المركز فلهذا كانت فيه هذه الثلث الحقائق فكان مثلّثا وهو الجسم الكلّى وأوّل شكل قبل هذا الجسم الشكل الكرىّ .

فكان الفلك فسمّاه العرش واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الّذي يليق به الّذي لا يعلمه إلّا هو من غير تشبيه ولا تكييف
وهو أوّل عالم التركيب فكان استواؤه عليه من العماء وهو عرش الحياة
وهو العرش السادس وهو عرش نسبى ليس له وجود إلّا بالنسبة .
ولذلك لم نجعله في العرش وهذا البحر هو البحر الفاصل بين الحقّ والخلق وهو حجاب العزّة لنا وله.

فمن أراد منّا الوصول إليه وقع في هذا البحر فينسب الفعل للكون وما بيد الكون من الفعل شيء بل الفعل كلّه للواحد القهّار وإذا أراد هو الوصول إلينا بما هو عليه وقولنا إذا أراد قول مجازىّ لا حقيقي
بل هي إشارة لتوصيل معنى يجب أن يفهم عنّا كان نزوله إلينا بنا فقيل ينزل واستوى
والله يفرح بتوبة عبده ويضحك ربّنا ويتعجّب ويتبشبش
والله يستهزئ بهم وما أشبه هذا كالمكر والكيد
وجعل سبحانه لهذا العرش حملة ثمانية يحملونه يوم القيامة
وأمّا اليوم فيحمله منهم أربعة الملك :
الواحد على صورة إسرافيل
والثاني على صورة جبرائيل
والثالث على صورة ميكائيل
والرابع على صورة رضوان
والخامس على صورة مالك
والسادس على صورة آدم
والسابع على صورة إبراهيم
والثامن على صورة محمّد صلى الله عليه وسلم
هذه صور مقاماتهم لا صورة نشآتهم
قال ابن مسرّة الجبلىّ رحه في هؤلاء لمّا ذكرهم كما ذكرناهم
فإسرافيل وآدم للصّور
وجبرائيل ومحمّد صلى الله عليه وسلم للأرواح
وميكائيل وإبراهيم للأرزاق
ورضوان ومالك للوعد والوعيد ويكون العرش عند هذا عبارة عن الملك
وعمّر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافّين وهم الواهبات
وهنا مقام إسرافيل عم وهو فم القرن وبمشاهدة هذا الاستواء يصير كذا وكذا مرّة في اليوم كالوضع من استيلاء سلطان العظمة الإلهيّة على قلبه
ومن هنا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صريف الأقلام
ومن هنا نزل الرّفرف
ومن هنا غلبت عليه حالة الفناء فتجرّد عن عالم التركيب

ومن هنا نودي بصورت أبى بكر الصدّيق تأنيسا له إذ كان أنيسه قف إنّ ربّك يصلّى عليك ثمّ تلا عليه "هو الّذي يصلّى عليكم وملائكته "
وهو أحد الحجب الثلاثة الّتي تبقى بين أهل الجنّة وبين الحقّ إذا جمعوا للرؤية وهو آخر الحجب والفلكان الّذان بعدها نحن نذكرهما إن شاء الله

باب العرش الكريم وهو الكرسيّ

موضع القدمين ثمّ انّ الله تعالى أدار هذا الفلك الآخر سمّاه الكرسيّ وهو في جوف العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض
وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء وعمّر هذا الكرسيّ بالملائكة المدبّرات وأسكنه ميكائيل وتدلّت إليه القدمان
فالكلمة واحدة في العرش لأنّه أوّل عالم التركيب وظهر لها في الكرسيّ نسبتان لأنّه الفلك الثاني فانقسمت به الكلمة
فعبّر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام وإن كان واحدا إلى أمر ونهى وخبر واستخبار
وعن هذين الفلكين تحدث الأشكال الغريبة في علم الأركان
وعنهما يكون خرق العوائد على الإطلاق وهي من الأشكال الغريبة لا يعرف أصلها
وهو هذا وتظهر في عالمين في عالم الخيال كقوله تعالى:" يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى" .

وفي عالم الحقيقة مثل المعجزات والكرامات وهذان الفلكان قلّ من يعثر عليهما أو يصل إليهما من أصحابنا إلّا الأفراد وكذلك من أرباب علماء الهيئة والأرصاد
وإذا رأوا شكلا غير معتاد في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكل غريب حدث في الفلك عنه صدر هذا الّذي هو غير معتاد لا يجرى على قياس

ومن هذين الفلكين كانت الخواصّ في الأشياء وهي الطبيعة المجهولة فيقولون تفعل بالخاصيّة فلو أدركوا حركة هذين الفلكين لم يصحّ لهم أن يجهلوا شيئا في العالم
وقد ذكرنا من عالم التدبير القلم واللوح والطبيعة والهباء والجسم والعرش

والكرسيّ وما بينها من العوالم لأنّ في كلّ فلك من الأفلاك وفي كلّ ركن من الأركان عالم من جنس كلّ فلك وركن وطبيعة
ولهم عمّارها وسكّانها " يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ " لأنّهم لا يلحقهم في ذلك على ولا نصب فإنّ نسبة التسبيح إليهم نسبة الأنفاس إلينا تقتضيها نشأتهم
كما تقتضي نشأتنا الأنفاس قال تعالى :" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " ." وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ "
من جهة الفكر والنظر إلّا أن يمن الله على بعض عباده بعلم ذلك " وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ "

باب فلك البروج وهو الأطلس

ثمّ أدار سبحانه في جوف هذا الكرسيّ هذا الفلك وهو الأطلس قال تعالى:" وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ " وهي تقديرات في الفلك الأطلس الّذي لا كوكب فيه
ولهذا سمّى بالأطلس وهو بالنسبة إلى الكرسيّ كنسبة الكرسيّ إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة وخلق بين هذين الفلكين عالم الرّفارف وهي المعارج العلّى
وفيه خلق عالم المثل الإنسانيّة وتسبيحهم **سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح**
وسبب هذا التسبيح أنّ الشخص منّا إذا فعل فعلا لا يرضى الله تعالى تغيّرت صورة مثاله في هذه الحضرة
فيرسل الحجاب بينه وبين من فيها حتّى لا يرون ما قام بها من التغيير فإذا أقلع عن المخالفة رجعت إليه صورته فلا يرون منه إلّا حسنا فلهذا يكون تسبيحهم سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح
هكذا روينا هذا الخبر وهو عالم الحجب وإرخاء الستور
وفي هذا الفلك مقام جبرائيل وفيه الملائكة المقسّمات وهم عمّاره وإلى هذا الفلك ينتهي علم علماء الأرصاد أكثرهم بل ربّما كلّهم

ولا كوكب فيه والبروج فيه تقديرات فهو منقسم على ذلك اثنى عشر قسما جعل في كلّ قسم ملكا من الملائكة
وهو رئيس ذلك القسم وتحفّ به ملائكة من المقسّمات وأنشأهم على صور مختلفة وسمّوا بأسماء صورهم في عالمنا فالملك الأوّل على صورة الميزان
وطبيعة بيته الّذي هو قسمه من هذا الفلك حار رطب
وولّاه الحكم في عالم التكوين ستّة آلاف سنة ثمّ ينتقل الحكم إلى غيره إلى أن ينتهى إليه فيمكث هذه السنين المعلومة

وهو أوّل فلك دار بالزمان وفيه حدثت الأيّام دون الليل والنهار
وكان أوّل حركة الزمان بهذا الفلك وقد استدار في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله

وجعل بيد هذا الملك الكريم **مفتاح خلق الأحوال والتغييرات** والزمان الّذي خلق الله فيه السماوات والأرض وأحدث فيه الليل والنّهار **وهو متحرّك**
والملك الثاني على صورة العقرب وطبيعة بيته الّذي هو قسمه من هذا الفلك **بارد رطب** وولّاه الحكم في عالم التكوين خمسة آلاف سنة
كلّما جاءت دولته وجعل الله بيده خلق النار **وهو ساكن**

والملك الثالث الّذي يليه على صورة القوس وطبيعة بيته الّذي هو قسمه من هذا الفلك **حارّ يابس** وولّاه الحكم في عالم التكوين أربعة آلاف سنة
كلّما جاءت دولته وهو ملك كريم بيده أزمّة الأجساد النورانيّة والظلمانيّة
وجعل بيده مفتاح خلق النبات

والملك الرابع خلقه الله على صورة جدى وطبيعة بيته الّذي هو قسمه من هذا الفلك **بارد يابس** وولّاه الحكم في عالم التكوين ثلاثة آلاف سنة **وهو ملك متحرّك** وجعل الله بيده مفتاح الليل والنهار .

والملك الخامس خلقه الله تعالى على صورة دلو وجعل طبيعة بيته الّذي هو قسمه من هذا الفلك **حارّا رطبا** وجعل ولايته ألفي سنة وهو ملك كريم جعل عليه سكون ووقار وهيبة
وجعل بيده مفتاح الأرواح

والملك السادس خلقه الله على صورة حوت
وجعل قسمّه من هذا الفلك **باردا رطبا** وجعل دولته ألف سنة وله اشتراك مع ملك الأجسام النورانيّة والظلمانيّة فيهما وجعل بيده مفتاح خلق الحيوان

والملك السابع خلقه الله على صورة كبش
وجعل قسمه من هذا الفلك **حارّا يابسا** وجعل دولته اثنى عشر ألف سنة **وهو ملك متحرّك** وجعل بيده مفتاح خلق الأعراض والصفات

والملك الثامن خلقه الله تعالى على صورة ثور
وجعل قسمه من هذا الفلك **باردا يابسا** وجعل دولته أحد عشر ألف سنة وهو ملك عليه وقار وهيبة وعليه عمل السامرىّ العجل وظنّه لمّا رآه إله موسى عليه السلام في حديث طويل ليس هذا موضعه وجعل بيده مفتاح خلق الجنّة والنار .

والملك التاسع خلقه الله تعالى على صورة توأمين
وجعل قسمه من هذا الفلك **حارّا رطبا** وجعل دولته عشرة آلاف سنة وله اشتراك مع ملك الأجسام فيها وجعل بيده مفتاح خلق المعادن

والملك العاشر خلقه الله تعالى على صورة سرطان
وجعل قسمه من هذا الفلك **باردا رطبا** وجعل دولته تسعة آلاف سنة وهو ملك متحرّك وجعل بيده مفتاح خلق الدنيا .

والملك الحادي عشر خلقه الله على صورة أسد

وجعل قسمه من هذا الفلك **حارّا يابسا** وجعل دولته ثمانية آلاف سنة وهو ملك كريم تعلوه مهابة وجعل بيده مفتاح خلق الآخرة

والملك الثاني عشر خلقه الله تعالى على صورة سنبلة
وجعل . قسمه **باردا يابسا** وجعل دولته سبعة آلاف سنة وله اشتراك مع ملائكة الأجسام وله اختصاص معيّن بالأجسام الانسانيّة
وكمل الفلك وكمل عالم التكوين
فعن الأسد والقوس والحمل وجدت كرة الأثير
وعن الجوزاء والميزان والدلو وجدت كرة الهواء
وبالسّرطان والعقرب والحوت وجدت كرة الماء
وبالثور والسنبلة والجدي وجدت كرة الأرض
ومن هذا الفلك إلى المركز حكم الطبيعة بالتغيير والاستحالات والكون والفساد عند قبول المستعدّ لذلك بالاستعداد الّذي خلقه الله فيه
وبوجود هذا الفلك حدثت الأيّام كما ذكرنا دون الليل والنهار وقد ذكرنا ذلك في كتاب الشأن فدار هذا الفلك بتقدير العزيز عن أحكام تأثيره فيه العليم بما وضعه له من الحكمة البالغة وهو الفاعل سبحانه لكلّ شيء
وهذه أسباب نصبها سبحانه لما سبق في علمه وليبتلى بها عباده فمن أضاف الفعل إليها فهو مؤمن بها كافر باللّه تعالى .

ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى فهو مؤمن باللّه كافر بها
هكذا جاء الشرع الّذي له الإيمان والكفر وأمّا العقل فانّه يدلّ على أنّه لا فاعل

إلّا الله وما أحسن ما قال صلعم وما بلّغ عن ربّه بأشرف عبارة وألطف إشارة
فقال في أثر سماء كانت وقد أصبحوا بخرافات من جهينة أتدرون ماذا قال ربّكم
قال :" أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب كافر بي ومؤمن بالكواكب "
فأمّا من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب .
ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كفر بي مؤمن بالكواكب ".

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: بعد ذلك مطرنا بنوء الفتح ويتلو " ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا ممسك لها " الآية
فأدار رسول الله صلى الله عليه وسلم القسمة بين المؤمن والكافر بأىّ وجه كان ونبّه بذلك على القسم الثالث المدرج بينهما
وهم القسم الّذي يضيف الفعل إلى الله تعالى بحكم الإيجاد والإبداع ويضيف الفعل إلى المخلوق بحكم التوجّه والقصد والانبعاث والكسب وعلى الوجه الّذي أضاف الله تعالى به الفعل إلى عبده فقال :" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ ".

وأضاف العمل إلينا بهذا الحكم مع كون ذلك العمل خلقا له وإبداعا لا إله إلّا هو فلهذا جعله كافرا أي ساترا ولم يقل مؤمن بي جاهل بالكواكب لكن قال كافر أي ساتر ما يعرف منه

باب فلك الكواكب الثابتة .

وهو آخر الأفلاك الثابتة ثمّ أحدث الله هذا
الفلك الرابع وخلق عالم الرضوان بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنّة ومقعّره يكون سقفا للنار وفيه أسكن رضوان خازن الجنان وهو من الملائكة الكرام وملائكة هذا الفلك

يقال لهم التاليات وقال بعض أهل المقاييس في قوله تعالى :" وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ "
أنّ هذا الفلك أحد الثمانية الحملة والسبعة الأفلاك الّتي تحته الّتي سنذكرها إن شاء الله تعالى وجعل فلك البروج هو العرش وهو الأطلس والأمر على خلاف ما قاله من كلّ وجه وهذا الترتيب لا يمكن إدراكه إلّا بالكشف والاطلاع أو بخبر الصادق
وكذا المنجّمون أهل الأرصاد وأصحاب علم الهيئة لم يعرفوا ما عرفوا من ذلك إلّا بطريق الكشف الحسّيّ
فأبصروا حركات الكواكب فاستدلّوا بذلك على كيفيّة الصنعة الإلهيّة وترتيب الهيئة فأخطئوا في بعض وأصابوا في بعض واختلفت آراؤهم في ذلك اختلافا معروفا متداولا بين أهل هذا الشأن .
وإنّ الله تعالى لمّا خلق هذا الفلك رتّب في مقعّره ألف مرتبة وإحدى وعشرين مرتبة قسم الفلك عليها أقساما كما قسم فلك البروج على اثنى عشر قسما فظهر لكلّ قسم كرة فظهرت اثنا عشر كرة وهو فلك الكواكب والسبعة الأفلاك الّتي تحته والأربعة الأركان فهذه اثنا عشر وحكمها
إنّما هو فيها كما رتّبه وقدّره العزيز العليم وقد نبّه عباده على هذا فقال تعالى : "
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ " .
فكذلك قسم هذا الفلك الرابع إلى الأقسام الّتي ذكرناها

وجعل في كلّ قسم ملكا من الملائكة على صورة عالم من العوالم الكائنة في عالم الأركان فحصر صور عالم الأركان بتلك الأقسام فدار هذا الفلك دورة أبرز فيها عالم الجنان كحركة الأرض في إخراج النبات كما قال تعالى في الأرض:" اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " .

فكلّ فلك يحكم فيما دونه بما أودعه الحقّ فيه وفطره عليه وهذا الفلك هو فلك الحروف من هنا انتشأت في عالم الأجسام على الثمانية والعشرين منزلة ثمانية وعشرون حرفا على المخارج المستقيمة
ثمّ حروف خرجت عن حدّ الاستقامة في الإنسان وغيره من الحيوانات وهي بعدد ما بقي من الأقسام مقدارا بمقدار لا يزيد ولا ينقص ومثالها في الإنسان كالحروف بين الباء والفاء وكالحروف بين الجيم والشين وكحروف الخيشوم .

وهكذا في الحيوانات وأخبرني بعض العلماء من تلميذ جعفر الصادق رضه أنّه أوصلها إلى سبعة وسبعين حرفا في الحيوانات .

ولمّا كانت الحروف من هذا الفلك لا تعطى خواصّها إلّا ما يعطيه حكم المنازل ولا تعطى أبدا شكلا غريبا لأنّها دون الفلكين .
غير أنّ لها روحانيّة لطيفة في الفلك الأطلس الّذي هو سقف الجنّة بها يبقى الكلام على أهل الجنّة أعنى الحروف الفكريّة وأمّا اللفظية
فهي لهم في نفس هذا الفلك الّذي هم فيه ولكن هو ألطف وأعذب من هذا الكلام المعتاد للعباد لأنّها تفعل هناك بالروحانيّة الخالصة كشكلنا أيضا في الجنان على أعدل نشأة

فأنتج الاستعداد الحسن والفيض الروحانىّ نتيجة تناسب نشأتها وبما في الفلك الأطلس من الطبيعة وفي هذا الفلك كان في الجنّة الأنهار والرياح والأشجار والحور والقصور والولدان والأكل والشّرب والنكاح والانتقالات من حال إلى حال على أهل الطبيعة
إلّا أنّ الأمر ثابت في عين الحوامل والقوابل بحفظ الاعتدال فلا يستحيلون أبدا
لكن يختلف عليها الصّور والحالات والصفات والأشكال في المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأعراض بشريف
وأشرف وحسن وأحسن وجميل وأجمل حكمة بالغة من عزيز عليم
وهنا نكتة اللطيفة الانسانيّة ليست من عالم الاستحالة والفناء بل هي من عالم الثبوت والبقاء وهي تستدعى بيتا تدبّره يسمّى الجسم الطبيعىّ
وهي المخاطبة العاقلة الحية الدائمة الملتذّة المتألّمة والجسم بما هو جسم طبيعىّ يتغذّى ويتخلّل قليلا قليلا
وينمو قليلا قليلا ويعطى الغذاء من الزيادة قدر ما نقص والفاضل يخرج في هذه الدار عذرة وبولا وبصاقا ومخاضا وعرقا

وهناك ليس إلّا العرق خاصّة يخرج من أعراضهم يعنى من الأبدان وهو فضلات الأغذية أطيب من ريح المسك فالمعتبر من الإنسان لطيفته وهي الحافظة لما

حصّلت والمميّزة لما أدركت فتفهّم هذا فإنّه ينفعك فلمّا أكمل سبحانه أفلاك الثبات والبقاء وصارت الكلمة أربعة بوجود هذا الفلك الرابع
أراد سبحانه إيجاد عالم الدنيا من الأركان والسماوات السبع والمولّدات الّتي مال تراكيبها وأجسامها إلى فساد وانتقال وما من فلك أوجده الحقّ تعالى من هذه الأفلاك الثابتة إلّا وقد جعل الله سبحانه للملكين الكريمين القلم واللوح توجّها إليها عند ما أراد إيجاده
ويخلق الله عند التوجّه ما شاء أن يخلقه ممّا شاء أن يتوجّه عليه لا بالتوجّه لأنّه يتعالى ويتقدّس عن المعين والشريك وأحكام الأسباب إذ هو الناصب لها والخالق
وما لها سبب إلّا من حيث التوجّه والقصد وهو خلق للّه تعالى مثل أعمالنا المرادة لنا بخلقه سبحانه الإرادة فينا إلى تحريك يدنا أو إلى فعل من الأفعال المرادة لنا

فعند ما تتعلّق إرادتنا بتحريك يدنا أو بفعل ما خلق الله تعالى الحركة في اليد وذلك الفعل ليس غير ذلك
فلا فاعل في الوجود إلّا هو سبحانه هذا هو الّذي أعطاه دليلي وكشفي وهو علمي واعتقادي نسأل الله الثبات عليه وأنّه سبحانه ليس بعلّة لشيء بل هو الواحد
أوجد ما أوجده إيجادا من لم يكن إلى فكان ما ثمّ أزلي قديم انتفت عنه الأوّليّة إلّا هو لا إله إلّا هو فجعل سبحانه للنفس الكلّيّة الّتي هي اللوح توجّها
من حيث أنّه يريد إيجاد الأجرام النورانيّة وغيرها حتّى إذا حصّلت الاستعدادات لأشخاص أنوار هذه الأفلاك على حسب مقاماتهم ومراتبهم الّتي أهّلهم الله تعالى لها وأهّلها لهم وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ
توجّه العقل الّذي هو القلم عن إذن الواحد القهّار توجّه النّفخ
فأوجد الله الأرواح الملكيّة في الأشخاص الفلكيّة
فقامت حيّة ناطقة بالثّناء على الله تعالى . ولذلك خلقها
ولنا في هذا النوع الملكيّ أبيات أوّلها:

روح من الروح في جسم من النور * كالماء أودعته في جام بلّور
يعطيك ظاهره أسرار باطنه * كالمبصرات إذا ما فضّ في النور
له الجناح إذا ما شاء يبسطه * أو شاء يقبضه من غير تشمير
له اليدان له العينان نبصرها * في العين قائمة من غير تصوير
لواحد سدرة علياء يسكنها * وآخر همّه في النّفخ في الصّور
وثالث يقبض الأرواح كارهة * وواهب رزقه من غير تغيير
وخامس يسمع الأرواح دعوته * خير يجود وبخل خلق تدمير
هم الكثيرون لا يحصى مقاصدهم * ولا مراتبهم إلّا من الطّور
فمن على الطور يلحظ سرّ خلقهم * وفوقه سابح في ماء تنّور

وفرق بين النفخ والدّعاء

ولهذا بيّنّا أنّ النفخ في البدء والإعادة فإنّ الإعادة كالبداءة سواء
ولهذا قال : "كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ "

وقال في خلق عيسى عم الطير "فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي " وهو إيجاد مخصوص والدّعاء ليس كذلك كما قال لإبراهيم عليه السلام "ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً "
وما كان أذهب منهنّ شيئا إلّا فساد عين التركيب وأمّا الأجزاء فهي باقية بأعيانها
وليس حكم الجوهر بعد زوال الحياة منه الّتي كان يحملها حسّا لنا مثل الجوهر الّذي لم يكن له ذلك أصلا
مع أنّا نعلم أنّه ما من شيء إلّا سبّح بحمده إيمانا ولا نعلم الكيفيّة ولا يكون التسبيح إلّا من حيّ .

باب خلق الدنيا

ثمّ انصرف النظر والتوجّه الإرادىّ الإلهيّ بعد خلق ما ذكرناه إلى النّفس الّذي هو الملك الكريم
فأوحى الله تعالى أن ينحدر بالتدبير في عمق الجسم إلى أقصاه وذلك نقطة مركزه المعبّر عنها بعجب الذّنب الّذي تقوم عليه النشأة
وهو جزء لا يبلى وهو محل نظر العنصر الأعظم الّذي خلق العقل من التفاتته فانحدر الملك الكريم بإذن العزيز العليم إلى أن انتهى إلى المركز فوجد نظر العنصر الأعظم إليه .
وأنّ أمر الكون المدبّر كلّه منه صدر وإليه يعود حكمة بالغة
فأدار كرة الأرض ابتداء وكانت هذه الحركة من هذا الملك بطالع السرطان وهو الملك الكريم الّذي ذكرناه في سماء البروج
وجعل ممّا يلي المركز صخرة عظيمة كريّة وفي نقطة تلك الصخرة الصّمّاء حيوانا في فمه ورقة خضراء يسبّح الله ويمجّده وهو الحيوان الأشرف .

ولنا فيه كلام طويل فإنّ مقامه من أعجب المقامات وعمّر هذه الأرض بصنف من الملائكة يقال لهم الناشرات
وقد نبّه الشرع عليها أنّ الملائكة تنشر أجنحتها لطالب العلم وهم هؤلاء فإنّ الأرض إنّما هي لعباده الصالحين وهم العلماء بالله
وجعل فيها مقدّما من الملائكة عظيما اسمه قاف وإليه ينسب الجبل المحيط بالأرض جبل قاف .
فإنّه مقعد هذا الملك وبيده حكم الأرض وحكم الزّلازل والرّجفات والخسف وكلّ ما يحدث في الأرض منها بيد هذا الملك زمامه
وجعل هذه الأرض محلّ أكثر المولّدات وهي المقصودة من بين سائر الأركان وفيها ينزل الخليفة وعليها ينزل الأمر الإلهيّ .

ولمّا كانت المقصودة لم تتنزّل الكتب إلّا بذكرها
فقال في غير موضع "السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" و"السَّماءِ وَالْأَرْضِ".
وقال :" وَالسَّماءِ وَما بَناها وَالْأَرْضِ وَما طَحاها "
وقال :"خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " .ثمّ قال :"ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ ".
ولم يذكر من الأركان غيرها فدلّ ذلك على أصالتها وعلى أنّها المقصودة
ثمّ الكشف يعطى بأنّها هي الّتي خلقت أوّلا .

وأنّها أوّل الأركان خلقها قبل بقيّة الأركان وفيها خلاف كثير بين العلماء وقبل السماوات وما فيها . ومنها يكونون في الجنّة وعليها يحشر الناس
غير أنّ نعوتها تتبدّل فتكون الخاصيّة في الحشر الساهرة أي لا ينام عليها لهذه الخاصيّة
وقال :" يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ " والجنّة مبنيّة كلّها وخلقها من نفائس معادنها من اللؤلؤ والمرجان والجوهر والدّر والياقوت والذهب والفضّة والزمرّد والمسك والعنبر والكافور وما أشبه ذلك
وإذا وقفت في الأخبار على أنّ مراكب الجنّة من درّ وياقوت ومرجان وحورها وولدانها وجميع ما فيها فافهم من ذلك ما فهمت .
من "أنّ آدم خلق مِنْ تُرابٍ "، "ومِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " وأنّك مخلوق "مِنْ ماءٍ مَهِينٍ "،
فهو تنبيه على الأصل وكما كانت الأرض للجنّة من حيث ما ذكرناه
فمنها أيضا للنار كلّ معدن خسيس مثل الكبريت والحديد والرّصاص والنّحاس والنّار والقطران وكلّ نتن وقذر .

وقد عبّر الشارع فقال: " سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ، ولَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ "
وصبّ في أذنيه الآنك ويجعل لمن كان يسجد اتّقاء ورياء وهو المنافق ظهره طبقة نحاس وقد نبّه بوادي جهنّم بالبيت المقدّس وبطن محسّرا
وبالأرض الملعونة وبشجرة الغرقد فقسم هذه الأرض وفصّلها بين الجنّة والنار فللنار منها جزء وللجنّة منها جزء .
وأخبر ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة إلّا أنّها لا تتبدّل بالصفات وقد ذكرنا في كتاب الجنّة ما يشفى .
في ذلك وفي كتاب النار ما يشفى في ذلك فالأصل الأرض خلقها بما فيها في أربعة أيّام وهي أربعة آلاف سنة كلّ يوم من الأيّام ألف سنة عنده فعيّن فيها أماكن الخير وأماكن الشرّ مقدّرة .

ثمّ إنّ الله تعالى وتقدّس خلق الأفلاك الثابتة دائرة بالتوجّه نحو الكمال والكائنات يوجدها الحقّ عند دورانها كما يوجد الشّبع عند الأكل

وليس ذلك بمقصود للأفلاك وحلّل في جوف كرة الأرض منها ما حلّل وسخف ولطف فكان ماء نتنا وهو البحر العظيم الّذي يعذّب به أهل الشّقاء وهو ماء أسود وكثيرا ما يظهر آثاره في الأماكن المخسوفة ينفخ له منفس .

فيظهر منه على وجه الأرض ما يظهر ومنه منبع المياه الرديئة كلّها الّتي لا يلائم مزاج الإنسان والحيوانات فدار هذا الماء بالصخرة وصارت الأرض عليه
ثمّ حلّل سبحانه منه ما حلّل ولطّفه ممّا يلي المركز فكان الهواء المظلم وهو اليحموم فدار ذلك الهواء بالمركز الّذي هو الصخرة .

واشتدّت حركة هذا الهواء فامتسك هذا الماء عليه والأرض فوق هذا الماء وتموّج الماء بهذه الريح المظلمة السّموميّة فمادت الأرض
فرأت الملائكة ميد الأرض وقد حصل لهم التعريف من الله بأنّها محلّ خلق يخلقون منها على نشأة مخصوصة لا يمكن معها التصرّف إلّا على ساكن
فقالت يا ربّنا كيف استقرار عبادك على هذه الأرض
فأبدى لهم تجلّيا أصعقهم به وخلق من الأبخرة الغليظة المتراكمة الكثيفة الصاعدة من الأرض الجبال فقالبها عليها فسكن ميد الأرض وذهبت تلك الحركة الّتي لا يكون معها استقرار
<u>وطوّق هذه الأرض بجبل محيط بها وهو من الصخرة الخضراء وطوّق به حيّة عظيمة اجتمع رأسها بذنبها</u>
رأيت من صعد هذا الجبل ومن عاين هذه الحيّة وكلّمها
وقالت سلّم منّى إلى أبى مدين وكان من الأبدال من أصحاب خطوة
يقال له موسى السّدرانيّ وكان محمولا له فسأله يوسف بن يحلف عن طول هذا الجبل في الهواء
فقال صلّيت الضّحى في أسفله والعصر في أعلاه فأنا بهذه المثابة يعنى من اتّساع الخطوة .
ثمّ أفاق الملا الأعلى من صعقتهم فرأوا من قدرة الله تعالى ما هالهم
فقالوا : ربّنا هل خلقت شيئا أشدّ من هذه الجبال؟
فقال نعم الحديد .
فقالوا :ربّنا فهل خلقت شيئا أشدّ من الحديد؟
فقال : نعم النار
فقالوا ربّنا فهل خلقت شيئا أشدّ من النار؟
قال : نعم الماء
فقالوا ربّنا فهل خلقت شيئا أشدّ من الماء ؟
قال : نعم الريح
فقالوا ربّنا فهل خلقت شيئا أشدّ من الريح؟

قال : نعم الإنسان يتصدّق بصدقة فلا تعرف شماله ما تنفق يمينه
فهذا هو الّذي ملك الهواء ، **فمن ملك هواه** فهو أشدّ من الهواء
وهو الّذي ينبغي أن يقال له إنسان ومن لم يحكم هذا المقام فهو حيوان صورته صورة الإنسان لا غير
فقالت سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك أي ما عرفناك حقّ معرفتك إذ تكلّمنا بما لا ينبغي لنا أن نتكلّم به فإنّك أنت العليم القدير
ولمّا كان وجود هذه الأرض وقد دارت الأفلاك الثابتة
تخيّل القدماء الفلاسفة أنّ الأفلاك السماويّة مخلوقة قبل الأرض وأنّه يتنزّل الخلق إلى أن ينتهى إلى الأرض فأخطئوا في ذلك غاية الخطاء
لأنّ ذلك صنعة حكيم وتقدير عزيز عليم يفتقر العلم بذلك إلى إخباره باللسان الصادق والعلم الضروريّ .
أو إقامة المثل بكيفيّة الأمر وليس للقدماء في هذه الطريقة كلّها مدخل فأجالوا الفكر على علم لا يتحصّل بالفكر فأخطئوا من كلّ وجه
ثمّ إنّ الله تعالى أدار بالأرض من جهة سطحها كرة الماء بتسخيف من الأرض وتحليل وعمر هذه الكرة بملائكة يقال لهم الساريات وعليهم مقدّم يسمّى الزاخر
وخلق العالم الملكيّ الّذي هو عالم الذكر بين الماء والأرض فلهم شركة في الماء والأرض
ثمّ أدار بالماء الهواء وجعل عمّاره من الملائكة الزاجرات وعليهم ملك يسمّى **الرّعد**
وجعل بين الماء والهواء من الملائكة عالم الحياة
ثمّ أدار بالهواء كرة الأثير وهو النار وجعل عمّاره من الملائكة السابقات وعليهم ملك كريم هو مقدّمهم لا أعرف له اسما فإنّى ما عرّفت بذلك
وجعل عالم الشوق ممزوجا من الهواء والأثير ومن سطح الأرض إلى سطح هذه الكرة اثنان وسبعون سنة
ثمّ أدار بكرة الأثير السماء الدنيا وجعل عمّاره من الملائكة السابحات وعليهم ملك يسمّى المجتبى
وفيه خلق القمر وهو الإنسان المفرد وفيه أسكن روحانيّة آدم عليه السلام بعد موته
وجعل بينه وبين كرة الأثير علم الخوف من الملائكة
ثمّ أدار بالسماء الدنيا هواء نورانيّا وجعل عمّاره من الملائكة ملائكة المزج
ثمّ أدار بذلك الهواء السماء الثانية وعمّرها بالملائكة الناشطات وعليهم ملك يسمّى الروح وفيه خلق الله كوكبا يسمّى عطارد وهو الكاتب
ثمّ أدار بالسماء الثانية هواء عجيبا جعل عمّاره صنفا من الملائكة يقال لهم عالم الحفظ والحافظات
ثمّ أدار بالهواء السماء الثالثة وعمّره بالملائكة القانتات وعليهم ملك يسمّى الجميل وفيه خلق الله كوكبا يسمّى الزّهرة وأدار به هواء أسكنه عالم الأنس

ثمّ أدار بذلك الهواء السماء الرابعة وعمّره من الملائكة بالصافّات وعليهم ملك يسمّى الرفيع وفيه خلق الشمس
ثمّ أدار بهذه السماء هواء عمّره بعالم البسط ثمّ أدار بهذا الهواء السماء الخامسة وعمّرها من الملائكة بالفارقات وعليهم ملك يسمّى الخاشع وفيه خلق الله كوكبا يقال له الأحمر
ثمّ أدار بهذه السماء هواء عمّره بعالم الهيبة ثمّ أدار بهذا الهواء السماء السادسة وعمّره من الملائكة بالملقيات وعليهم ملك يسمّى المقرّب وخلق الله فيها كوكبا يقال له المشترى
ثمّ أدار بهذه السماء هواء عمّره بعالم الجمال
ثمّ أدار بهذا الهواء السماء السابعة وعمّره من الملائكة بالنازعات عليهم الملك الكريم وفيه خلق الله كوكبا يسمّى كيوان .
ثمّ أدار به هواء إلى مقعّر فلك الكواكب الثابتة عمّره بعالم الجلال وفي هذا الهواء أسكن مالكا خازن النار وعزرائيل الّذي هو ملك الموت وفيه سدرة المنتهى الّتي أغصانها في الجنان وأصولها في أسفل السافلين **فهي الزّقّوم لأهل النار والنعيم لأهل الجنان .**

ومعنى قولنا خلق في هذه الأكرّ كلّها عالم كذا وعمّره بكذا إنّما أريد أنّ الله هيّأ فيها مراتب خلقها وكوّن فيها أجسامها النورانيّة وأعدّها لقبول الأرواح والحياة وأسرار هذه الاستعدادات كلّها في حركات الأفلاك الأربعة الثابتة .

فخلق السماء الأولى سماء القمر على طبع الماء **باردة رطبة** فجعل بينها وبين النار منافرة طبيعيّة حتّى لا تستحيل نارا فكان يبطل ما يراد بها من التحريك والأدوار الّتي يهب الله تعالى المولّدات والصّور عند دورانها في عالم الأركان
ورتّب مسالك خلقها فيها ومقاماتهم ودار هذا الفلك دورة قسريّة فصّل مكانه بها من الجسم الكلّى فظهر الهواء الّذي بينه وبين الفلك الّذي يوجد فوقه
وهكذا فعل في كلّ سماء من السبع
فالسماء الأوّلى والثالثة على طبيعة واحدة **وهي البرودة والرطوبة**
والرابعة والخامسة على طبيعة واحدة وهي **الحرارة واليبوسة**
والسماء الثانية ممزوجة
والسماء السادسة حارّة رطبة
والسماء السابعة باردة يابسة
ثمّ توجّه الحقّ سبحانه وتعالى على هذه السماوات والأرض وما بينهما بخلق الأرواح في صورها المعبّر عنه بالنفخ
فقبلت الأرواح على قدر استعدادها فظهرت أعيان العوالم الّذين ذكرناهم من الملائكة وحييت الأفلاك والأركان فدارت

واتّصل العمران وشهدت وأحبّت البقاء والكمال فتحرّكت في دورانها حركة الشوق إلى ذلك
ولا تشعر هذه الأفلاك ما أودع الله من الأسرار في دورانها
فإذا وقّت الطبيعة ما في قوّتها ممّا جبلها الله عليه في هذا العالم وحصل المنع في الأركان عن القبول عادت آثار حركات الأفلاك عليها
لمّا لم تجد فيها ما تنفذ فتصادمت تصادم الأشخاص هنا فانفطرت ورجعت إلى أصل المبدإ وحدث الليل والنهار بحدوث الشمس في السماء الرابعة
وتميّز اليوم بها عندنا وجعل الله تعالى حركات هذه الأفلاك كلّها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب

كحركات الأفلاك الثابتة بخلاف ما يقول أصحاب علم الهيئة
وذلك أنّهم يرون السّيّارة تقطع في فلك الكواكب الثابتة من النّطح إلى البطين
ومن الحمل إلى الثور فيرون حركتها كأنّها بالعكس من حركة فلك الكواكب الثابتة
فيجعلون حركتها من الغرب إلى الشرق وليس الأمر كذلك
ولكنّ حركة فلك الكواكب على مقدار يعطيه تركيبه وطبعه من السرعة وأفلاك السيّارة معه في ذلك الدور غير أنّه يمشى عنها على قدر قوّته بالوزن المعلوم الّذي قدّره خالقه

فيظهر تأخّر القمر وغيره من السيّارة عن منزل النّطح إلى منزل البطين
وعن برج الحمل إلى برج الثور وهو تأخّر صحيح ولكن ليس بتأخّر حركة ضدّيّة تقابله
وكلّ من قال أنّ حركات الأفلاك مع حركات الفلك المحيط على التقابل فما عنده علم من شبهة ما ذكرناه والقهقرة الظاهرة في بعض السيّارات لسرعة تكون في فلكه في ذلك الوقت أعطاها تركيب ذلك الفلك وطبعه الّذي خلقه الله عليه
وكان هذا الإنشاء العجيب من حضرة الهواء المغيب وهو غيب الغيب ولم يقع منه للّه تعالى إنشاء إلّا وقد جعل سبحانه توجّهات للملك الكريم المعبّر عنه بالنّفس واللوح إلى هذا الإنشاء وتوجّهات للملك الكريم .

الّذي هو العقل والقلم بالوهب الّذي له كما جعل الأدوار للأفلاك
وسكتنا عن إيضاح تحقيق الأسباب لئلّا يتخيّل الناضرة فيها منّا أنّا ممّن يجعل الفعل لغير الله ، أو ممّن يجعل الفعل للّه بمشاركة السبب .
ولسنا من أهل هذين المذهبين وإنّ مذهبنا أن يقدّم

الله ما شاء من خلقه ويؤخّر ما شاء من خلقه ويخلق الشيء من كونه شيئا سببا إن شاء ولا يجعله سببا إن شاء لكن قد شاء وقد سبق في علمه أنّه لا يخلقها إلّا هكذا كما ذكرناه فمحال أن تكون إلّا هكذا لأنّ خلاف المعلوم محال

فلهذا سكتنا عن ذكر سببيّة القلم واللوح ولا سيّما
وقد قال بذلك من يعتقد فيه القائلون بالشرع أهل الحقّ أنّهم كفّار وهم القائلون بالعلّة والمعلول فالعاقل من نظر لنفسه وعامل الوقت بما يليق به
وتجنّب مواطن التّهم عند أصحاب وقته الّتي يؤدّى السلوك فيها عندهم إلى الخروج عن الدين فيما يزعمون وإن لم يكن الأمر كذلك وجهلوا ولا قدرة لك على ردّهم عن ذلك
وللحقّ وجوه كثيرة فخذ منها ما يوافق الوقت ويؤدّى إلى سلامة الدين والدنيا
والمعتمد الدين فإن كان الوقت لا يقتضي في تمشية سلامة الدين فاختر لنفسك أن تظهر الحقّ والدين حتّى تموت مجاهدا
وإن شئت سترت نفسك ودينك وتظهر لهم فيما هم بسبيله بظاهرك إذا جبروك على ذلك فاضطررت إليه واعتزل عنهم ما استطعت في بيتك لإقامة دينك من حيث لا يعلمون
فقد كان بدء الإسلام على هذه الصورة من التكتّم وقد جاء في القرآن إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ .
كما قال أيضا في المجاهدين :" وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ " .
فانظر لنفسك من حيث دينك فإنّ إليه مردّك وهو الّذي يبقى لك والدنيا عرض زائل وعرض ماثل وهو ما لا يبقى عليك ولا تبقى عليه واصرمه قبل أن يصرمك وكن من حزب الله ولا تيأس من روح الله .

باب في الاستحالات

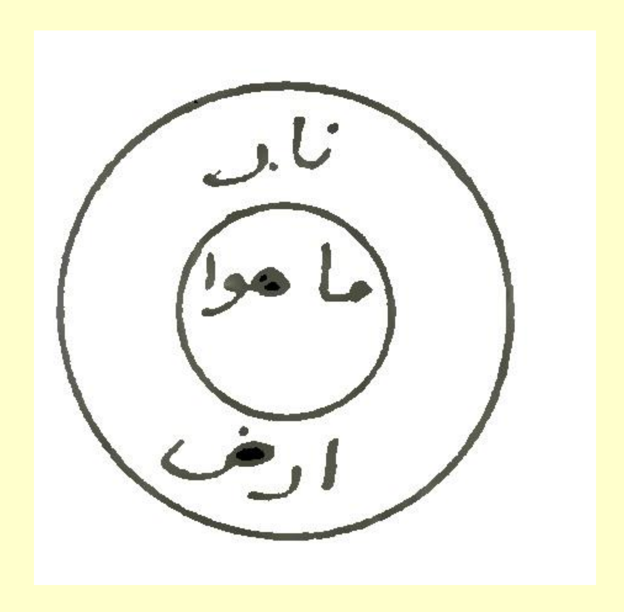
فلمّا كملت هذه الأركان والأفلاك على حسب ما ذكرناها ودارت الأحد عشر فلكا **وهي آباؤنا العلويّات**
وتحرّكت الأركان لدورانها وهي القوابل الحوامل **أمّهاتنا السّفليّات**
وأعطت الحركات في الأركان الحرارة فسخن العالم وتوجّه العقل والنفس الّذي هو القلم واللوح وتوجّه العنصر الأعظم الشريف الّذي هو لكرة العالم كالنقطة والقلم لها كالمحيط واللوح ما بينهما وكما أنّ النقطة تقابل المحيط بذاتها
كذلك هذا العنصر يقابل بذاته جمع وجوه العقل وهي الرقائق الّتى ذكرناها قبل فهي في العنصر واحدة
وهي في العقل تتعدّد وتتكثّر لتعدّد قبوله منه فللعنصر التفاتة واحدة وللعقل وجوه كثيرة في القبول
فلهذا كان العنصر أشدّ تحقّقا بتوحيد خالقه من العقل لأنّه أتمّ نسبة وأقوى
وإلى العنصر والعقل الإشارة الإلهيّة عندنا بقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ".

وهي بقيّة الكتب والصّحف والمتنزّلات :"لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ " يشير إلى المحيط من الأسرار والمواهب الّتي بيد الملك القلم " وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ " يشير إلى النقطة من الغيوب واللطائف من العنصر والكلّ منه وهو مستمدّ من الله تعالى بذاته .

ولمّا سخن العالم ابتدأت الاستحالات في الأركان الّتي بها يقع التوالد والتناسل وجعل استحالة هذه الأركان بعضها لبعض على حسب ما نظمها العزيز العليم.
وانظر ما أعجب من أنّه جعل أوّل الأركان وهي الأرض وآخر الدوائر السمويّة وهي السماء السابعة على طبيعة واحدة وهي البرودة واليبوسة
وجعل بين هذه الأركان منافرة فمنها ما يقتضي المنافرة من كل وجه كالنار والماء والهواء والتراب فلم يتجاوروا **<u>وجعل الحقّ بينهما وسائط :</u>**
فجعل الماء بين الهواء والتراب
وجعل الهواء بين الماء والنار وإن كان بينهما منافرة من وجه فبينهما مناسبة من وجه فالواسطة الّذي هو الماء ينافر النار بذاته ويناسب الأرض بما فيه من البرودة ويناسب الهواء بما فيه من الرطوبة
والواسطة الّذي هو الهواء ينافر التراب بذاته ويناسب النار بما هو حارّ ويناسب الماء بما هو رطب فتستحيل الأرض ماء والماء هواء
والهواء نارا والنار ترابا بغير واسطة فإذا أراد الأرض تستحيل هواء والهواء يستحيل ترابا فلا بدّ أن يستحيل كلّ واحد منهما ماء وحينئذ تستحيل الأرض هواء والهواء أرضا ويستحيلان نارا وحينئذ يلحق الهواء بالأرض والأرض بالهواء
وكذلك الماء إذا أراد أن يستحيل نارا والنار ماء فلا بدّ أن يستحيلا هواء أو ترابا وحينئذ يستحيل هذا نارا والنار ماء

وهذه الاستحالات إنّما تقع بالإفراط فإذا جاوز المستحيل حدّه انتقل إلى ضدّه من الوجه الّذي هو ضدّه فإذا جاوزت اليبوسة حدّها في النار كانت رطوبة فصارت هواء
وإذا جاوزت الرطوبة في الهواء حدها كانت يبوسة فاستحال الهواء نارا فإذا جاوزت الحرارة والرطوبة حدّهما في الهواء استحل ترابا

<u>وكذلك النار تستحيل ماء والماء نارا والتراب هواء ولكنّ هذه الاستحالات نادرة الوقوع وما رأيت أحدا نبّه عليها لشذوذ وقوعها</u>



وما كلّ جائز واقع والّذي بأيدي علماء هذا الشأن أن يستحيل الشيء إلى الشيء إذا كان بينهما مناسبة من وجه ومنافرة من وجه وصورة ترتيبها في النّشء كما تراه في الحاشية

وبهذه الاستحالات الّتي قبلتها الأركان حدثت دائرة الزّمهرير والجمد الّذي يكون في الهواء وجبال البرد والبحر المسجور والماء الّذي في جوف كرة الأرض والهواء الدائر بالصخرة المظلم والهواء الّذي يلي النار فوق دائرة

الزمهرير فصورتها اليوم صخرة في المركز دار بها هواء على الهواء ماء .
على الماء أرض على الأرض ماء على الماء هوا على الهواء جمد على الجمد بحر
على البحر هواء على الهواء نار على النار السماء الدنيا وهذه الاستحالات أعطاها ما
أودعه الله في الأدوار كلّها وبأدوار الأفلاك الثابتة خاصّة كانت الجنار .
وعليها والمخلوقون فيها الّتي هي أرواح محمولة في أنوار وأجسام شفّافة شريفة
معدنيّة تناسب فلكها وعنها انتشأت النخزنة
وكان الخازن الأكبر المقدّم رضوان إذ كانت حالة الرضى هي الحالة الكبرى في الجنّة
فما فوقها حالة فسمّى الخازن بها بشرى لهم .

تنبيه وقد ورد في بعض الأخبار النبويّة أنّ الناس في الجنّة إذا أخذوا منازلهم فيها
ناداهم الحقّ جلّ جلاله بالكلام الّذي ينبغي أن ينسب إليه من غير تكييف ولا تشبيه
يا عبادي هل بقي لكم شيء فيقولون يا ربّنا ما بقي لنا شيء نجّيتنا من النار وأدخلتنا
الجنّة وكسوتنا وأطعمتنا وسقيتنا وفعلت وصنعت
فيقول جلّ جلاله وبقي لكم شيء .
فيقولون : يا ربّنا وما بقي لنا ؟
فيقول أنا أعلّمكم برضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا هل رضيتم ؟
فيقولون رضينا عنك فما يسّر أهل للجنّة بشيء أعظم من سرورهم بهذا الخطاب
"خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ".
هؤلاء المخاطبون بهذا الخطاب هم أهل الجنّة الّذين هم أهلها العاملون لها والمتعشّقون
بها الّذين ما طلبوا من الحقّ سواها

وأمّا العارفون أهل الله وخاصّته فليس لهم في هذا الخطاب مدخل إذ قد نالوه في الدنيا
حال سلوكهم فكانوا هم الّذين " لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا"
وأولئك في الآخرة فالعارفون في الجنّة بحكم العرض لا بحكم الذات وهم مع الله
بالذات
فقيل فيهم أهل الله وخاصّته ولم ينسبوا إلى الجنّة لكنّ الجنّة تنسب إليهم
وأمّا أهل الجنّة الّذين هم أهلها فهم مع الجنّة بالذات ومع الله بالعرض
فرويتهم لله تعالى في أوقات مخصوصة وكلتاهم في الجنان مع الحور والولدان
وبالذات هنا معناه هم مع الله بحقائقهم لا يلتفتون إلى ما سواه إلّا بحكم أمره وبمشيئة
عدله في عالم النفوس .

وكما التشأ عالم الرضوان كذلك أيضا لمّا سوى النور ظهر مالك وخزنة النار ومالك
هو الخازن الأكبر المقدّم وسمّى مالكا لشدّته وقوّته وقهره الظاهر في عالم الشقاء
فيزيد عذابهم وحرجهم لهذا القهر

فإنّ الأرواح من عالم السعة والانفساح بالأصل فإذا انحصرت في هذا العالم الضّيق بما اكتسبته كان الضيق عليها أشدّ عذابا "وَإِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ".
لا يتناهى فإنّ عذابكم لا يتناهى ولهم خطاب من الجبّار تعالى:" اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ "سخطي عليكم سخط لا رضى بعده .

فلا شيء أشدّ عليهم عذابا من هذا الخطاب وجماع هذا الشكل من المركز إلى المحيط شكل القرن أسفله ضيّق وأعلاه واسع وهو الصّور أي جامع الصّور
ولذلك كان بالصاد فأهل الجنّة في أعلاه فهم في سعة المحيط وهم علّيّون وأهل النار في أسفله في الضيق وهو سجّين فعلى قدر ما في السعة من النعيم والفرح والسرور والابتهاج لأهل الجنّة قدر ما في الضيق من العذاب والأحزان والغموم .
فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الله بعقولنا ومن عقل السعة بنفوسنا آمين .

باب في النكاح والتوالد

فأوّل ما دارت الأفلاك وأعطت الاستحالات في الأركان وسخن العالم فأوّل ركن قبل الأثر ركن النار وهو الأثير فظهرت الكواكب ذوات الأذناب
وهي احتراقات وتكوينات سريعة الاستحالة كما تراها في العين وهي نجوم سريعة التكوين والفساد وكانت رجوما عند مبعث محمّد صلى الله عليه وسلم
فما يلي منها العلو أطفأه برد السماء وما ولى منها السّفل أطفأه الزمهرير وهو البحر المسجور .
وانتشأ في هذا الركن عالم الجانّ بين سعيد وشقيّ وقد ذكرنا نشأتهم في كتاب أفردناه لهم والمقصود هنا نشأة الإنسان فمن غلب نور روحانيّته على نار طبيعته كان سعيدا ومن غلب نار طبيعته على نور روحانيّته كان شيطانا بما فيه من الرطوبة والبرودة لأنّه ممتزج بالأصالة يقبل العذاب بالنار .

وإنّما نسب إلى العنصر الغالب عليه وهو النار فإنّه فيها يكون وهي الظاهرة فيه على جميع الأركان كما كان الغالب علينا عنصر التراب
وإن كنّا على جميع الطبائع كلّها فقيل فينا " مِنْها خَلَقْناكُمْ " .
وقيل في إبليس لعنه الله وَالْجَانَّ خلق الجانّ من مارج من النّار وكان لهؤلاء الجانّ قبل مبعث محمّد صلى الله عليه وسلم مسالك في كرتهم نحو السماء يسلكون فيها ليستمعوا حديث الملإ الأعلى الملكيّ .

وكان الحكم من آدم إلى محمّد عليهم السلام على ما رتّبه الحقّ للملك الكريم المخلوق على صورة السنبلة

ولذلك كانت النشأة الترابيّة الإنسانيّة فظهرت أجساد الآدميّين كما سنذكره فلم تكن النجوم ذوات الأذناب بتلك الكثرة لغلبة الجمود والسكون الّذي يقتضيه البرد واليبس فلمّا جاء محمّد صلى الله عليه وسلم .
وانتهى الزمان ودار كهيئته يوم خلقه الله انتقل الحكم إلى الملك الكريم الّذي خلقه الله على صورة الميزان وهو العدل .

وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه وهو ريحيّ فأشعل الفلك الأثير إشعالا عظيما فكثرت النجوم ذوات الأذناب في الأثير والاحتراقات وجعلها الحقّ" رُجُوماً لِلشَّياطِينِ " .
فعمّرت كلّ مسلك في الأثير فضاقت المسالك على الجنّ الّذين يسترقون السمع ولم يعرفوا ما علّة ذلك .

فقالوا "أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها . مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ".
فالحرس الملائكة وهم الرصد وهو قوله تعالى :" مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً " والشهب النجوم ذوات الأذناب " وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً " لأنّهم قعدوا لهم كلّ مرصد فكان من أعظم بلاء طرأ على الجنّ والشياطين منعهم علم الغيب .

ومسألة خنافر وشصار فيها كفاية ذكرها أبو عليّ البغداديّ في كتاب النوادر في قوله تعالى :" إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى " ولكن مع هذا كلّه يسلكون بحكم البحث فإن صادفهم شهاب أحرقهم وجعل بأيديهم عالم الخيال ونصب لكبيرهم ورئيسهم عرشا على البحر في مقابلة
قوله :" وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ " وهذا هو عرش التلبيس وجعل بيده قوّة مثال كلّ شيء في العالم الحقيقيّ يأتي به في عالم الخيال على صورته في العالم الحقيقيّ.

ليضلّ به أهل الكشف في كشفهم وأهل الفكر في النظر في أدلّتهم فبيده مفاتيح الشّبه والشكوك والأوهام بإذن الله تعالى ليبتلي عباده بذلك.
وقد ذكرنا هذا في كتاب الكشف مستوفى فلينظر هنالك فإنّ هذا المختصر لا يحتمله ثمّ أقول :
وأوجد الله تعالى هذه الدورة المحمّديّة السياديّة في هذا الوقت الّذي قدّر فيه هذا الحكم ونصب فيه هذا الوالي لتكون أسراره مكتومة ومقاماته مستورة
ويكون الطّمس على الأفكار لقوّة ناريّتها وعدم ثبوتها فلا تستقرّ على شيء كما استقرّ القدماء من أهل الأفكار في الدورة الفلكيّة قبل مبعث محمّد صلى الله عليه وسلم
وقبل استدارة الزمان فكانت الحيرة في أهل الأفكار منّا أكثر من غيرنا من الأمم ومن تعب من الفكر وقف حيث تعب
فمنهم من وقف في التعطيل

ومنهم من وقف في القول بالعلل
ومنهم من وقف في التشبيه
ومنهم من وقف في الحيرة فقال لا أدرى
ومنهم من عثر على وجه الدليل فوقف عنده
فكلّ عنده فكلّ إنسان وقف حيث تعب ورجع إلى مصالح دنياه وراحة نفسه وموافقة طبعه
فإن استراح من ذلك التعب واستعمل النظر في الموضع الّذي وقف فيه مشى حيث ينتهى به فكره إلى أن يتعب فيقف أيضا
أو يموت هذا كلّه لاشتغال الخواطر وغلبة الحرارة عليها
غير أنّ الطائف تختلف بانصباب موادّها إلى الموارد مختلفة فأكثر الخلف في هذه الأمّة مجبولون على الأمور الّتي لم يكن أحد من غابر الأمم يصل إليها إلّا بعد الرياضات والمجاهدات والأفكار الدائمة الّتي أمروا باستعمالها

والخلوات بنفوسهم وهذا كلّه لما أودع الله في قوّة هذا الحاكم الملكىّ صلى الله عليه وسلم إذ كان الله تعالى قد سبق في علمه أن يفعل ما يفعله عند الأسباب لا بالأسباب إذ لا معين له ولا ينبغي

فاشتغلت أيضا قلوب أهل الأذكار وهم الصّفوة من عباد الله تعالى أهل الذكر والاجتهاد في العبادات وحفظ الشرائع وهم الصادقون من الصوفيّة
فنالوا المراتب العليّة في العلوم الإلهيّة حتّى كان علماء هذه الأمّة كأنبياء سائر الأمّم وفتح لهم في بواطنهم في مقابلة ما كان يظهر على ظواهر بني إسرائيل من العجائب وهم لا يعرفون ذلك ولا قدره

فانكتمت سرائر هذه الأمّة لتحقّقها بالحقّ سبحانه حين نزلت عليه من الأكوان شعر:
نزلت على الإله من العباد * عسى ينفى الكيان من الفؤاد
فقال أجل ولكن ثمّ سرّ * إليه في افتقاركم استنادى
فإن يحصل فذاك لكم معين * على ما تطلبون من الجواد

فليس لأولياء هذه الأمّة ظهور إلّا حيث يظهر الحقّ تعالى وذلك في الدار الآخرة فهم الأخفياء الأبرياء الّذين يعاملهم الحقّ بما أمرهم أن يعاملوه به شعر:
إن كنت لي أكون لك * ما أنت لي ما أنا لك
فاصغ إلى قولي تجد * صحّة ما قد قلت لك
ولتلتزم طريقتى * واجهد وخلّص عملك
تنلّ بما جئت به * من كلّ خير أملك

وفي هذه الدورة السياديّة يكثر نطق الجمادات والنباتات يظهر حياتها عليها وقد رأينا من ذلك أشياء وراثة نبويّة فانّه قد ثبت عندنا في الأخبار رواية .
وكشفا أشياء مثل سلام الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبيح الحصى في كفّه وفي كفّ من شاء الله من أصحابه وحبّ الجبل إيّاه وحنين الجذع إليه وكلمة الذراع المسمومة من الشاة المصليّة والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.
وقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتّى يكلّم الرّجل عذبة سوطه وتحدّثه فخذه بما عمل أهله وتقول الشجرة يا مسلم هذا يهوديّ خلفي اقتله .
وتخرج الدابّة الّتي تكلّم الناس بما تسم في وجوههم ،
وجعل الله شهورهم قمريّة لا شمسيّة بخلاف من تقدّم من الأمّم السالفة تنبيها من الله تعالى للعارفين من عباده لأنّ آية القمر ممحوة عن العالم الظاهر كما قال : " فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ " وذلك بسلخ النهار منه .

وقال لمن اعتبر في قوله وتدبيره " لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ" في علوّ المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم الّتي أعطاهم الله في بواطنهم وأجراها فيهم ،
ثمّ إنّ الله تعالى خلق الدوابّ الّتي تعمّر البحرّ الّذي بين السماء والأرض ثمّ جبال البرد والثلج الّذي دون البحر ممّا يلي الأرض بقوله تعالى :" وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ ".

وكون فيها حيّات بيضاء صغارا وقد يصل إلى هذه الجبال بعض الطيور وربّما تصيد من هذه الحيّات الشّودنيقات الفرْه البلنسيّة .
ورأينا من ذلك حيوانا يسمّى السمندر وله خاصّيّة عجيبة في ترك نبات الشعر وما زال التكوين ينزل إلى أن وصل إلى الأرض
فأوّل تكوين في الأرض المعادن ثمّ النبات ثمّ الحيوان ثمّ الإنسان
وجعل آخر كلّ صنف من هذه المكوّنات أوّلا للّذى يليها
فكان آخر المعادن وأوّل النبات الكمأة
وآخر النبات وأوّل الحيوان النّخلة وآخر الحيوان وأوّل الإنسان القردة فلنذكر نشأة الإنسان خاصّة الّذي هو المقصود في هذا الكتاب ولنضرب عن ذكر ما سواه إذ لا حاجة لنا بذكره في هذا الموضع " وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ "

باب نشأة الإنسان الأوّل

اعلم أنّ الله تعالى لمّا أراد أن يخلق الإنسان بعد ما مهّد له المملكة وأحكم أسبابها إذ كان الله قد قضى بسابق علمه أن يجعله في أرضه خليفة نائبا عنه فيها فجعل نسخة من العالم كلّه فما من حقيقة في العالم إلّا وهي في الإنسان فهو الكلمة الجامعة وهو

المختصر الشريف وجعل الحقائق الإلهيّة الّتي توجّهت على إيجاد العالم بأسره توجّهت على إيجاد هذه النشأة الإنسانيّة الإماميّة
فقال عزّ وجلّ للملائكة :" إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً "
فلمّا سمعت الملائكة ما قاله الحقّ لها ورأت أنّه مركّب من أضداد متنافرة وأنّ روحه يكون على طبيعة مزاجه قالوا " أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ ".
غيرة منهم على جناب الحقّ ثمّ قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم " وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ". قالَ:" إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ".
ثمّ نرجع ونقول إنّا روينا أنّ الله تعالى وجّه إلى الأرض ملكا بعد ملك ليأتوا بقبضة منها ليفتح فيها صورة جسدا الإنسان وما من ملك منهم إلّا وتقسم الأرض عليه بالّذى أرسله أن لا يأخذ منها شيئا

يكون غذا للنار فيرجع إلى أن وجّه الله عزرائيل فأقسمت عليه كما أقسمت على غيره فقال لها إنّ الّذي وجّهنى وأمرني أولى بالطاعة فقبض منها قبضة من سهلها وحزنها وأبيضها أحمرها فظهر ذلك في أخلاق الناس وألوانهم
فلمّا حضر بين يدي الحقّ شرّفه الحقّ بأن ولّاه قبض أرواح من يخلقه من تلك القبضة فتميّز وتعيّن مخمّر الله طينة آدم بيديه حتّى قبلت بذلك التعفين النفخ الإلهيّ وسرى الروح الحيوانىّ في أجزاء تلك الصورة .

ثمّ فتح بعد التمييز والنفخ هذه الصورة الآدميّة وعيّن لها من النفس الكلّيّة النفس الناطقة الجزئيّة فكان الروح الحيوانىّ والقوى من النّفس الرحمانىّ بفتح الفاء
وكانت النفس الناطقة الجزئيّة من أشعّة أنوار النفس الكلّيّة وجعل بيد الطبيعة العنصريّة تدبير جسده وبيد النفس الجزئيّة تدبير عقله .

وأيّدها بالقوىّ الحسّيّة والمعنويّة وتجلّى لها في أسمائه لتعلم كيفيّة تدبير ما ملّكها إيّاه ثمّ جعل في هذه النفس الناطقة قوّة اكتساب العلوم بواسطة القوى الّتي هي كالأسباب لتحصيل ما تريد تحصيله .

فبالنّفس الرحمانيّ كانت حياة هذه النشأة وبالنّفس الناطقة علمت وأدركت وبالقوّة المفكّرة فصّلت ما أجمل الحقّ فيها فأنزلت الأشياء مراتبها وأعطت كلّ ذي حقّ حقّه فبما هو من الطبيعة هو من ماء مهين وآدم " مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وصَلْصالٍ . ومِنْ تُرابٍ . والشَّياطِينُ .

وغير ذلك وبما هو من النّفس الكلّيّة والروح المضاف إليه تعالى هو حافظ عاقل دراك متصوّر ذاكر إلى أمثال هذه الصفات الإنسانيّة والقوى

ولمّا سرّت النّفخة فيه خرج الهواء من منخريه فعطس فتغيّرت صورته فلمّا انفصل عنه عادت صورته كما كانت
فقال له الملك احمد الله على ردّ حسن صورتك إليك فحمد الله
فقال له ربّه "يرحمك ربّك "
يا آدم لهذا خلقتك أي لتحمدنى فأرحمك .

فذلك هو تشميت العاطس إذا حمد الله ثمّ كان من أمره مع الملائكة ما قصّه الله علينا وأنزله في الأرض خليفة جامعا للأسماء الإلهيّة والكونيّة كلّها لجمعيّته الّتي خلقه الله عليها فهو المشار إليه وإلى كلّ كامل من الناس بقوله " وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ " من نفسه" وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ "
من طبعه وهو العليم بما علّمه الحقّ من الأسماء والحكيم بتعيين المراتب وإطلاق الأسماء على مسمياتها .

وهذا كلّه على طريق الإشارة لا على جهة التفسير فاعلم ذلك فأعطته النيابة والخلافة هاتين الصفتين الحقيقيّتين " أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ " فهذا هو الإله المتّخذ وأضلّه الله أي حيّره على علّم .
فجعل علمه في حيرته يقول الصدّيق العجز عن درك الإدراك إدراك فعلمك أنّ ثمّ ما لا يعلّم علم محقق أنت به عالم بلا شكّ وهو قولنا الحمد للَّه الّذي أنا جامع لعلومه ولعلم ما لم يعلم أنّه لا يعلم
ولمّا تعدّد الكمّل من هذه النشأة جعلهم الحقّ خلائف بعد ما كان خليفة
فكلّ كامل خليفة وما يخلو زمان عن كامل أصلا فما يخلو عن خليفة وإمام فلا يخلو الأرض عن ظهور صورة إلهيّة يعرفها جميع خلق الله .

<u>معيّنة ما عدا الثّقلين الإنس والجنّ</u> فإنّها معروفة عند بعضها فيوفّون حقّها من التعظيم والإجلال لها "إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ " ثمّ لتعلم أنّ كلّ مولود فإنّه يولد على الفطرة الّتي أخذها الله على بني آدم من الإقرار بربوبيّته
لمّا قبض على ظهر آدم **<u>فاستخرج منه ذرّيّته</u>** كأمثال الذرّ
فقال لهم : "أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى" أنت ربّنا فهذه هي الفطرة "الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها" وهي الإقرار بربوبيّة الحقّ عليهم فلمّا كبروا صاروا بحكم الاباء والمربّين وحكم لهم بحكم الذرّ فمن استمرّ على الفطرة إذا كانت أبواه مسلمين إلى أن يموت عليها كان من السّعداء الموحّدين .

وإن طرأ عليه خلل يزيله عن الفطرة كان بحسب ما زال إليه ثمّ يموت على ما هو عليه قبل موته وقبل الاحتضار وإذا انتقل إلى البرزخ وانفصل عن الدنيا انفصال من لا يرجع يكون في البرزخ على الحالة الّتي كان عليها عند الانفصال

فإن كان على حالة تعطيه السعادة سعد وإن كان على حالة تعطيه الشقاوة شقىّ ثمّ

تردّ عليه حياته وعقله أوفر ما كان في قبره فيأتيه فتّانا القبر ومعهما محمّد صلعم فيقال له ما تقول في هذا الرجل ولا يظهران له بما ينبغي له من التعظيم فإن عصم الميّت منهما فيقول هذا محمّد رسول الله جاءنا بالبيّنات والهدى فآمنّا وصدّقنا
فيقولان له نم هنيئا فقد كنّا نعرف منك هذا وإن وقف مع ما يرى من عدم تعظيم السائلين له صلى الله عليه وسلم ، وتلك فتنة القبر .

فيقول لو كان لهذا عند الله قدر مثل ما يعتقده المؤمنون فيه لعظّمه هذان
فيقول سمعت الناس يقولون فيه أنّه رسول الله .

فقلت فيه ما قاله الناس فيقولان له لا سمعت ولا قلت فتتسلّمه ملائكة العذاب ثمّ يبقى على ذلك إلى حين البعث ويبعث على ما مات عليه كان ما كان كما ذكرنا ولا يزال ينتقل في مواطن القيامة من موطن إلى موطن على تلك الصورة الّتي قبض عليها .

فإنّ ذلك الموطن وتلك الدار ما هي دار تكليف لو كانت دار تكليف لنفعهم إيمانهم إذا آمنوا وما بقي كافر إلّا أسلم وآمن فإنّه يعاين ما لا يقدر على جحده ولا إنكاره ثمّ إنّ الناس يحشرون إلى أخذ كتبهم .

فمن الناس من يعطى كتابه بيمينه وهم أهل السعادة
ومنهم من يعطى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه وهم الكافرون
ومنهم من يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره يضرب في صدره فينفذ إلى ظهره وهم المنافقون والمرتابون
فأمّا المؤمنون فهم وجه بلا قفا يرون من كلّ جهة
وأمّا الكافرون فهم قفّا بلا وجه
والمنافقون وجه وقفا
ثمّ يرجع لهم الموازين فيوزنون بأعمالهم فإن رجح عمله به ثقل ميزان عمله به وارتفعت الكفّة به فأخذ إلى علّيين وإن رجح هو بعمله نزل بكفّته إلى سجّين
وهنالك يقرأ كتابه بما قدّمت يداه وأمّا الكفّار المقلّدة في الكفر فيقول القائل منهما :" لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا " .
وهم الّذين بلغتهم دعوة الرسل عم فردّوها ولم يعملوا بها وأمّا المجرمون فلا يقيم لهم الله عزّ وجلّيَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً ولا يعبأ الله بهم من قبورهم إلى جهنّم ويأتي أيضا طائفة مستجيرة يقول مترجمهم ، شعر:
رؤوف رحيم لا يكون مؤاخذا * عبيدا أتاه راجيا متلهّفا

لأجل ذنوب قد أتاها بغفلة * ولو كانت الأخرى أتى متكلّفا
فإن شئت عفوا لا تؤاخذه إنّه * أتى مستجيرا سائلا متكتّفا

فأجابه الناطق بلسان الحال ، شعر

إن كنت أنت فأنت * وإن تشأ كنت أنتا
يا يا منيتي يا حبيبي * بكم وبي حيث كنتا
إنّى علمت بأنّى * في حفظكم إذ حفظتا
لو كنت أملك نفسي * عنكم لكنت ملكتا
عيني ولست بغير * لكم فكن لي وأنتا

تم بحمد الله

التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية

الشيخ الأكبر ابن العربي

الشيخ الأكبر محيي الدين

محمد ابن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي

مقدمة الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر، يا كريم يا الله

قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن علي العربي الحاتمي الطائي

الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه جوهرة، فنظرها بعين الجلال فذابت حياء منه عندما حققت نظره، فسالت ماء أكن فيه جواهر علمه و درره.

ثم أرسل منه ميزاباً إلى مشربة غصن الامتزاج فأقام به صغره، وسمى ذلك الغصن إنساناً فصوّره، وشق سمعه وبصره، وأحكم ترتيب وجود كل شيء في العالم الأكبر فيه ودبره فقدره.

وأشهده بشاهد الإحسان كل شيء فقرره، ورتق سماء عقله بعدما فتقه و فطره ، وأبطن كونه فى كونه و أظهره، و حجبه عن سره بما هو أخفى وستره، حكمة بالغة لمن دقق النظر فيه اعتبره، ثم تجلى له في حضرة الاقتداء فبهره، فأجفل هارباً من نيران الهيبة فضمه وقهره.

وغمسه غمسة في البحر الأخضر من غير أن يشعره، فإذا سر القدرة الإلهية قد مازجت بشره، ثم كشف له عن حضرة الديمومية فحقق بها عمره، وردّاه رداء الحياة الأبدية دون كون ضمه ولا أمد حصره.

وأعلى مناره للملائكة وأوضح غرره، فبايعته بالسجود إذ أمده بالأسماء ونوره، وجعله في أرض الأجسام خليفة فأيده ونصره، ثم أبدع له العقل وزيراً فاستوزره، ووهبه سر الخطاب في نار الشجرة، وأعطاه عصا إعجازه فأهلك بها الخواطر السحرة.

ثم خوفه لدى قسطاس الانقسام وحذره، وقسم موارده عليه قسمة منتشرة، وأردفها بأجناد إشارات إلهية غير منحصرة.

وأورد الخواطر على باب حضرته فمقبلة ومدبرة، فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة، وعمّر مدينته في النمط الأوسط ومنها أفقره، و أغناه بمطالعة أسرار الملكوت وبها أفقره.

وأباح له التصرف في الأكوان بما به عنها زجره، وسوى في قبضتيه الأخذ بين من آمن به وكفر.

وأشهده على تلك القبضة وقرره، ونصب ملكه جسرا للعبور فطوبى لمن عبره، ثم شاء سبحانه أن يدنسه بما به طهره، فجعله برزخا جامعا للكفرة والبررة.

وأقامه في عالم التركيب داعية على منابر التذكرة، وأيده بالعلوم الإلهية وغمره، ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمره.

فقال : ألا تنظرون في عوالمكم إلى سماوات أفلاكها مسخرة، وأرضين بحارها مسجرة، و فلك مشحون أجراه في بحر الكون عندما أوسقه وعمره، فهو يمشي بين رجلي رجاء وخوف كتب عليهما الصانع القديم بقلم العلم المحيط في الرجل اليمني: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره "7 سورة الزلزلة .

و في الرجل اليسرى: "ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" 8 سورة الزلزلة . فليبادر بالطاعة لمن هداه النجدين وبصره، و ليشكره على رزق قسمه فيسره وعسره.

وليبحث عن الكنز الذي حجبه بالجدار الجسماني وستره، ثم ليتدبر كيف أحياه حين أقبره، وأماته في الوقت الذي أنشره، وأظلمه بجلابيب جنادس غيوب النور الذي به أقمره.

ودل به على النجي واللدني بايتي محو و مبصرة، ثم صور آية المحو في بعض الأحايين منورة.

وذلك في الليالي المقمرة عند تقابلهما في الكرة، ثم أظهر ذلك السر فيمن ضرب بعصا الاختبار حجر الأسرار ففجره، شعر:

فانظر إلى شجر فاض على حجر ..... وانظر إلى ضارب من خلف أستار

فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة.

فما أغفله عن القيام بشكرها "قتل الإنسان ما أكفره" 17 سورة عبس.

والويل لمن زهد في اعتبار وجوده وحقره، والصغار له فما أذله وما أصغره.

فليته كما كفر شكره، فيكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .

فانتظموا في سلك عسى المدخرة في الدار العاقبة المؤخرة.

والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تابعه و آزره.

الملتحفين في أبراد المعارف الربانية المحبرة، المطهرة بعلم العصمة المشهرة ما سبح الملك ربه وذكره.

وزهد أهل العناية في الجلوة الخضرة .

أما بعد، حقق الله سرك بحقائق الوصال، وجعلك من الساجدين له في الغدو والآصال.

فإني بنيت هذا الكتاب الصغير الحجم اللطيف الجرم، العظيم الفائدة الكبير العلمي، المستخرج من العلم اللدني والقاب العدناني.

المسمى في الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين بـ «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية ».

وهو مشتمل على مقدمة وتمهيد وواحد وعشرين بابا من دقائق التوحيد في تدبير الملك الذي لا يبيد على التدبير الحكمي والنظام الإلهي.
وجاء غريبا في شأنه ممزوجا رمزه ببيانه .

يقرأه الخاص والعام، ومن كان في الحضيض الأوهد ومستوى الجلال والإكرام.
قد علم كل أناس مشربهم: ففيه للخواص إشارة لائحة، وللعوام طريقة واضحة.
وهو لباب التصوف وسبيل التعرف بحضرة الترؤف والتعطف.
يلهج به الواصل والسالك، ويأخذ حظه منه المملوك والمالك .
يعرب عن حقيقة الإنسان وعلو منصبه على سائر الحيوان.

وأنه مختصر العالم المحيط، مركب من كثيف وبسيط، لم يبق في الإمكان شيء إلا أودع فيه في أول منشئه ومبانيه.

حتى برز على غاية الكمال، وظهر في برزخ بين الجلال والجمال.

فليس في الجود بخل ولا في القدرة نقصان، صح ذلك عند ذوي العقول الراجحة بالدليل والبرهان.
ولهذا قال بعض الأئمة "وليس أبدع من هذا العالم في الإمكان».
والله يؤيدنا بالعصمة ولطيف الحكمة، إنه فياض النعمة واسع الرحمة.

تمهيد

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله سبحانه قد شاء أن يبرر العالم في الشفعية لينفرد سبحانه بالوترية.

فيصبح اسم الواحد الفرد، ويتميز السيد من العبد.
ولما وقفت، أوقفكم الله، على حقائق نفوسكم، وأطلعكم على ما أودعه فيكم من لطيف حكمته وغريب صنعته.

على قوله تعالى" :وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهار، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"
"خلقكم من تراب" 17 سورة غافر .

ثم قال "ومن طين" 20 سورة الأنعام. وهو امتزاج الماء والتراب.
ثم قال جل اسمه "من حمأ مسنون" 28 سورة الحجر.

وهو المتغير الريح، وهو الجزء الهوائي الذي فيه .
ثم قال : "خلق الإنسان من صلصال كالفخار" 14 سورة الرحمن.

وهو الجزء الناري، وهذه حكمة منه سبحانه " يخلق ما يشاء وهو العليم القدير" 54 سورة الروم .

وكما أن في العالم رياحة أربعة : **شمالا وجنوبا وصبة ودبورا**.

، ففي الإنسان أربع قوى : جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة .

وكما أن في العالم سباعا وشياطين وبهائم، ففي الإنسان الافتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والأكل والشرب والنكاح والتمتع .

كما قال عز وجل : "يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم" 12 سورة محمد.

وكما أن في العالم ملائكة بررة سفرة. ففي الإنسان طهارة وطاعة واستقامة .

وكما أن في العالم من يظهر للأبصار ومن يخفى، ففي الإنسان ظاهر و باطن : عالم الحس وعالم القلب، فظاهره ملك وباطنه ملكوت .

وكما أن في العالم سماء وأرضا ففي الإنسان علو وسفل.

وامش بهذا الاعتبار على العالم تجد النسخة الإلهية صحيحة ما اختل حرف ولا نقص معنى.

ولم تجد له في مقابلة الأزل إلا الأبد وهو غير متناهي الطرف الآخر شرعا.
وسبق في علم قديم باق ببقاء الله عز وجل.

قال العبد وجرت المتصوفة عادة رضي الله عنهم في هذا النظر والاعتبار مجرى العرب في كلامها من الاستعارات والمجاز بأدني شبه وأيسر صفة تجمع بينهما؛ وفي القرآن من هذا القبيل كثير إذ القرآن جار على لغة العرب.

كما قال عم: "وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين".
ومثله قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا" 4 سورة مريم .

"كسراب بقيعة" 39 سورة النور.

"كرماد اشتدت به الريح" 18 سورة إبراهيم .

"كمثل صفوان عليه تراب" [البقرة : 264]، "جدارا يريد أن ينقض" [الكهف: 77]، "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها" [يوسف : 82]، "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا" [الأعراف: 143].

فلم تزل الصوفية رضي الله عنها في نظرها واعتبارها على هذا المنهج، فلنلخص لك ولنقرب عليك كيف تنظر العالم في الإنسان على ما تقدم.

وذلك أن تنظر إلى ما خرج عنك من الموجودات : فإذا وقعت عينك على موجود ما فاطلب الصفة التي غلبت على ذلك الموجود حتى [شهر بها].
وإذا عرفت تلك الصفة التي أنبأت عنه ودلت عليه فإما صفة نفسية له وإما صفة غالبة عليه.

ثم تنظر تلك الصفة بعينها فتجدها في الإنسان لا محالة، فتطلق على الإنسان عند مشاهدة تلك الصفة [اسم الذي هو صفته ؛ مثل البلادة التي هي غالبة على الحمار دون غيره من الحيوان، فنقول في الإنسان حمارة إذا رأيناه بليدا؛ أو أسدا إذا رأيناه شديدة طالب الافتراس.

ومثل هذا النظر أيضا في الأسرار الشريفة مثل أن تنظر إلى الشمس والقمر.

فتجعل الشمس الروح والقمر النفس , ذلك أن النفس ذات الكمال ونقص حسب ما يرد فى داخل هذا الكتاب ، فكمالها بالعقل والعلم، ونقصها بالجهل والشهوات .

وكما أن نقص القمر قد يكون سببه في الكسوف الأرض، وهو الأسفل من العالم، كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب الشهوات ومحلها أسفل سافلين .
وكما أشرقت الأرض بنور الشمس كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح، فكشفت الأشياء على ما هي عليه، إلى أمثال هذا مما يطول ذكره.

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما أردنا أن نأخذ في مقابلة النسختين العالم الأكبر والأصغر على الإطلاق في جميع الأسرار العامة والخاصة، رأينا أن ذلك يطول، وغرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة في الاخرة إذ الدنيا فانية دائرة.

فعدلنا إلى أمر يكون فيه النجاة، ويتمشى معه المراد الذي بنينا عليه كتابنا وهو أنا نظرنا الإنسان فوجدناه مكلفة مسخرة بين وعد ووعيد، فسعينا في نجاته مما توعد به وتخليصه لما وعد الله إليه .

فإضطرنا الحال في إقامة القسطاس عليه من العالم الأكبر، فقلنا أين ظهرت الحكمة من
الخطاب والوعد والوعيد من العالم الكبيرا، فرأينا ذلك في حضرة الأمر والنهي وحضرة الإمامة ومقر الخلافة.
فوجدنا الخليفة شاهدة فيه ظهرت الحكمة وآثار الأسماء، وعلى يديه تنفعل أكثر المكونات المخلوقة للباري تعالى.
فتقصينا الأثر و أمعنا النظر في حظ الإنسان من هذه الحضرة الإمامية ، فوجدنا في الإنسان خليفة ووزيرة وقاضيا وكاتبا وقابض خراج وجبايات وأعوانا ومقابلة أعداء ، وقتلا وأسرا، إلى أمثال هذا مما يليق بحضرة الخلافة التي هي محل الإرث.

وفي الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وانتشرت راياتها ولاحت أعلامها وأذعن الكل لسلطانها ؛ ثم خفيت بعد الأنبياء صلوات الله على محمد وعليهم فلا تظهر أبدا إلى يوم القيامة عموما.
لكن قد تظهر خصوصا : فالقطب معلوم غير معين وهو خليفة الزمان، ومحل النظر والتجلي، ومنه تصدر الآثار على ظاهر العالم وباطنه ؛ وبه يرحم الله من يرحم و يعذب من يعذب .

وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب، وعليه مدار الأمر الإلهي .
وإن لم تجتمع فهو غيره؛ ومنه تكون المادة الملك ذلك الزمان، وهذا كله في الإنسان موجود .
ونحن إن شاء الله نورده في هذا المجموع أحسن إيراد، مختصرة كافية مقنعة، والله ينفع العبد بما قصد، ويسلك به الطريق الأقوم الأسد والله أعلم.

خطبة الشيخ

التصوف، صافاك الله ، أمره عجيب وشأنه غريب وسره لطيف، وليس يمنح إلا الصاحب عناية وقدم صدق، له أمور وأسرار غطى عليهن إقرار وإنكار.
وسقنا هذه المقدمة توطئة لعلوم التصوف على الإطلاق.
فإن الإنكار عليه شديد وشيطان المخالفة له مريد.
على أنا ما سقنا من هذه العلوم في هذا الكتاب إلا النزر اليسير في آخره وإشارات تتخلله.
فسقنا في هذه المقدمة لتلك الإشارات الشريفة، ومن أراد أن يقف من تواليفنا على جل أسرار هذه الطريقة الشريفة، فليطالع كتاب **«مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدرات بخيمات اللقاء»**؛ وبنيناه على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام في كل باب عشر مقامات، كلها أسرار بعضها فوق بعض .
فرجونا وفقك الله في سياق هذه المقدمة في هذا الكتاب التي هي كالعلاوة عليه، أن يقف عليها السالك ابتداء ، فيكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل الطريقة وما يقف عليه في داخل هذا الكتاب فيقع منه التسليم؛ فربما يفتح له قفل السر الذي وقف عنده وسلمه .
فلهذا ما أوردناها، جعلنا الله ممن حسن إسلامه وسلم ما لم يبلغه علمه آمين بعزته .

فاعلم شرح الله سبحانه صدرك أن مبنى لهذا الطريق **على التسليم والتصديق**، حتى قال بعض السادة القادة : «لا يبلغ الإنسان درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق".

يا رب جوهر علم لو أبوح به .... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي .... يرون أقبح مايأتونه حسنا

فاشترط في إنكار هذا المعلق النفيس رجالا سماهم مسلمين قد وقفوا مع التخيل والتلبيس وكيف لا ينكر هذا الطريق وهل يبقى أثر للباطل عند ظهور الحق، "فماذا بعد الحق إلا الضلال" [يونس: 32]،"وقل جاء الحق وزهق الباطل" [الإسراء:81].
وقال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك صورة .... ترى كل ملك دونها يتذبذب؟
فإنك شمس والملوك كواكب .... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

"وقل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون "[الأنعام: 91]، «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة .«
فانظر هذين الشيئين في عالم الحس الداخل تحت ذل الحصر، فكيف بعالم الملكوت .

فكل من تكلم في غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام.
ألم تر إلى قول الجنيد رضي الله عنه : «إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر».
وشتان بين من ينطق عن درسه ونفسه وبين من ينطق عن ربه : "وما ينطق عن

الهوى" [النجم: 3].
فإياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر إلى المعارج، **واطلبه في ذاتك تجد الحق في ذاتك.**

أرأيت لما ثبتت نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر في نفوس العقلاء أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم.

وتصرفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا ما الدليل ولا ما العلة؟
ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون عن أشياء حتى نهوا عن ذلك في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" [المائدة: 101]، فقال الصحابة : نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفرك عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان، يعني أهل هذه الطريقة، فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، فأعرض عنه.

وقل له مجاوبا في مقابلة ذلك : ما الدليل على حلاوة العسل؟
ما الدليل على لذة الجماع وأشباههما؟
وخبرني عن ماهية هذه الأشياء ، فلا بد أن يقول لك هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه دليل.

فقل له: وهذا مثل ذلك.

ثم اضرب له مثالا آخر وقل له : لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك، ففشا ذكرها واتصل بأسماع الناس خبرها، ثم اصطفيت أحدا من خواصك، فأدخلته إياها حتى عاينها وأحاط بما أطلعته منها عليه، وهو بمرأى الناس عند إدخالك إياه ، ثم خرج إليهم وقعد يصف لهم ما رأى فيها. هل يصح أن يقال له ما الدليل في ذلك المقام على ما تذكر أنه على هذه الصفة؟ هذا لا يصح.

ولو طالبه أحد بذلك حقه الناس وسخفوه، وقالوا هذا شيء لا يقوم عليه دليل . غايتنا أنا رأينا رجلا أدخله صاحب الدار وخرج فوصف ما رأي .

فمن حسن ظنه به وتبنت عنه العدالة صدقه في قوله، ومن لم يحسن ظنه فلا يلزمه ذلك، ولا يحسن من أحد أن ينكر عليه]") مقالته .
فإذا أردت أن تقف على ما ادعاه هذا الداخل فارغب إلى صاحبها يدخلك إياها فتشاهد ما شاهد وليس غير ذلك .

فكذلك يا أخي هذا العلم السني الذي هو نتيجة التقوى .
إذا رأينا رجلا قد اتقي الله سبحانه ووقف عند حدوده، واتصف بالزهد والورع وأشباه ذلك، ثم نطق بعد هذا بعلم لا تسعه عقولنا وهبه الله سبحانه إياه، فالواجب علينا التسليم والتصديق فيما ادعاه، وتحسين الظن به وترك الاعتراض عليه.

فإن الله تعالى يخص من يشاء من عباده بما شاء من علومه.
كما قال : "يؤتي الحكمة من يشاء من عباده " [البقرة: 269]، وقال : "وعلمناه من لدنا علما" [الكهف: 65].
ومسألة موسى والخضر عليهما السلام مقنع أعني في الاختصاص : "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون" [الأنبياء: 23] .
هل صدر قط أو سمع عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما العلة على أن الظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، ولم أسر في بعض وجهر في بعض؟
ما سمعنا بهذا وإنما لم يكن ذلك لأنه قد ثبتت عصمته وبان صدقه ، وعلم أنه لا ينطق عن نفسه . فمهما رأيناك تطلب الدليل والعلم ممن ورثه ولازم التقوى التي تدل على صحة علمه كدلالة المعجزة على صدق الرسول، علمنا أن صفة الصدق ما استقرت الديك ولا تبدت قط إليك.
فسلم إليهم أحوالهم، ولا تنكر عليهم أقوالهم، "وقل رب زدني علما " [طه: 114].
عسى الله أن يفتح لك بابا من عنده تصل من ذلك ولا تنكر عليهم؛ وفقك الله النطق بالغيب مع إيمان بالمثال الظاهر المحسوس.
الذي نصب الله لك؛ ذلك أن المرآة إذا صقلت وجلي عنها الصدأ وتجلت صورة الناظر فيها أليس يرى المرء فيها نفسه حسنا أم قبيحا؟
فإن جاء أحد خلفه تجلت صورته في المرآة ؛ فعندما نظر إليها قال للحاضرين معه خلفي إنسان أو شيء على صورة كذا وكذا، حتى يستوفي ما رأي ، وهو لم يره بعينه الرؤية المعهودة، والتصديق بهذا واجب فإنه محسوس .
كذلك المعقول نظير المحسوس، فيعمد الإنسان إلى مرآة قلبه فيجلوها من صدأ
عنها كل حجاب يحجبها عن تجلي صور المعقولات والمغيبات بأنواع الأغيار.
ويميط الرياضات والمجاهدات، فإذا صفت وانجلت تجلى فيها كل ما قابلها من المغيبات، فنطق زعما شاهد ووصف ما رأي، ما كذب الفؤاد ما رأى [النجم: 11]؛ وهذا مقال على التقريب، ولولا خوف التطويل لتكلمنا على ضروب المكاشفة وأصنافها لكن يكفي هذا القدر .
فمن أراد أن يقف على أنواعها على الكمال من تأليفنا فليقف على **«جلاء القلوب»**. ثم يا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم المشاهد هل أحاط علما بمعاني الكتاب والسنة حتى يقال له هو مثل كذا؟
هل أحاله دليل العقل؟
فغاية العاقل الذي حصل له عقل التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قبيل الجائز ، وإنما صار واجبة عندهم لا من حيث نفسه إلا من حيث العلم القديم بأنه سيكون.

فإذا أتي هذا الصوفي بالجائز أو بموافقات العقول، إذ النبوة والولاية فوق طور العقل، فالعقل إما أن يجوز أو يقف لأنه ما أتى بشيء يهد به ركن من أركان التوحيد، ولا ركن من أركان الشريعة.
فما جرم المستمع له في معرض الإنكار إلا قلة التصديق ؛ فالصفة راجعة إليه، والصوفي منزه عما نسب إليه .

فدارك يا أخي، دارك قبل حلول الهلاك، ويموت الإنسان على ما كان عليه ، ويحشر على ما مات عليه ؛ وحذار حذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار .
فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم، واخرج بالحرية عن رق الإنكار، واقعد على كرسي الفكر، وأفرغ عليك حلة المجاهدة ، واجعل على رأسك تاج الموافقة والمساعدة، وانظر النطق من غير محل الخطاب تجد الحق، **وانظر المستمع تجده مستمعا مسمعا مخاطبا مخاطبا فإذا كان هو المتكلم و المكلم، المستمع والمسمع، فأنت عدم؛ وإن كنت موجودا، كما أنت حاضر وإن كنت مفقودا.**

ولذلك أشار مخبرا عن ربه : «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره».
فمن يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء؟

ومن كان الحق لسانه كيف ينتهي كلامه؟

فتحقق هذه المقدمة وقف عندها ترشد وتحمد عاقبة أمرك إن شاء الله ، فوفر دعاويك وفقك الله لما نورده عليك في هذا الكتاب، والله ينفعنا وإياك بالعلم، ويجعلنا من أهله آمين بعزته .

قال المؤلف رحمه الله : لما فرغنا من هذه المقدمة والتمهيد، رأينا أن نقدم فصلا في فهرست الكتاب، لرغبة في التيسير لمن أراد أن يقف على سر معين منه ، فينظر بابه في الفهرست، فيسهل عليه مطلبه :

فصل في فهرست الأبواب

الباب التاسع : في الكاتب وصفاته وكتبه .
الباب العاشر : في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج .

الباب الحادي عشر: في رفع الجبايات إلى الحضرة ووقوف الإمام عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه وتعالى.

الباب الثاني عشر: في السفراء والرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن .
الباب الثالث عشر: في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم.
الباب الرابع عشر: في سياسة الحروب والمكايد وترتيب الجيوش عند اللقاء .
الباب الخامس عشر: في ذكر السر الذي يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه .

الباب السادس عشر: في ترتيب الغذاء الجسماني والروحاني على فصول السنة الإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه

الباب السابع عشر: في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله.

وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان حضرة الباري تعالى **وهو على خمسة أبواب:**

الأول: في إفاضة نور اليقين على ساحة القلب .
الثاني : في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت .
الثالث: في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات .
الرابع: في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع .

الخامس: في الوصية للمريد السالك، وهو على فصول، وبه ختم الكتاب.
فجميع أبواب هذا الكتاب واحد وعشرون بابا وخاتمة.

نذكرها إن شاء الله في داخل الكتاب على ما هي في الفهرست.

وهذا حين أبتدئ، وبالله أستعين .

الباب الأول في وجود الخليفة الذي هو ملك البدن
وأغراض الصوفية فيه، وتعبيرهم عنه وهو الروح الكلي

بسم الله الرحمن الرحيم
عونك اللهم يا معينا

قد نبه الله سبحانه عليه في قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" [البقرة : 30]، واعتباره في العالم الأصغر استخلاف الروح في أرض البدن .

قد قدمنا في صدر هذا الكتاب قصدنا فيما أشرنا إليه وعزمنا على إخراجه في هذا المجموع، ومهدناه مخافة الطعن وانتقاد الجهال "الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم غافلون" [الروم: 7].

وأعربنا عن حقيقة ما أردنا حتى لا يجد الناقد إليه مساغا، فنقول على بركة الله، "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" [الأحزاب : 4].

كان سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنه لما زرت الشيخ الصالح أبا محمد الموروري بمدينة مورور.

وجدت عنده كتابا يسمى سر الأسرار، صنفه الحكيم لذي القرنين لما ضعف عن المشي معه .

فقال لي أبو محمد : هذا المؤلف قد نظر في تدبير هذه المملكة الدنيوية؛ وكنت أريد منك أن تقابله بسياسة من المملكة الإنسانية التي فيها سعادتنا.

فأجبته وأودعت في هذا الكتاب من معاني تدبير الملك أكثر من الذي أودعه الحكيم؛ وبينت أشياء أغفلها الحكيم في تدبيره الملك الكبير، **وعلقته في دون الأربعة الأيام بمدينة مورور**؛ ويكون جرم كتاب الحكيم في الربع أو الثلث من جرم هذا الكتاب ؛ فهذا الكتاب ينتفع به خادم الملوك في خدمته وصاحب طريق الآخرة في نفسه ؛ وكل يحشر على نيته وقصده والله المستعان.

إعلم نور الله بصيرتك ، أن أول موجود اخترعه الله تعالى جوهر بسيط روحاني فرد، غير متحيز في مذهب قوم، ومتحيز في مذهب آخرين؛ على حسب ما يرد الكلام على ماهيته في الباب الثاني من هذا الكتاب إرادة واختيارا.
ولو شاء سبحانه لاخترع موجودات متعددة دفعة واحدة، خلافا لما يدعيه بعض الناس من أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد.
ولو كان هذا لكانت الإرادة قاصرة والقدرة ناقصة، إذ وجود أشياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع ؛ والممكن محل تعلق القدرة.
فإن ثبت أن أول موجود واحد فاختيار منه تعالى.
قال المؤلف رحمه الله ورضي الله عنه:
وعبر أهل الحقائق عن هذا الخليفة بعبارات مختلفة لكل عبارة منها معنى:

فمنهم من عبر عنه بالإمام المبين، ومنهم من عبر عنه بالعرش، ومنهم من عبر عنه بمرآة الحق، إلى أشباه ذلك.
فلنذكر الآن تعبيرهم عنه ولأي معنى خصوه بتلك العبارات على حسب ما ظهر من الاعتبار في صفاته التي وهبه الله تعالى إياها وخصه بها .

فصل عن الخليفة الروح

قال المؤلف رحمه الله : ذكر القوم رضي الله عنهم ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي **أن هذا الخليفة، الذي هو الروح**، من عالم الأمر وليس من عالم الخلق اصطلاحا؛
واحتجوا بقوله تعالى: "قل الروح من أمر ربي" [الإسراء: 85] وجعلوا من هذا للتبيين.
وأرادوا بعالم الأمر كل ما صدر عن الله بلا واسطة إلا بمشافهة الأمر العزيز ، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الوجود المطلق.
والسبب الأول بالإضافة إلى الوجود المقيد.
فهو أول في المبدعات، وعالم الخلق كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشافهة الأمر الذي هو الكلمة.
قال الله تعالى: "ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين" [الأعراف: 54]؛ إشارة إلى أنه سيد العالم وخالقه ومربيه .
فإذا تقرر هذا، فلا مشافهة في الألفاظ إذا عرف المعنى " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" [الأحزاب: 4].

العبارات المصطلح عليها

قال المؤلف رضي الله عنه : فأما ما أطلق عليه بعض المحققين من أهل المعاني المادة الأولى، فكان الأولى .
أن يطلقوا عليه الممد الأول في المحدثات ؛ لكنهم سموه بالصفة التي أوجده الله تعالى لها. وهذا ليس ببعيد أن يسمى الشيء بما قام به من الصفات .
قال المؤلف رضي الله عنه : وإنما عبر عنه بالمادة الأولى لأنه الله تعالى خلق الأشياء على ضربين:
منها ما خلق من غير واسطة وسبب **وجعله سببا لخلق شيء آخر**.
والاعتقاد الصحيح أنه تعالى يفصل الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب.
خلافلا لمخالفي أهل الحق.
والذي يصح أن أول موجود مخلوق من غير سبب متقدم ثم صار سببا لغيره ومادة له ومتوقفا ذلك الغير عليه على العقد الذي تقدم.
كتوقف الشبع على الأكل، والري على الشرب عادة ؛ وكتوقف العالم على العلم، والحي على الحياة عقلا وأمثال هذا.
وكتوقف الثواب على فعل الطاعة والعقاب على المعصية شرعا.

فلما لحظوا هذا المعنى سموه المادة الأولى وهو حسن، ولا حرج عليهم في ذلك شرعا ولا عقلا .

وعبر عنه بعضهم بالعرش؛ قال المؤلف رحمه الله تعالى : والذي حملهم على ذلك أنه لما كان العرش محيطا بالعالم في قول، أو هو جملة العالم في قول آخر، وهو منبع اتحاد الأمر والنهي، ووجدوا هذا الموجود المذكور آنفا يشبه العرش من هذا الوجه أعني الاتحاد والإحاطة.

فكما أن العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع في مذهب قوم كذلك هذا الخليفة محيط بعالم الإنسان.

ألا ترى إلى قوله تعالى : "الرحمن على العرش استوى" [طه: 5] في معرض التمدح؛ فلو كان في المخلوقات أعظم منه لم يكن تمدحا.

سر للخواص: و لكن هنا سر نرمزه ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه ، وهو قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" (طه: 5].

فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن، وهو محل الصفة ؛ والخليفة الذي سميناه عرشا حملا على هذا مستوى الله جل جلاله؛ فبين العرشين ما بين الله والرحمن وإنه كان "أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى" [الإسراء: 110].

فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه .

وحد الاستواء من هذا العرش المرموز قوله : «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»؛ فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف.

وأمعن أيها الوارث، "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" [الأحزاب : 4]. وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول.

قال المؤلف رحمه الله : والذي حملهم على ذلك أنه لما تحقق عندهم خلافته وأنه حامل الأمانة الإلهية، **ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر.**

وقد قيل في آدم عليه السلام "وعلم آدم الأسماء كلها" [البقرة: 31] ؛ كذلك هذا الموجود، ثم خاطب الملائكة فقال : "أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" [البقرة: 31] .

"قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا" [البقرة : 31] و "إنك أنت العليم الحكيم " [البقرة: 32].

فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم لسجود أمر. كسجود الناس إلى الكعبة، كسجود أمرا وتشريف لا سجود عبادة . أعوذ بالله لا أشرك به أحدا.

فيكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود **لا نفس السجود** ؛ وإنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له كتواضع التلميذ لمعلمه .

وإذا حصل موجود في مقام تتعلم منه الملائكة فأحرى من دونهم. وذلك تشريف.

سر للخواص:

و لكن هنا سر نرمزه ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه ، وهو قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" (طه: 5].
فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن، وهو محل الصفة ؛ والخليفة الذي سميناه عرشا حملا على هذا مستوى الله جل جلاله؛ فبين العرشين ما بين الله والرحمن وإنه كان "أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى" [الإسراء: 110].
فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه .
وحد الاستواء من هذا العرش المرموز قوله : «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»؛ فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف.
وأمعن أيها الوارث، "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" [الأحزاب : 4). وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول.
قال المؤلف رحمه الله : والذي حملهم على ذلك أنه لما تحقق عندهم خلافته وأنه حامل الأمانة الإلهية، **ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر.**
وقد قيل في آدم عليه السلام "وعلم آدم الأسماء كلها" [البقرة: 31] ؛ كذلك هذا الموجود، ثم خاطب الملائكة فقال : "أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" [البقرة:31]. "قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا" [البقرة : 31] و "إنك أنت العليم الحكيم " [البقرة: 32].
فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا , فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم لسجود أمر. كسجود الناس إلى الكعبة، كسجود أمرا وتشريف لا سجود عبادة . أعوذ بالله لا أشرك به أحدا.
فيكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود **لا نفس السجود** ؛ وإنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له كتواضع التلميذ لمعلمه .
وإذا حصل موجود في مقام تتعلم منه الملائكة فأحرى من دونهم.
من الله سبحانه ،ودليل قاطع على ثبوت إرادته و"يختص برحمته من يشاء من عباده" [آل عمران: 74].

سر للخواص:

وهو حين أوقع الأسماء هل عاين المسميات أم لا؟
وإلا كيف يصح إطلاق اسم من غير مسمى، وهذا موضع نظر وفكر.
وسر السجود هنا لا يمكن إيضاحه، وقد ذكرناه في **«مطالع الأنوار الإلهية»** ؛ فأما هل عاين المسميات فقد نبه على ذلك تعالى بقوله **«بأسماء هؤلاء»**:
فالهاء للإشارة والتنبيه ، ولا تقع الإشارة إلا على حاضر وإن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس العبد وبوحة لعين العلة، فنقول إنه] عاين المسميات لكن على صورة ما، وذلك أنه عاينها في نفسه من حيث أنه مجمع أسرار العالم ونسخته الصغرى، وبرنامجه الجامع لفوائده ؛ وهذه فائدة الإشارة بقوله تعالى **"هؤلاء"** في حقنا .
وهو المطلوب والغرض في هذا الكتاب وعبر عنه بعضهم بمرآة الحق والحقيقة.

قال المؤلف رضي الله عنه : والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوه موضع تجلي الحقائق والعلوم الإلهية والحكم الربانية ، وأن الباطل لا سبيل له إليها، إذ الباطل هو العدم المحض، ولا يصح في العدم تجل ولا ظهور كشف، فالحق كل ظهر في الوجود وفي إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتضح ما أردنا .

سر للخواص:

السبب الموجب لكونه مرآة الحق قوله : "المؤمن مرآة أخيه". " المؤمن مرآة المؤمن".

والأخوة هنا عبارة عن المثلية اللغوية في قوله تعالى : "ليس كمثله شيء" [الشورى: 11].

وذلك عند بروز هذا الموجود في أصفى ما يمكن وأجلى ممكن ظهر فيه الحق بذاته وصفاته المعنوية الا النفسية، وتجلى له من حضرة الوجود.

وفي هذا الظهور الكريم قال تعالى : "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"[التين : 4].

فتأمل هذه الإشارة فإنها لباب المعرفة وينبوع الحكمة .

وعبر عنه الشيخ العارف **أبو الحكيم بن برجان** "رضي الله عنه " بالإمام المبين، وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شيء في قوله تعالى : **"وكتبنا له في الألواح من كل شيء" موعظة وتفصيلا لكل شيء"** [الأعراف: 145] .

"أبو الحكيم بن برجان: هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي"

وهو اللوح المحفوظ. هذا دليل أبي الحكيم على تسميته **«كل شيء».**

والذي حمله على ذلك قوله تعالى : **"وكل شيء أحصيناه في إمام مبين"** [يس :12] ، ووجدنا العالم كله أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسميناه الإمام المبين، وأخذناه تنبيها من الإمام المبين الذي هو عند الله تعالى، فهذا حظنا منه ، فتدبره وتحققه.

سر للخواص:

قال الله تعالى : **"ما فرطنا في الكتاب من شيء"** [الأنعام: 38] اعتباره الذي هو الإنسان منه شيء تفصيل في العالم بأسره .

الإمام على الحقيقة المبين من كان كل شيء مأموما به ، وهذا لا يصح في موجود ما لم تصح له المثلية اللغوية الفرقانية.

فإذا صحت المثلية صح وجود الإمام، وإذا صح وجود الإمام بطلت الإمامة في حق غيره : "لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا" [الأنبياء : 23].

فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة، [فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا هي من نفسه أو من غيره].

فوجدناها أمانة بيده فقرأنا "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها"[النساء:58] فلاحت لنا مرآة الحق المستقدمة، فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج، فسماه بعضهم مرآة، وبعضهم إمامة : **فالإمام كتابي والمرآة سنية** .

وعبر عنه بعضهم بالمفيض، وبه كان يقول شيخنا وعمدت أبو مدين شيخ الشيوخ رضي الله عنه ، أخبرني بذلك عنه غير واحد ممن أثق به.
"هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني (594 هـ - 1198م)، أبو مدين، صوفي، من مشاهيرهم، أصله من الأندلس، أقام فاس، وسكن «بجاية» وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها . له «مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب»."
قال المؤلف رضي الله عنه : والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوا الأجسام بيوتا مظلمة وأقطارا سوداء مدلهمة.
فإذا غشيها نور الروح أضاءت وأشرقت كالأقطار إذ غشيها نور الشمس؛ و **بالضرورة نعلم أن النور الذي في بغداد غير النور الذي في مكة،** والنور الذي في موضع ما غير النور الذي في غيره.
ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التي خلقها الله تعالى عنده لا به فوجدناه جسمة كروية نورانيا يقال له الشمس: فكل موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نورا يسمى شمسة.
فكما تطلق على كل نور خلق في الأرض في مقابلة الشمس شمسا، ليس يبعد ولا يمنع أن تطلق على كل نور أضاءت به أرض الأبدان روحا.
وكما يختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها، فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدرنة، كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها .
فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان، ولا قبول الإنسان كقبول الملك .
فلو سمينا الشمس بالمفيضة، حقيقة الإفاضة في الماء وهو مجاز في غيره .
ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الرب الكلي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، ولذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

سر للخواص:

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه "وأشرقت الأرض بنور ربها" [الزمر: 69].
اعتبار الربوبية هنا سيادة المعلم الأول وتربيته وتأثير سببيته؛ وهو المرجوع إليه على طريق التنبيه في قوله تعالى: "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك " [الفجر: 27 - 28].
ونور هذا الرب المنبه عليه هو الروح الحيواني الذي به تشترك البهيمة والإنسان.
فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام و**اعتبار النوم بغروب الشمس،** و**اعتبار الغفلة بالحجاب الهلالي** .
ثم قد يغيب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلا، وليس كفيضان الإمام؛ وفيض مادة الوزير وفيضانه إن أفاض بالنظر إلى النفس النباتية، وهي الحجاب لمادة النفس المطمئنة .

وقد يغيبان، أعني الإمام والوزير **فيبقى الفقهاء نجوم علم الأحكام**، فلا يستطيعون إفاضة لقهر النفس الحيوانية البهيمية والنفس السبعية واستيلاء سلطانها ؛ فتأمل هذا السر تدرك الحكمة الإلهية .

وعبر عنه بعضهم بمركز الدائرة:

قال المؤلف رحمه الله : والذي حملهم على ذلك أنهم لما نظروا "رضي الله عنهم" إلى عدل هذا الخليفة في ملكه واستقامة طريقته في هيئاته وأحكامه وقضاياه.

سموه مركز دائرة الكون لوجود العدل به ، وإنما حملوه على مركز الكرة نظرة منهم إلى أن كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساويا لصاحبه رأوا ذلك غاية العدل فسموه مركز الدائرة لهذا المعنى .

سر للخواص:

وذلك أن نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط، ومهما قدرت كرة وجودة أو تقديرة فلا بد أن تقدر لها نقطة هي مركزها .

فلا يلزم من وجود النقطة ووجود المحيط ووجود الفاعل من هذه الدائرة ورأس الضابط ولا دائرة في الوجود كان الله ولا شيء معه.

و يداه المبسوطتان جودا أو إيجادا ؛ **واليد** المختصة بالنقطة **يد** المغيب والملكوت الأعلى **واليد** المختصة بالمحيط **يد** عالم الملك والشهادة.

فالواحدة للأمر والأخرى للخلق والله "بكل شيء محيط " [فصلت : 54].

"وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" [مريم: 9]؛ **فيد** المركز معراة عن الحركة القاطعة للأحياز **ويد** المحيط متحركة.

فتأمل نور الله بصيرتك لهذه الإشارات، فقد مهد لك السبيل.

قال المؤلف: ولو تقصيت آثاره وتتبعت خصائصه وأطلقت عليه من ذلك ، ألقابا لما وسعها ديوان ؛ فاقتصرنا في هذا الإيجاز على هذا القدر لندل بذلك على شرفه و اجتبائه من بين سائر المحدثات .

الباب الثاني في الكلام على ماهيته وحقيقته

اختلف العلماء "رضي الله عنهم" في هذا الروح الذي عبرنا عنه بالخليفة.

فمنهم من قال إنه جوهر فرد متحيز، وزعموا أنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وإنه حامل الصفات المعنوية.

وزعم قوم أن الإدراكات مختصة بمحالها ولكن الله تعالى قد ربط وجودها في الجسم وبقاءها بقاء الروح.

فإذا فارق الروح الجسد ذهبت الإدراكات لذهابه .

وزعم قوم أنه جسم لطيف متشبث بأجزاء البدن، متخللها كتخلل الماء الصوفة، وإنه ليس له محل من الجسم يخصه.

وقال عبد الملك بن حبيب : إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان و يدان ورجلان في داخل الجسم، يقابل كل عضو وجزء منه نظيره من البدن .
"هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى أبا مروان، وكان بالبيرة، وسكن قرطبة"

وهؤلاء كلهم أحالوا أن يكون عرضا، فقيل لهم: وما المانع من ذلك؟

فقالوا : لم يكن يبعد عندنا ذلك لنفسه ، لكن السمع منع من ذلك في قوله إن الأرواح تتنعم وتتعذب وإنها باقية وهاتان الصفتان ليستا من صفة العرض.

فإن النعيم يؤدي إلى قيام المعني بالمعنى وهذا محال عقلا عند أكثر العقلاء، والشرع ليس يأتي بالمحال .

والحديث الثانى فى بقائها يناقض دليل العقل لو كان عرضة استحال بقاؤه.
لاستحالة بقاء الأعراض، فإنها تتجدد في كل زمان ؛ ولكان للحيوان على هذا القول أرواح متعددة بعدد أزمانه المارة عليه؛ **وهذا كله باطل.**
والذي زعم أنه ليس بجوهر، دليله على ذلك تماثل الجواهر . فلو جاز أن يكون جوهر واحد روحا لكان كل جوهر روحا.
وقد قام الدليل على بطلان هذا في مسألة العقل؛ فإن الذي زعم أن الروح جوهر أحال أن يكون العقل جوهرة للتماثل؛ وإذا بطل أن يكون جوهرة بطل أن يكون جسما لأن الجسم جواهر مؤتلفة ، جوهران فصاعدا.
وزعم قوم أنه جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز، وهو من **أحد أقوال الإمام أبي حامد الغزالي فيه** المنسوبة إليه ، وأنه لا داخل الجسم ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه؛ وذلك لعدم التحيز الذي يكون به التصرف في الجهات، وهو الشرط المصحح للاتصال والانفصال.
واعترض عليهم بأنه لا يخلو عن الشيء أو ضده إن كان له ضد.
فقالوا: يعرى عنهما إذا كان وجود كل واحد منهما ليس مشروطاً بشرط.

فمتى انعدم المشروط والشرط ، انعدم المشروط والشرط المصحح للاتصال والانفصال المتحيز وقد انعدم في حق هذا الموجود.
كما تقول في الجماد لا عالم ولا جاهل ولا ضد من أضدادها.
فإن الشرط المصحح لقيام العلم أو أضداده بالجسم إنما هي الحياة ولا حياة في الجماد؛ فقيل لهذا وما المانع أن يكون عرضة؟
فاستدل بدليل من قال إنه جواهر وأبطل أن يكون عرضة فقيل له جوهر؛ فاستدل بدليل من قال إنه عرض، فأبطل أن يكون جوهرة مع اعتقاد حصر المحدثات في جوهر متحيز وعرض.
ثم قال لهم : قد بطل أن يكون جوهرا متحيزا وبطل أن يكون عرضا ومتحيزا أو قائما بمتحيز وهو موجود؛ وليس هو الله سبحانه.
فقد بطل حصركم ولاح موجود خامس، وهو ما ذكرناه على الوصف الذي ادعيناه ؛ قلنا ولم نرجح أحد هذه الأقوال مع العلم أن الحق في أحدها لقول القائل :
إن الخليفة قد أبى .... وإذا أبى شيئا أبيته "امتنع و انف"
لكن قد ذكرنا ذلك في غير هذا الكتاب ؛ قلنا فلما أوجد هذا الخليفة على حسب ما أوجده قال له أنت المرآة وبك ننظر إلى الموجودات. وفيك ظهرت الأسماء والصفات.
"وفيك وعليك ظهرت تجليات الأسماء والصفات".
أنت الدليل على، وجهتك خليفة في عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك تمدهم بأنوارني و تغذيهم بأسراري، وأنت المطالب بجميع ما يطرأ في الملك.

استدراك

قلنا: هذا خلاف لا يضر ولا يهد ركن من أركان الشريعة إذ قال كل واحد على مذهبه فيه إنه محدث.

وإذا كان هذا فهو المراد، والله يوفق الجميع.

ويقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب الثالث في إقامة مدينة الجسم وتفاصيلها من جهة كونها ملكا لهذا الخليفة

اعلم أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة الذي ذكرناه آنفا بني له مدينة يسكنها رعيته وأرباب دولته، تسمى حضرة الجسم والبدن.

وعين للخليفة منها موضعا إما أن يستقر فيه على مذهب من قال إنه متحيز، أو يحل فيه على قول من قال إنه قائم بمتحيز .

وإما أن يكون ذلك الموضع المعين له موضع أمره وخطابه و نفوذ أحكامه وقضاياه ، على قول من أثبته غير متحيز ولا قائمة بمتحيز.

فأقام له سبحانه مدينة الجسم على أربعة أعمدة وهي الاسطقسات والعناصر، وسمى سبحانه الموضع المعين للخليفة منه القلب، وجعله مسكن الخليفة أو موضع أمره على ما ذكرناه من الخلاف.
"الأُسْطُقُسّات =الأَصل البسيط يتكون منه المركَّب . ويقصد به : العناصر الأَربعة عند القدماء ، وهي الماء والهواء والنار والتراب ."

وقال قوم إن مسكنه الدماغ ؛ والأظهر عندي من طريق التنبيه والاستقراء لا من جهة البرهان، أنه القلب شرعة لقوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه :
«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن».
"أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين 7/ 237)، وعلى القاري في (الأسرار المرفوعة 260، 310، 367). والفتني في (تذكرة الموضوعات 30)، (أحاديث القصاص 1)، والعجلوني في (كشف الخفاء 2/ 283)، والسيوطي الحلبي في (الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 139)."

وقال : "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم".

أخرجه مسلم وابن ماجة وابن حنبل .

وذلك أن المستخلف إنما نظره أبدا إلى خليفته ما يفعله فيما قلده ؛ والله سبحانه قد استخلف الأرواح على الأجسام .

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى" : ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [الحج: 46]؛ وليست الإشارة للقلب النباتي فإن الأنعام يشاركوننا في ذلك السر . لكن للسر المودع فيه وهو الخليفة، والقلب النباتي قصره.

وقال : «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب» .

فالقلب النباتي لا فائدة له إلا من حيث هو مكان لهذا السر المطلوب، المتوجه إليه الخطاب، والمجيب إذا ورد السؤال، والباقي إذا فني الجسم.

والقلب النباتى فنقول كذلك إذا صلح الإمام صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت ؛ بذا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلهية.

قال المؤلف رضي الله عنه : سر فساده وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها سبب ذلك أن الله تعالى إذا ولي خليفة قومة فإنه يعطيه أسرارهم وعقولهم فيكون إذ ذاك مجموع رعيته؛ فمتى خانهم في أسرارهم وعقولهم ظهر ذلك عليهم؛ وإن اتقى الله في ذلك ظهر ذلك عليهم.

وقد تكون أسرار رعيته حين تعطاه رذلة ناقصة، ولهذه الإشارة قوله : «مثل ما تكونون يولى عليكم».

فإن غلب عليها صلاح الإمام صلحت، وظهر أثر ذلك في الرعية وأرباب الدولة بمشيئة غيبية إلهية يجدها الإنسان في نفسه بعد أن لم تكن، ولا يدري من أين وردت عليه، ولا كيف حصلت له ؛ فهذا سر قوله : «إذا حصلت صلح سائر الجسد».

قال المؤلف رضي الله عنه : ثم بنى الله سبحانه له متنزها مشرفا عجيبا عاليا، في أرفع مكان في هذه المدينة، سماه الدماغ.

وفتح له فيه طاقات و خوخات "ابواب صغيرة جزءا من أبواب كبيرة " يشرف منها على ملكه، وهي الأذنان والعينان والأنف والفم.

ثم بنى له في مقدم ذلك المنتزه خزانة سماها خزانة الخيال، جعلها مستقر جباياته وموضع رفع ولاة الحس؛ وفيها تخزن جبايات المبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها .

ومن تلك الخزانة تكون المرائي والأحلام التي يراها النائم؛ وكما أن في الجبايات حلالا وحراما كذلك في المرائي مبشرات وأضغاث أحلام .

وبنى في وسط هذا المنتزه **خزانة الفكر** الذي ترتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح ويرد الفاسد.

وبنى له في آخر هذا المنتزه **خزانة الحفظ**؛ وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذي هو العقل ؛ وله باب في داخل الكتاب يخصه، فأضربنا هنا عن ذكره.

ثم أوجد له النفس وهي محل التغيير والتطهير، ومقر الأمر والنهي؛ وهي الليلة المباركة التي فيها يفرق كل أمر حكيم؛ وحظها من العالم العلوي الكرسي، كما أن الروح محله العرش من ذلك العالم؛ والنفس هي كريمة هذا الخليفة وحرته.

وقد أشار إلي ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في قوله إن الروح نكح النفس فتولد ما بينهما الجسم.

فقال مشيرا إلى ذلك في خطبة «لباب الحكمة» له: «ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات».

و لكن المتصوفة اصطلحوا على كل فعل فيه حظ لكون من الأكوان أنه **نفسي**، يعنى أنه عن أمر النفس سواء كان ذلك الفعل محمودة أو مذموما، **وكل ما ليس فيه حظ إلا لله تعالى فهو روح.**

وأن الإنسان له ثلاث أنفس:

نفس نباتية وبها يشترك مع الجمادات .

ونفس حيوانية وبها يشترك مع البهائم.

ونفس ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين ويصح عليه اسم الإنسانية؟

وبها يتميز في الملكوت، وهي الكريمة التي ذكرناها تحت هذا الخليفة .

قال المؤلف رضي الله عنه: **ثم أوجد الله** من تمام النعمة على الإنسان، وإكمال النسخة على الاستيفاء في هذه المملكة، أميرا قويا مطاعا، كثير الرجل والخيول، قوي العدد والعدد، منازعا لهذا الخليفة : **سماه الهوى؛ ووزيرا سماه شهوة.**

فبرز يوما في أجناده وخيوله يتنزه في بعض بساتينه، فأشرفت النفس التي هي حرة الخليفة عليه ، فتراءت ونظر كل واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى.

فأعمل الحيلة في الاجتماع بها ؛ فما زال يستنزلها ويستعطفها ويبسط لها حضرته ، ويهاديها بأحسن ما عنده .

ولم تزل رسل الأماني وسفراء الغرور تمشي بينهما، حتى قالت إليه وانقادت له ؛ وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا.

والعقل الذي هو وزيره قد شعر بذلك، وهو يسوس الأمر ويخفيه عسى لا يشعر بذلك الخليفة وترجع عما هي عليه.
فصارت النفس بين أميرين قويين مطاعين، هذا يناديها وهذا يناديها، والكل بإذن الله تعالى الأصلي "قل كل من عند الله" (النساء : 78). "وكلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك" [الإسراء: 20]. "فألهمها فجورها وتقواها" [الشمس: 8].

في إثر قوله "ونفس وما سواها " [الشمس: 7].

ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير : فإن أجابت الهوى كان التغيير وحصل لها اسم الأمارة بالسوء؛ وإن أجابت العقل كان التطهير وصح لها اسم المطمئنة شرعا لا توحيدة.

ووقوع هذا الأمر لحكمة لطيفة وسر عجيب، وهو أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال، أراد أن يعرفه سبحانه مع ذلك أنه فقير ولا حول ولا قوة إلا لسيده الرب تعالى.فلهذا أوجد له منازعة ينازعه فيما قلده .

فلما رأى الروح أنه ينادي والنفس لا تجيبه وقد قيل له هو ملكك، قال لوزيره: ما السبب المانع لها من إجابتي؟

فقال له العقل: أيها السيد الكريم، إن في مقابلتك موجود أقام لها في مقامك.

أميرا قويا مطاعا صعب المرتقى عزيز المنال، يقال له الهوى، عطيته معجلة مشهورة.

فأرسل وزيره إليها، فبسط لها حضرته وعجل لها أمنيتها في أوحي زمان ؛ فأجابت لدعائه وانقادت له، وحصلت تحت قهره، وأتبعها أجنادك وبادية رعيتك وما بقي لك من مملكتك إلا أرباب دولتك، المتحققون بحقائقك والمختصون بك، وها هو قد نزل بفناء بصرك ليخربه ويخرجك عن ملكك ويستولي على عرشك ؛ فدارك يا أخي، دارك قبل نزول الهلاك.

قال المؤلف رضي الله عنه : **فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم** سبحانه ، فثبتت له في نفسه عبوديته بالافتقار والعجز والذلة وتحقق التميز، وعرف قدره فذلك كان المراد.

فإن الإنسان لو نشأ على الخير والنعم طول عمره لم يعرف قدر ما هو فيه حتى يبتلي فإذا مسه الضر عرف قدر ما هو فيه من النعم والخيرات، فعرف عند ذلك قدر المنعم.

قال المؤلف رضي الله عنه : فلما رجع الروح بالشكوى إلى ربه صار واسطة بينها وبينه، فقال لها : "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي" [الفجر:27 - 30].

فلما أتاها النداء برفع الوسائط جنت و أنت واشتاقت ، فأجابت و أنابت بالعناية الإلهية .

السلام فصار منادي الروح أصلا من نفسها ومنادي الهوى أجنبيا عنها فالأصل حاصل والأجنبي غير حاصل، فاشتاقت أن تعرف ما لم تعرف فأجابته لترى ما تم كما أجابت حواء إبليس في أكل الشجرة.

ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل الوقائع والحروب والفتنة على هذا الملك الإنساني.

وقد يستولي أحدهما عليه وقد يؤخذ منه، فيعزله ويأسره وربما يقتله في حق شخص ما، هكذا استمرت الحكمة الإلهية حتى العرض الأكبر.

وربما يملك أحدهما البادية والاخر الحاضرة؛ وقد يملك أحدهما الملك كله ظاهرا وباطنا.

فأما العصاة فإن سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم .

وأما المنافقون فإن العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم.

وأما المؤمنون المعصومون والمحفوظون فالعقل مالكهم بادية وحاضرة.

وأما الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة .

فإذا كان في الدار الآخرة وذبح الموت وتميز الفريقان ونفذ حكم الله، ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين؛ فحصل لهم النعيم الدائم.

وألحق المنافقين بالكافرين فحصل لهم العذاب اللازم.

فلم يغن المنافق عمله من الله شيئا، فإن التوحيد أصل والعمل فرع؛ فإن اتفق في الفرع شيء يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا خرب الأصل لم ينفعه الفرع كالمنافق.

فهذا الملك الإنسانى تصرفه فى الدنيا على أربع أطباق لا بد من أحدها في حق كل شخص:

إما مؤمن معصوم.

أو محفوظ.

وإما كافر أو مشرك أصلا.

وإما منافق وإما عاص.

وإذ قد تقرر هذا وثبت، فلنذكر الآن السبب الذي لأجله نشأت الفتن والحروب بين **العقل والهوى** إذ هذا موضعه ؛ لا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل [الأحزاب: 4].

الباب الرابع في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم وفقك الله أن السبب الذي لأجله نشأت الفتنة ووقعت الحرب حتى كشفت عن ساقها، وعمت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها.

هو طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني ليخلصه من حصل بيده إلى النجاة، إذ لا يصح عقلا ولا شرعة تدبير ملك بين أميرين متناقضين في أحكامهما، "ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" [الأنبياء: ٢٢].

وإن فرض اتحاد الإرادة في حق المخلوقين فإن حكم العادة يألي ذلك والشرع في حق هذين الأميرين؛ وما سمعنا بخرقها في حق شخص قط.

وإذا كان هذا فلم يرد الله تعالى أن يدبر هذا الملك إلا واحد؛ وصرح بذلك على لسان رسوله : «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» .

والخلافة ظاهرة وباطنة، وقد تقررت الظاهرة وثبتت ؛ وكلامنا هنا في الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبوبة على أنبوب، وجريا على ذلك الأسلوب.

اعتراض لكشف أسرار :

قال المؤلف رضي الله عنه : وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئا ما فيقول: قد قال فاقتلوا الآخر منهما؛ وما يدريك لعل الهوى تقدم والعقل تأخر، فيكون الهوى صاحب الخلافة.

فنقول ليس التقدم والتأخر هنا بالزمان، وإنما التقدم هنا بإحصاء الشرائط، أعني شرائط الإمامة.

ففيمن وجدت كان المقدم للإمامة، ويخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط ، ويقتل إن عاند ولم يدخل في الأمر العزيز، فلا يلتفت للزمان.

قال المؤلف رضي الله عنه : وشرائط الإمامة على ما ذكرته العلماء عشر:

ست منها خلقية لا تكتسب، **وأربع منها مكتسبة**.

أما الخلقية :

فالبلوغ

والعقل

والحرية

والذكورية

ونسب قريش وفيه خلاف، ولم يره بعض العلماء .

و سلامة حاسة السمع والبصر .

وأما الأربع المكتسبة:

فالنجدة

والكفاية

والعلم

والورع.

قال المؤلف: وهذه الشرائط كلها موجودة في هذا الخليفة، والهوى معرى عنها نعوذ بالله لا نشرك به أحدا؛ فلنذكرها شريطة شريطة حتى نستوفيها ونبين أن الروح قد جمعها.

الشرط الأول في الخلافة البلوغ:

فإن الإمامة لا تنعقد لصبي اعتباره في الروح. البلوغ نور الله بصيرتك أمر شرعي، وبلوغ الروح اتصاله بالإلهية؛ وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه اتصال شرف ورفعة وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها : "ألست بربكم قالوا بلى" [الأعراف: 172].

فلو كانت الأرواح غير بالغة لما تصور منها هذا الجواب ولا توجه عليها هذا الخطاب شرعا.

الشرط الثاني - العقل:

فإن الإمامة لا تنعقد لمجنون إذ هو غير مخاطب ولا تكليف عليه، والإمام مكلف باعتباره في الروح يعقل عن الله ما يرد عليه منه، ولذلك قال : بلى، وهي صفة قائمة به ، عنها صدر العقل الذي جعلناه وزيرا له فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

الشرط الثالث - الحرية:

فإن الإمامة لا تنعقد لرقيق، وذلك أن الإمامة تستدعي أن يستغرق الإمام أوقاته في أمور الخلق وهذا لا يتفق للعبد إذ سيده مالك له يقطع عليه النظر في مهمات الخلق باشتغاله في تصرفاته . واعتباره في الروح لا يوجد أشد حرية منه ولا أكمل، إذ ليس لأحد عليه ملك إلا الله تعالى.

وكيف يتصور ذلك وهو أول المحدثات، وكون الإمام مستغرقا في مهمات الخلق فكذلك الروح مستغرق في مهمات ملكه .

قال الله تعالى: "يسبحون الليل والنهار ولا يفترون" (الأنبياء: 20].

الشرط الرابع - الذكورية:

فإن الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي منع من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعا واعتبارها هذا بين بنفسه لا يحتاج إلى شرح . والذي منع أن تكون النفس إمامة وإن اتصفت بصفات الكمال.

فإنها في الكون تحت حجاب الصوت، وهي كريمة هذا الإمام، وهي محل الفجور والتقوى، والعلة مطردة في الخلافتين معا.

الشرط الخامس - النسب:

اعتباره الدخول في المقامات المحمدية وهي الدورة الثانية الإلهية التي حضرتها الأولية والآخرية، بعث آخرا وقيل له متى كنت نبيا؟
قال : وآدم بين الماء والطين؛ فانتهت في عيسى علم الدورة من آدم.
وكذلك جعله في كتابه كما قال تعالى : "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب " [آل عمران: 59] فختم بمثل ما به بدأ.
واختصت الدورة الثانية الحاكمة على الكل، المحمدية المحيطة بجوامع الكلم؛ وهي الدورة التي من الشرق إلى الغرب. فكما أن محمدا عم أرسل إلى الكافة كذلك الروح أرسل إلى كافة البدن.
وفي هذا سر عجيب نذكره في غير هذا الكتاب، فهذا فائدة النسب للروح.

الشرط السادس سلامة حاسة السمع والبصر:

إذ الأعمى والأصم لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبر غيره. واعتباره في الروح سماعه بالحق ونظره بالحق، فتقدس عن الآفات وتنزه.
قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه : «ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به».
وهنا سر يبحث عنه فإنه كذلك كان. فمن كان الحق سمعه وبصره كيف لا يدبر نفسه وغيره.

الشرط السابع والثامن النجدة والكفاية:

وهما من صفات الأرواح، ألا ترى أن الله تعالى لما أراد نصرة عباده أمدهم بملائكته وأيدهم بهم.
قال تعالى : "إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين "[الأنفال : 9]
وقال : "وأيدهم بروح منه" [المجادلة : 22].

الشرط التاسع - العلم:

وهذا قد ظهر في آدم عم حين علم الأسماء كلها فلا يحتاج ذكره .

الشرط العاشر - الورع :

وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه والحقيقة إزاره .
فقد تكملت الشرائط في هذا الخليفة، وصحت خلافته وانعقدت إمامته.
قلنا : فلنرجع إلى السبب الذي لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما .
فأقول: إن السبب في ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني؛ فإذا أصبحت الرئاسة لأحدهما عليه سعي في نجاته وإقامته، وحمى دياره وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديئة له في الدارين على حسب ما يتخيله أو يعلمه.

واعلم أن سبب نجاته من كل أمر مهلك هو طاعته لأمر داع من خارج يقال له الشرع، عرفه الروح إذ هو من جنسه ؛ **وجهله الهوى.**
فالهوى يتخيل له أن النجاة في حيزه؛ والروح يعلم أن النجاة في حيزه ؛ **فنشأ الخلاف و وقع الشتات .**
والذي دعا إلى ذلك أن حقيقة الأمرين مختلفان فلما جاء الداعي من خارج نظرا إلى نتيجة ذلك الأمر فوجدا له نتيجتين:
في الواحدة الهلاك وفي الأخرى النجاة ؛ فطلب كل منهما سبيل النجاة وتجنب المهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية .
وكل لو ترك والاعتذار لكانت له حجة ما، ولكن حسمها الحق جل اسمه بحجته البالغة حيث قال :"لا يسأل عما يفعل وهم يسألون" [الأنبياء: ٢٣].
وهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي وجف القلم.
فنقول إن الروح حقيقته نور والهوى حقيقته نار، وكل واحد منهما يتنعم من وجوه في وجوده إذ هي صفته النفسية.
وإلا فلو تيقن من حقيقته نارا أنه يتعذب بها وأن الفاعل قادر على ذلك ، لطلب الفرار إلى محل وجود النور ولو تحقق فيه النجاة؛ لكن جهل ذلك فكل داع إلى مقامه بل النار تتعذب بالنور .
... كما تضر رياح الورد بالجعل."الجعل نو من الخنافس"
فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أن هذا الملك الإنساني يتعذب أيضا بالنور فهو أبدا يطلب أن يخرجه من النور، ويحجبه عنه بالأفعال التي تؤديه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حفت النار بها، فمن وردها فقد ورد النار .
ويطلب أيضا الروح الذي هو نور مثل ذلك، وكل واحد منهما ينظر في الأسباب الموصلة هذا الملك الإنساني إلى حزبه، فيعرضها عليه ويحليه بها، وقد صح عندهما أنه متى تحلى أو اتصف بوصف ما كان ملكا لصاحب هذا الوصف، فكان المستولي عليه فوقعت الفتن والحروب .
ولو ترك كل واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعي من خارج، الذي هو الشارع.
وقال : وجدت داعيا من خارج ثبت صدقه وعصمته ؛ فما قال فيه النجاة فهو ذلك، وما قال فيه الهلاك فهو ذلك لوقع التسليم والانقياد، وارتفعت الفتنة وحصل الملك في حزب النجاة.
لكن هذا لا يصح أبدا إذا كانت تزول حقيقة الهوى فإنه عين المخالفة ، فلو علمت انعدم وذهب، لكن الله تعالى من هذا تدبير عجيب، يحجب عن من يشاء ويكشف لمن يشاء، "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".
"ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك" [هود: 118].

وهم أهل الجمع ولذلك خلقهم لتظهر أسماؤه في الوجود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.
والحمد لله رب العالمين .

الباب الخامس في الاسم الذي يخص الإمام وحده وفي صفاته وأحواله وأن الإمام لا يكون أبدا إلا واحدة من أربعة

جرت الحكمة الإلهية في العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يختص به وحده دون غيره لا سبيل إلى أن يتسمى به أحد، حتى إذا ذكر تميز وعرف، ولم يعط اللفظ على مجرى العادة أن يفهم منه غير الإمام، ولا عليه من بقية أسمائه ولو كانت ألفا بوقوع الاشتراك تأسيا بما استخلفه وهو الله تعالى.

فإنه سبحانه اختص باسم الألوهية حتى إذا قال أحد الله لم يفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه ، ألا ترى لما أنزل الله تعالى قوله : "واعبدوا الله لم يقولوا وما الله" ولما قيل لهم واسجدوا للرحمن " قالوا وما الرحمن" .

قلنا: إن ننظر أي اسم يختص به هذا الإمام نطلق عليه، فلم نجد شيئا إلا بما سماه به الله تعالى في قوله : "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة "[البقرة : 30] ؛ وقد منع سبحانه أن يوجد منه في زمان واحد اثنان، فحسم ذلك بقوله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» .

فلا تصح إقامة ملك بين مدبرين وإن اتحدت إرادتهما . قال الله تعالى : "ولو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا" [الأنبياء : 22]، لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بعين ما ينهى عنه الآخر.

ولا بد من امتثال أمر أحدهما إذ لا يسوغ امتثال الأمرين : فإن تركوا عوقبوا، وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الاخر، إذ بنفس ما يطيعون الواحد عصوا الآخر، فعاقبهم من عصوه، فوجب على من أطاعوه نصرتهم، فأدى ذلك إلى حروب وفتن تشكل عن تدبير بالملك ، فيخرب ، فلهذا نص على خليفة واحد.

اعتراض : فإن قيل قد سمعنا الله يقول : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض" [فاطر: 39].

وقد قلت إنه أحد شرعا، فكيف الجمع؟

فنقول: إن سر الخلافة واحد وهو متوارث تتوارثه هذه الأشباح؛ فإن ظهرت في شخص ما دام ذلك الشخص متصفا به .

ومن المحال شرعا أن يوجد لذلك القبيل في ذلك الزمان بعينه في شخص آخر ثاني ؛ وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة، وهو دجال ذلك الزمان.

فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر، فانتقل معه اسم الخليفة ، فلهذا قيل خلائف .

فانظر في هذا الفصل فقد نبهت على أسرار لم أجزم على إيضاحها .

تنبيه :

فإذا تقرر هذا وثبت فينبغي لهذا الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه حتى يظهر ذلك في أخلاق رعيته وفي أفعالهم.

وقد ذكرنا معنى التخلق بالأسماء الربانية في كتابنا المترجم «بكشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى».
يا أيها السيد الكريم، حافظ على شريعتك واجعل ملكك خادمة لها، ولا تعكس فيعكس عليك، ولا تغفل عن النظر في كل حين في رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولدة عنها، التي وهبها الله تعالى لك .
على طبقات العوالم الذين ذكرناهم في الإنسان، ثم يندرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كتابك إلى كل وال في مملكتك.
فعليك بكظم الغيظ وتوفير الكبير ورحمة الصغير، ورؤية إحسان المحسن، والغض عن إساءته، والتغافل عن الزلة والسقطة، وذلك بأن تذل العين يوما بنظرة في فضول، أو اللسان في لفظة فضول، فتكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة مما وقع فيه، لا كمن أغمض عينه أعواما أو صمت من غير استغفار زمانا .
وأما توفير الكبير فليس في الباطن للسن حظ، وإنما هو الكبير بالشرف والمرتبة ، والصغير على هذه النسبة .
وأما رؤية إحسان المحسن، فإذا أحسن إليك عامل من عمالك مثل العين والسمع، فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقامه وما يليق به .
تذكرة : والذي أوصيك به أيها السيد الكريم، أن لا تنفذ أمرا في ملكك حتى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر؛ فإن أعقب خيرة أمضيت وإلا أمسكت.
فتأ في أمورك ، أعني في الطاعات، إذ العلل كثيرة؛ فإن النفس قد تأمر بالطاعة لأمر ما تجب مخالفتها فيه ؛ وهذا عند أرباب النفوس باب متسع فيه عبرة .
يا أيها السيد الكريم : والذي أوصيك به أن لا تنجلي لرعيتك إلا لمحة بارق أو خيال طارق، فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم.
فربما بإدامة التجلي أساءوا الأدب بل لا يكونون إلا كذلك .
قال الله تعالى "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء" [الشورى : 27].
فقد نبه على مقام القبض والتجلي ههنا، إنما هو إظهار التوحيد يوما ما أو في نازلة ما لا يكون في كل الأيام ولا في كل النوازل، لأن استدامة التجلي تؤدي إلى تعطيل الأحكام والديانات .
وإذا كان ذلك كذلك، خرب الملك عاجلا وآجلا، فالله ولا لمحة بارق من التوحيد.
سياسة : يا أيها السيد الكريم، أصغ إلى سياسة مدينتك من أخ شفيق عليك رفيق بك: ينبغي لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك وتظهر في عالمك المتصل والمنفصل، من عالم الملكوت والجبروت والشهادة.
فلتقدم وزير العقل إلى جميع مملكتك يقوم فيهم مقامك، ويعرفهم بتجليك لهم.
ويوقر في نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظيم سطوتك ما لا تنفر نفوسهم به منك .
ويوقر أيضا في قلوبهم من حنانك ولطفك ورحمتك وجودك وجسيم منتك ما لا يؤديهم إلى الإدلال عليك ، فيلقوا بك في حد الاعتدال لا قانطينا ولا مدلين.

بل معتدلين إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر في نفوسهم [من جبروتك وعظيم سطوتك.
وإن أرادوا الانقباض بسطهما ما وقر في نفوسهم من حنانك و رأفتك، فهم في شهودك بين الخوف والرجاء في مقام الهيبة والأنس، قد أمنوا العقاب وخافوا الإجلال.
شعر:
كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم .... لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال
وهذا مقام لا يصح إلا في الطائفة الملكوتية والكروبية، وأما من دونهم فمشاهدة العقاب تمنعهم من الإدلال.
قال الله تعالى: "يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار" [النور: 37] وقال : "يخافون ربهم من فوقهم" [النحل: 50].
يا أيها السيد، واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته ؛ ألا ترى أبا يزيد البسطامي "طيفور ابن عيسى البسطامي 261 هـ" رضي الله عنه كيف أقام سنة ما سقى نفسه شربة ماء عقوبة لها حين امتنعت عليه لأمر أراده منها الله تعالى.
تكملة حكمية : أيها السيد الكريم، نزه نفسك عن الدنيا و أوضارها، واجعلها خادمة لك ولرعيتك .
وما الدنيا إلى جانب منصبك الذي أهلك الله إليه ، المقدس عن تعلق الكونين به . فكيف عن الدنيا التي مقتها الله تعالى وما نظر إليها من حين خلقها، وناهيك من تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم إياها بالجيفة والمزبلة.
مع إخباره أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة ملعون ما فيها:" إلا ما كان من ذكر الله" فيحمل بهمة خليفة مثلك قد خلقه الله نورة جوهرة يتيمة أن يلحظ ببصره أو بطرفه إلى جيفة أو مزبلة، أو يتكالب عليها وقد قال تعالى: «يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك».
فالدنيا وفقك الله تطلبك حتى توفيك ما قدره لك من استخلفك من جاهك ورزقك وأرزاق رعيتك.
فأجمل في الطلب واسعى في تخليص رعيتك وتخليص نفسك بانشغالك بما كلفك من استخلفك من الأوامر والنواهي والحدود. فعليك بالإعراض عن الدنيا تأتك خادمة راغمة؛ والذي يصل إليك منها وأنت مقبل عليها هو الذي يصل إليك وأنت معرض عنها.
ذكر كعب الأحبار رضي الله عنه: أن الله تعالى ذكر في التوراة : "يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية ؛ ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم".
فعلق الإرادة بالقلب مع البدن إذ لا يصح طلب شيء من غير إرادة، إذ هي المحركة الباعث على البحث والتفتيش والإرادة من خاصتك المصرفة لعامتك ، فإن تصرفت

في المضمون تصرفا كليا لم تتهيأ لامتثال أوامرك عليها، وعند عدولها عن ذلك كنت لئيما على رعيتك على ما يرد في داخل الباب .
فالله ، اجهد أن لا تتعلق لك إرادة إلا بمراد محبوبك ومطلوبك من جهة ظاهر الأمر وباطن الإرادة بعد وقوع المراد المؤدي إلى العلم بأن ذلك الواقع لولا ما سبق في العلم على ذلك وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدله في نفسه في وقوعه على غير ذلك.
فإذا تقرر هذا فإني أضرب لك مثالا لمن لم يفهم من عمالك وولاتك فيما تقدم من طلب الرزق الذي لا بد منه مثلك في طلب الدنيا والإعراض عنها والقرب منها، والحق سبحانه قال : "وله المثل الأعلى" [الروم: 27].
رجل صرف وجهه للشمس فرجع ظله خلفه . فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله ولم يلحقه ولا نال منه إلا ما كان تحت قدميه ؛ وفي الاستواء، أعني استواء الشمس في قبة الفلك، على رأس الرجل سر لا ينكشف ولا نودعه كتابا وهو موجود في قوله تعالى : "ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا" [الفرقان : 46]. |
قال المؤلف رضي الله عنه : ثم نرجع إلى المثال فنقول، ثم إن هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله، فلا هو يلحق الظل وقد فاته حظه من الشمس، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: "ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا" [الحديد: 13]؛ وما لحق من الظل إلا ما تحت قدميه، وهو الحاصل له في استدباره الشمس. فأنت ذلك الرجل والشمس وجود الحق والظل الدنيا، وما حصل تحت قدميك القوت الذي لا بد منه .
يا أيها السيد الكريم، وهل خلقت الدنيا إلا من أجلك، وخلقك سبحانه من أجله، فأوجدك له وأوجد الأشياء لك. أنزل في التوراة : **يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك** .
قال الله تعالى في القرآن العظيم: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون" [الذاريات : 56، 57] .
وقال : "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله" [القصص: 73].
وقال تعالى : "الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون" [غافر : 79]، "والخيل والبغال والحمير لتركبوها" [النحل: 8].
إلى أمثال هذا مما لا يحصى في القرآن كثرة.
تتميم : يا أيها السيد الكريم، تحبب إلى رعيتك وأجزل لهم العطايا كل صنف ما يصلح به، وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات.
وتذكر قول من استخلفك : "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" [النور: 24] .
وقوله : "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا" [الإسراء: 36].

فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك "ولا تمش في الأرض مرحا" [الإسراء: 37]، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر.
وتفقد النفس الأمارة بالسوء واللوامة؛ واجعل وزيرك يتلطف لها في كل حين ويسوسها، فإنها مدبرة بادية مملكتك .
[فإنها لا تلقي للحواس إلا ما يلقى إليها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر؛ فتصلح عند ذلك مملكتك] وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك.
فاجعل أبدا همتك في إصلاح الأقرب، فالأقرب يقل [سعيك وطلبك وسلط الصالح على الفاسد يصلحه؛ وإياك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فتزيدهم نفورا.
"فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر"[آل عمران: 159]؛ فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .
سياسة : يا أيها السيد الكريم، ينبغي لك بل هو أكيد عليك ان لا تضع شيئا في غير موضعه، ولا تبرز شيئا إلا في وقته المعهود عندهم؛ وإياك وخرق العادة، وخاصة عند مسيس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشد، إذ العادة وفرت الدواعي إلى ذلك الوقت الظهور ذلك الأمر المنتظر.
مثل لو خرق الله العادة بنزول المطر في غير وقته ، واستدامة الصحو في غير وقته، أدى ذلك إلى القنوط والكفران.
فهم مع الإحسان يبغون في الأرض فكيف بالإساءة؛ وإن ظهر مثل هذا في سنة فلأمر ما وعدل منه، ابحث عنه تجده .
فتخلق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وآخرة.
قال المؤلف رضي الله عنه : إذا هممت بأمر فقل إن شاء الله كما قال تعالى : "ولا تقولن لشيء إني فاعل غدا إلا أن يشاء الله " [الكهف: 23] ولا تتأل على الله "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" [النحل: 91]، "ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم" [النحل: 14].
واحذر قرناء السوء فإنهم يأكلون دراهمك ويقربون للنار لحمك ودمك، فلا تصحب إلا خليلا تجد معه الزيادة في دينك .
فإن رأيت في صحبته النقص في ذلك فبئس القرين، وهو أكبر عدو لك ؛ فاحترز منه في ملكك فإنه يكون سبب خرابه .
وهذا القرين فيك هو هواك [كما قيل: جاهد هواك] فإنه أكبر أعدائك.
وقال تعالى : "وقاتلوا الذين يلونهم من الكفار" [التوبة: 123] .
وهو أقرب الكفار إليك، فاشتغل به وإلا اشتغل بك؛ فإن السباع العادية تهدم بادية مملكتك وتحرمك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك .
أيها السيد الكريم، أوصي وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات التي هي جباياتك إلا صفة يتحقق فيها .

أنها نتيجة عن : متين صحيحتين ضروريتين، وفرع عن أصلين كريمين مستقيمين؛ فإن من الصفات ما ترد عليك بها النفس مما يعطيها الهوى التهلك بها فتأتي إليك بها في أحسن صورة تكون وباطنها ضد ذلك .
حتى إذا اختبرت ذلك وجدت صحته فتحفظ فإذا جاءتك بصفة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية العقلية والعادية، واسبرها في محك النظر ومجاري الفكر، وزنها بمعيار العلم.
وتفرس فيها ما تعطيك الأدلة المنصوبة للفراسة . فإن كانت تعقب خيرة فتح بها، وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها .
فتلك الصفة هي التي نبهنا رسول الله بقوله: «إياكم وخضراء الدمن» فالشيء ضرورة إنما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.
تنبيه : حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية، واعرف قدرها ولأي شيء وجدت وما المراد منها .
وإن أمكنك أن لا تصرفها في قيام وقعود وحركة وسكون، وأشباه ذلك من جميع أفعالك إلا عن أمر إلهي علوي .
فتحقق كما قال الخضر عليه السلام: «وما فعلته من أمري، فنظر نظرة في النجوم وقال : إني سقيم، وما ينطق عن الهوى». .
وإياك وإنفاذ أمر في ملكك حتى تشاور فيه وزيرك، فإنه في مشاورتك إياه تثبت مودتك في قلبه، والمودة تورث الشفقة، والشفقة تورث النصح، والنصح يورث العدل ، وبالعدل بقاء المملكة . هكذا ينبغي أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلا [هلك وأهلك].

فصل:
لا يخلو الإمام أن يكون واحدة من أربعة، بالجود ظهر الوجود ودام .
قالت الحكماء: الملوك أربعة لا خامس لها :
1- ملك سخي على نفسه سخي على رعيته.
2 - وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته.
3 - وملك سخي على نفسه لئيم على رعيته.
4 - وملك لئيم على نفسه سخي على رعيته.
ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف.
كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها، ولم يزل العارفون بالله تعالى على قديم الزمان يتتبعون أنفسهم بالنصر والاعتبار لتصحيح النسختين.
فنقول ظهر لنا في الوجود الإنساني علم وهو مقام الجمع، وعمل وهو مقام التفرقة، وهو حد الكرسي، والأول حد العرش.
فرد الوتر إلى الكرسي الذي هو موضع القدمين، فتكتسب الشفعية إلى الأرض . وهذا الملك هو الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم.

فيا أيها السيد الكريم، إن كنت صاحب علم وعمل فأنت سخي على رعيتك سخي على نفسك، وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل، فأنت لئيم على نفسك ورعيتك ، وإن كنت صاحب علم لا صاحب عمل فأنت سخي على نفسك نيم لى رعيتك .
وإن كنت صاحب عمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخي على رعيتك ، وهنا سر منعنا عن كشفه تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام.
ولعل معترضا يقول: نسلم القسمين وهما قولك صاحب علم وعمل فإنه العالم العامل، ولا صاحب علم ولا عمل وهو عكسه؛ ولا نسلم القسمين الاخرين .
فنقول له : الأقسام صحيحة واضحة، وذلك أن الأرواح نعيمها بالعلوم والمكاشفات والأجسام نعيمها بالمحسوسات من المطعومات والمشمومات؛ وعذابهما بأضداد هذه.
فإذا سلمت القسمين فيلزمك أن تسلم القسمين الاخرين، وذلك أنه صاحب عمل لا صاحب علم فإنه المقلد وهو صاحب عمل.
وليس لروحه علوم يلتذ بها، إنما هي مسجونة مقيدة بالنظر إلى ما يؤول إليه محلها من نعيم الجنان، ولا نقول: إن هذا صاحب علم.
وأما القسم الآخر وهو صاحب علم لا صاحب عمل، فهو العالم المرتكب الشهوات والمسخر في المحرمات.
فإن روح هذا متنعم بما يكشف له من العلوم، ورعيته معذبة بما ارتكب من المحارم المؤدية إلى دار البوار، فتدبر هذه الأقسام تر الحكمة البالغة .
ثم لنا أن نبين ما نريده بالسخاء واللؤم في هذه المواضع، وفي حق هذا العالم المودع في هذا الكتاب ، فنقول : إن السخاء بذل الشيء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقصان .
واللؤم منع الشيء مع الحاجة إليه [وبذل الشيء من غير حاجة إليه].
فمن جاوز فقد أفرط، ومن قصر فقد فرط؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.
وفي ذلك أقول، شعر :

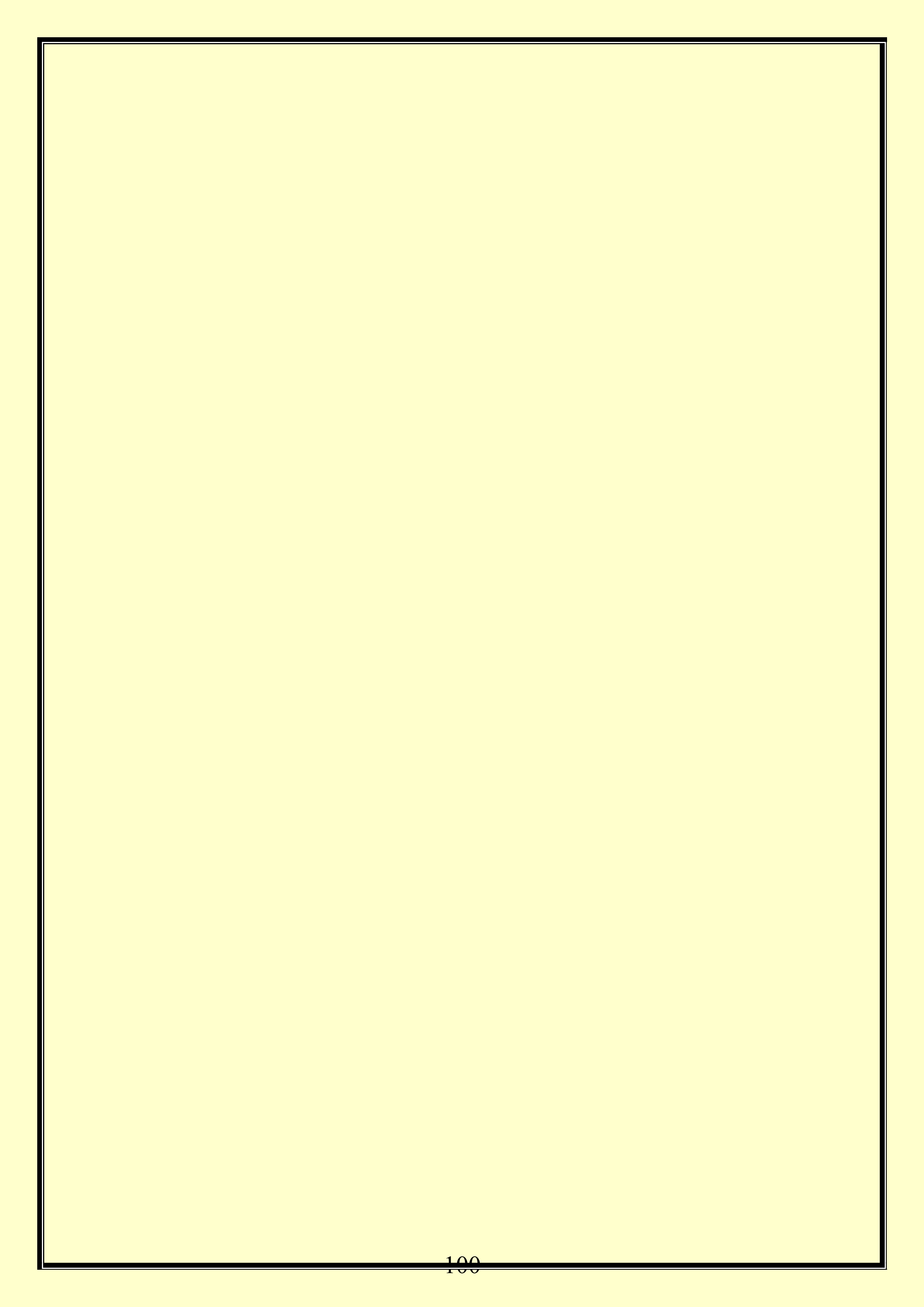
جرى مثل دل السماع مع الحجي ...... عليه على مر الزمان قديم
توسط إذا ما شئت أمرا فإنه ...... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فقف رحمك الله عند هذا الحد، فظاهر الخليفة عمل وباطنه علم، وظاهره حد وباطنه مطلع .
<u>والرعية على قسمين :</u> بادية وحاضرة.
فالبادية عالم الشهادة المنفصل في حق المتبوع المحمدي،
<u>والحاضرة على قسمين:</u> خواص و عوام.
فالعوام عالم الشهادة المتصل وهي البادية في حق غير المتبوع.
<u>والخواص على قسمين :</u> عالم العقل وعالم النفس.
<u>فعالم النفس ينقسم قسمين:</u> مطيع وعاص.
فالمطيع يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم. **والعاصي** هم أعداء هذه المدينة الذين ذكرناهم.

<u>وعالم العقل على قسمين:</u> محجوب وغير محجوب .
فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات .
قال الله تعالى : "وما منا إلا له مقام معلوم" [الصافات: 164].
وغير المحجوب هم أصحاب السلب عرائس الله المجنون عنده في خزائن غيوبه حجبهم غيرة عليهم حتى لا يعرفهم سواه. كما لا يعرفون إلا إياه.
وهم في المقام الذي يعبر المحققون عنه بالفناء الثالث المحق الكلى، وهم خواص هذه المدينة، فانظر في هذه الأقسام ترشد إن شاء الله تعالى .
يا أيها السيد الكريم: إذا تحققت هذا فابذل لكل عالم ما يحتاج إليه حسب ما حددت لك آنفا وكذلك لنفسك، فتكون في المقام المحمدي صاحب علم وعمل وهو الكمال .
والسخاء كل السخاء الزهد فيما في أيدي الناس، فما أحبت رعية مليكها حتى زهد فيما عندها .
والسخاء يورث المحبة، والمحبة تورث القربة، والقربة تورث الوصلة ، والوصلة تورث الجمع، وهنا إشارة مضمونة تحت حجاب الغيرة.
فكذلك ينبغي لك أن تزهد في أفعالك وأقوالك و اعتقاداتك، وتبني البيت و توقد السراج، وتضرب الستارة وتبرز الصور تبدا لك الحكمة الإلهية وتلوح لك الحقائق على ما هي عليه، وموضع هذا من الكتاب العزيز : "والله خلقكم وما تعلمون" [الصافات: 196].
فكما أن الإنسان إذا ترك ما للناس عند الناس أحبه الناس، كذلك إذا تركت ما لله عند الله، ولم تطمع فيه ولا أضفت شيئا إلى نفسك من جميع أفعالك كنت على الحقيقة زاهدة وعلى التوحيد راشدا.
فاسع في اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الإنصاف، وقديمة خبرت الناس في أوطاننا وأوطانهم فلم أر لديهم أعظم قدرة ولا أكبر خطرة ولا أجل في نفوسهم من رجل طال صمته وقل كلامه، وإن تكلم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة وأقبل لنفوسهم حذر السآمة ، وهو حد السخاء المتقدم
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلل أصحابه بالموعظة الحسنة مخافة السآمة عليهم، وكذلك ينبغي للوارثين أن يكونوا.
<u>وكذلك لم أر أعظم عندهم وأجل في نفوسهم وأحب إليهم من رجل زهد فيما في أيديهم واحتجب عنهم</u>، ولم يظهر لهم إلا عندما يعرف أن الحاجة قد مستهم للنظر إليه ، فحينئذ يظهر لهم على ما قدمت لك في أول الباب .

فصل:

فكل شيء ورده في ذلك المقام قبل لتعطش النفوس إليه ، فإن أقبلوا عليك بشيء من دنياهم فارغب عنها وردها على فقرائهم، فإن أبوا إلا بواسطتك فخذ منهم وادفعها إلى فقرائهم على علم منهم بذلك. هكذا تكون حالة الإمام، وبها يعظم عند أهل مملكته والحمد لله رب العالمين.



الباب السادس في العدل وهو قاضي هذه المدينة القائم بأحكامها

أيد الله السيد السند، الهمام الإمام، الأعدل الأكمل:
ينبغي لك إن أردت بقاء مملكتك والظفر بأعدائك، أن يكون متولى أحكام رعيتك ومنفذ قضاياك العدل، فإنه أبقاه الله عليك ما ولى مدينة قط ولا مملكة إلا ظهرت فيها البركة ونمت الأرزاق وعمت الخيرات جميعها.
وهو موجود محمود محبوب على مر الليالي والدهور والأعوام والعصور، وهو الميزان الموضوع في الأرض وبه يكون الفصل في العرض الأكبر بين العباد، وهو الحاكم في ذلك اليوم، وهو المأمور به شرعا.
وإن الملك جسد روحه العدل، ومتى لم يكن العدل خرب الملك .
وكانت الحكماء تقول: «عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان». .
وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده فقال: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"[النحل :90].
وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكما عليه فقال : "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين" [المطففين : 1- 6].
وقال لقمان لابنه: «واقصد في مشيك واغضض من صوتك» .
وقال تعالى: "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا" [الإسراء:110 .[
وهو العدل وقال تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" [الإسراء:29].
وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ارفع من صوتك، ولعمر أخفض صوتك قليلا" .
رواه أبو داود والحاكم والهيثمي والسيوطي والبغوي وابن كثير.
ومنه فعله عم وقد انقطعت إحدى نعليه فنزع الأخرى ومشى حافيا حتى يعدل في أقدامه : وعليه أنشأه الله وصوره.
ومن وصايا بعض الحكماء: «لا تكن حلوا فتشرط ولا مرا فتسقط». .
فالعدل سار في جميع الأشياء، فاجعل العدل حاكمة على نفسك وأهلك ورجلك وخولك وعبيدك وأصحابك، وجميع من توجه عليه حكمك، وفي كلامك وفعلك ظاهرة وباطنا، والله أعلم.

الباب السابع في ذكر الوزير وصفاته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبير الرباني الحكمي في العادة أن لا يستقيم أمر ملك في ملكه إلا بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك.
ولذلك اقتضت الحكمة لما أبرزنا هذا الخليفة المذكور أن نجعل له وزيرة يسمى عقلا، وعليه يتوجه الخطاب من الله تعالى إذ هو مدبر المملكة.
قال الله تبارك وتعالى : "وإن في ذلك لآيات لأولي الألباب" [آل عمران: 190]
"وأولي النهى" [طه: 128] . "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أي عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد" [ق: 37] أي عقيل .
فأوجد الله سبحانه لهذا الإمام هذا الوزير الذي يقال له العقل، وإنما سمي عقلا لأنه يعقل عن الله تعالى كل ما يلقى إليه ، وهو على المملكة كالعقال على الدابة يحفظها حذر الحران. "العقال : حبل يربط به البعير في وسط ذراعه" . "حرنت الدابة : وقفت ولم تطع صاحبها في الانطلاق" .
ولهذا سماه عقلا واصطفاه له وزيرة فعيلا. يحتمل أن يكون من الوزرا والوزر وكلاهما موجود فيه.
فإن كان من الوزر الذي هو الثقل فإنه حامل أثقال المملكة وأعبائها؛ وإن كان من الوزر الذي هو الملجأ.
فإنه يلجأ إليه في جميع الأشياء، إذ هو لسان الخليفة والمنفذ عنه أوامره فلهذا المعنى صح عليه اسم الوزارة.
لما لم يكن أيضا بد من وجود معنى هذا اللفظ وهو موجود عجيب و مخترع لطيف ، أوجده الباري في ثاني مقام من الإمام، وأنزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس على مذهب من يقول بالاستمداد .
ولهذا تراه عند حضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر، لأن الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط، وهيبة المشاهدة عظيمة .
وحظها من كتاب الله قوله تعالى : "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" [غافر: 16]
وفي وقت الحجاب وقعت الدعاوى . "نعوذ بالله من حجاب الدعوى".
فمتى احتجب الخليفة، كان للوزير الظهور وإنفاذ الأوامر والإعطاء والمنع، إذ هو لسان الخليفة والمترجم عنه ؛ وهذا موجود سر روحانية القمر والشمس.
ألا ترى القمر إذا حصل في قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه؟ فإذا كانت الليالي البيض كان له الظهور التام بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين.
فالقمر في ذلك الوقت يشاهد الشمس والعالم والناس لا يشاهدون إلا القمر، وهذا سر عجيب وهذا باب عظيم لأهل الحقائق فيه مجال وانفساح ، ولأرباب القلوب فيه اعتبار بين اندماج واتضاح، لأن الحكمة عجيبة في إبداره على قدر أسراره (ثلاثة بثلاث).

وقد ذكرنا هذا السر في غير هذا الموضع مستوفي في كتاب «المثلثات» لنا، وحظه من الكتاب العزيز " قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس الناس" [الناس : 1، 2، 3].
"وكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه ما حصل له من سر الوجود عند التجلي المحمدي إلا مقام ملك الناس".
ولهذا كان يصرح بأن سورته من القرآن: "تبارك الذي بيده الملك" ، [الملك: 1] ومقام إله الناس انفرد به القطب.
ولذلك كان أبو مدين أحد الإمامين الموجودين في العالم .
ثم نرجع ونقول: فلما أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسن التدبير والسياسة ، وجميع الأمور اللائقة بالمملكة من مقامه إلى أدني موجود من رعيته، وعلى هذا المهيع وردت الشرائع. "المهيع: الطريق الواسع البين"
ثم نقش سبحانه جميع العلوم في جوهر ذاته فصار محلا للعلوم مع أنه لا يدري أين يصرفها ولا الحالات التي يصرفها فيها؛ وذلك حكمة منه تعالى ليكون مضطرة إلى الخليفة، كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارف بنفسه وقدره، و عارفا بمخدومه الذي أوجده من أجله.
ثم أجلس سبحانه الخليفة على عرش الوحدانية ورداه برداء الفردانية وخلاه بالصفات الإلهية، فاكتسى من الإجلال والهيبة والعظمة ما لو ظهر لعالم الشهادة منها مقدار سم الخياط" لبهرهم وصعقوا من حينهم وسلبوا عن نفوسهم وهذا مقام الخليفة، فكيف بنا بمشاهدة الحق سبحانه في دار الكرامة . "سم الخياط : ثقب الإبرة."
فانظر وفقك الله ما أعظم هذه القدرة العجيبة التي يؤيدنا الله بها في إدراكنا عن النظر إليه جل جلاله في الدار الآخرة.
فلما قام الخليفة في هذا المقام أدخل عليه العقل، فلما دخل عليه تجلت صورة العقل في جوهريته في دار الخليفة فلاحت له الأسرار والعلوم المنقوشة فيه ، والناس يغلطون في هذا المقام فيطلبون من خارج ما هو فيهم فيتعبون ولو وقفوا عند قوله تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" [الذاريات : 21] لاستراحوا.
شعر :
قد يرحل المرء لمطلوبه ...... والسبب المطلوب في الراحل
فإذا أراد العقل معرفة شيء من تدبير الملك وإصلاحه افتقر عنه ذلك إلى مشاهدة الإمام .
فعند المشاهد يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلي منزلة الخطاب من الملك العلام إلى الوزير .
إذ المراد حصول العلم، وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام تكون فيها أصوات وحروف.

وإذا لم تكن أصوات وحروف ورقوم إلى غير ذلك من الدلائل فـ لك أن تنظر إلى ما تؤدي إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها في قلب السامع فهو حصول المعنى، وهو أثر الكلام من المخاطب .
[فكذلك إذا] حصل للعقل آثار العلوم في قلبه من فيض الروح الكلي عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب .
فلما أوجده على هذه الصفة جعل مسكنه الدماغ ليشرف على أقطار المملكة وأن يكون قريبا من خزانة الخيال التي هي مستقر جبايات البادية وقريبة من خزانة الفكر والحفظ حتى يقرب عليه النظر في جميع مهماته .
فينبغي لك أيها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك و تسايسه وتتحبب إليه، فإن في بقائه صلاح ملكك ومدينتك.
ألا ترى إذا اتفق في العقل شيء وهلك بفساد محله كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تلفيقها؟
فحافظ على الوزير "حفظك على نفسك" فهو يدك التي بها تبطش وعينك التي بها تبصر، فمتى هممت بإمضاء أمر في ملكك فقرب العقل وتدبر معه وشاوره، وانظر إلى ما يصدر عنه فيه، واعمل بما يشير به عليك فإن الله تعالى قد أودع الصواب في رأيه .
وتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع، **له في الإنسان تأثير عظيم**.
وهو المستولي على الناس والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة، فتحفظ منه و ميز وزيرك عينا واسما، ولا تستبد بنفسك فلا خير في أمر ولا ملك لا يدبره عقل.
ولما كان الوزير قد يشتبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلها اضطررنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التي لا يمكن للوهم أن يتشبه بها على الكمال .
فانظر إلى النعوت التي أنا أذكرها لك إن شاء الله ، فإذا رأيتها قد قامت بموجود ما فذلك وزيرك وهو المراد، فاحفظها و حصنها "وحصلها وحصنها".
تحفظ إن شاء الله تعالى.

تفصيل خلق الوزير وصفاته:
فاعلم رحمك الله أن العدل شخصه، والهمة رأسه، والجمال وجهه ، والحفظ حاجباه، والحياء عيناه، والطلاقة جبينه، والعزة أنفه، والصدق فمه، والحكمة لسانه ، والنية عنقه ، والسعة واحتمال الأذى صدره.
، والشجاعة عضده، والتوكل مرفقه، والعصمة معصمه ، والكرم كفه ، والإيثار بنانه ، والسجود يده، واليمن يمينه، واليسر يساره، والورع بطنه، والعفة فرجه، والاستقامة ساقه، والرجاء والخوف قدماه، والفطنة قلبه .

والعلم روحه، والأمانة حياته، والزهد لباسه، والتواضع تاجه، والخشية إكليله، والحلم خاتمه ، والأنس بيته، والهدى طريقه، والشريعة مصباحه، والفهم دثاره، والنصح شعاره.
والفراسة علمه، والفقر كسبه، والعقل اسمه، والحق سمعه، فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيرة ولليلك سميرة.

قال المؤلف رحمه الله :

ولما كانت الفراسة علم هذا الوزير المذكور ومحل كشفه واطلاعه على ممكنات الخواطر و مغيبات الأمور، احتجنا إلى أن نسوق منها طرفا مختصرة عقيب هذا الباب، حكمية وشرعية إن شاء الله .

الباب الثامن في الفراسة الشرعية والحكمية

قال الله تعالى : "إن في ذلك لآيات للمتوسمين " [الحجر: 75]. وقال صلى الله عليه وسلم : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». أخرجه الترمذي وابو نعيم والطبراني.

فالفراسة أكرمك الله نور من أنوار الله عز وجل، يهدي بها عباده، ولها دلائل في ظاهر الخلق؛ جرت الحكمة الإلهية بارتباط مدلولاتها بها.

وقد تشذ ولكن ذلك نادر في الفراسة الحكمية الإلهية، إذ هي موقوفة على أدلة عادية ضعيفة .

وأما الشرعية فلا تشذ لأنها عن أمر إلهي كما قال : "وما فعلته عن أمري " [سورة الكهف : 82]، فهي

مستمرة عند أهلها لأن أدلتها في نفس (من قامت به ، بخلاف الحكمية فإن أدلتها في نفس المتفرس فيه، فرأينا أن نسوق في هذا الباب الفراستين معا على أخص ما يمكن وأتمه.

الفراسة الحكمية أعزك الله:

من المعارف الفكرية والعلوم النظرية والأحكام التجريبية؛ وإنما مست الحاجة إليها في هذا الكتاب إذ ليس كل أحد يهبه الله نور اليقين ويزيل حجاب الريون عن عين بصيرته، فينتظم في سلك أهل الفراسة الشرعية .

فلما لم يتمكن هذا لكل أحد لكونها هبة من الله تعالى، فلا يفوز بها إلا الخواص من عباده .

وكتابنا هذا موضوع للخاص والعام فيما يحتاج إليه ، وهذا الباب من آكد ما يحتاج إليه ويعول عليه، لأن الإنسان مضطر إلى [معاشرة الناس ومخاللتهم.

كل إنسان في صنفه وفي عالمه ؛ وإذا كان عنده هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشرعية ما يميز به بين إخوانه، سقنا فصلا كافيا من الفراسة الحكمية ليقف الإنسان عنده ويصرفه في مهماته ، ويشتغل بضروب الطاعات ؛ عسى الله أن يفتح له بابا من عنده إلى نور اليقين وملاحظة الملكوت الأعلى .

فاعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك، أن أحسن الهيئات وأعدل النشآت الذي ينبغي لك أن تتخذه سفيرا وإليك سميرا ولملكك وزيرا، من ليس بالطويل ولا بالقصير، لين اللحم رطبه، بين الغلظة والدقة، أبيض مشوب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله،

ليس **بالسميط** ، : "**السمط**: الداهي في أمره الخفيف في جسمه من الرجال وأكثر ما يوصف به الصياد." .

ولا **الجعد** القطط ، : "**الجعد من الشعر** : خلاف السبط المسترسل الشعر القطط : الجعد القصير أو الشعر الشديد الجعودة"

في شعره حمرة ليس بذلك السواد، أسيل الوجه أعين ، **مائلة عينه إلى الغؤور** :"**غارت عينه غؤورة** : دخلت في رأسه وانطفأت "
والسواد، معتدل عظيم الرأس، مائل الأكتاف، في عنقه استواء، معتدل **اللبة** : "**اللبة** : موضع القلادة من العنق . "
ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صاف ما غلظ منه وما رق مما يستحب غلظه أو رقته في اعتدال .
طويل البنان للرقة، بسيط الكف.
قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء.
في نظره فرح وسرور ، قليل الطمع في المال؛ ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة، ليس بعجلان ولا بطيء.
فهذا قالت الحكماء أعدل الخليقة وأحكمها، وفيها خلق سيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى صح له الكمال ظاهرا وباطنا.
فإن قدرت أن لا تصحب إلا مثل هذا فافعل، [ولا تتبع شهوتك [إذا لم ينور الله بصيرتك.
فإن رزقت النور الإلهي فأنت إذ ذاك سلطان العالمين وصاحب الحقيقتين، الوجود تحت قهرك ورئاستك وأمرك.
واعلم يا أخي أن الحكماء زعموا في مقالاتهم في الفراسة، ورأيت ذلك تجربة، أن أعدل الخلق ما تقدم وصفه.
ومما ذكروا في مقالاتهم أن البياض الصادق مع الزرقة والشقرة الكثيرة دليل على الحقد والخيانة والفسوق وخفة العقل.
فإن كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن **أزعر**: "**زعر** الشعر أو الريش أو الوبر : قل وتفرق حتى ظهر الجلد وصاحبه أزعر، وهي زعراء ."
أوجن : "**الأوجن**: العظيم الوجنتين"
كثير الشعر على الرأس، فقالت الحكماء إن التحفظ ممن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة.

الشعر:

واعلم أن الحكماء قالوا إن الشعر الخشن يدل على الشجاعة وصحة الدماغ ؛ والشعر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة.
وكثرة الشعر على الكتفين والعنق والرقبة يدل على الحمق والجرأة.
وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجور؛ والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط .
والأسود من الشعر يدل على العقل والأناة وحب العدل ؛ والمتوسط من هذين يدل على الاعتدال .

الجبهة:

قالت الحكماء : الجبهة المنبسطة التي لا غصون فيها تدل على الخصومة والشغب والرقاعة **والصلف**: "**الصلف**: التيه والكبرياء أو قلة الخير"
ومن كانت جبهته متوسطة في **النتوء**: "**النتوء:** البروز"
والسعة وكانت فيها غصون فهو صادق محب فهم عالم يقظان مدبر حاذق .

الأذنان:

ومن كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظا؛ ومن كان صغير الأذنين فهو أحمق سارق.

الحاجب:

والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث الكلام : "**الغث** من الكلام : الرديء الفاسد"
فإن امتد الحاجب إلى **الصدغ** فصاحبه تياه صلف: "**الصدغ**: القسم الجانبي من الرأس بين العين والجبهة والأذن والخد. وهما صدغان"
ومن رق حاجبه فاعتدل في الطول والقصر وكان أسود فهو يقظان فهم.

العين:

أردأ العيون الزرق، وأردأ الزرق **الفيروزجية** . "**الفيروزجية** : نسبة إلى الفيروزج: حجر كريم غير شفاف، أزرق اللون بلون السماء أو أميل إلى الخضرة يتحلى به"
فمن عظمت عيناه وجحظت فهو حسود وقح كسلان غير ميمون؛ وإن كانت زرقاء كان أشد وقد يكون غاشا.
ومن كانت عيناه متوسطة مائلة إلى الغؤور والكحلة والسواد ، فهو يقظان فهو ثقة محب . فإن أخذت في طول البدن فصاحبها خبيث.
ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميت النظر، فهو جاهل غليظ الطبع ؛
ومن كانت في عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر.
ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام ؛ فإن كان حواليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأرداهم.

الأنف:

إذا كان الأنف دقيقة فصاحبه **نزق** ."**النزق** : خفة في كل أمر، وعجلة في جهل وحمق."
ومن كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع، ومن كان أفطس فهو شبق . "**فطس:** انخفضت قصبة أنفه وانتشرت، فهو أفطس وهي فطساء . **شبق:** الشبق : شدة الغلمة وطلب النكاح."
ومن كان ثقب أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب.

وإذا كان غليظ الوسط مائة إلى الفطوسة فهو كذوب مهذار. "**المهذار :** من يكثر في كلامه من الخطأ والباطل"
وأعدل الأنوف ما طال غير طويل فاحش.
ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو دليل على العقل والفهم.

الفم :

من كان واسع الفم فهو شجاع، ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق، ومن كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل، ومن كانت أسنانه ملتوية أو ناتية فهو خداع متحيل غير مأمون. ومن كانت أسنانه منبسطة خفافا بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر. ومن كان لحم الوجه منه منتفخ **الشدقين** فهو جاهل غليظ الطبع. "**الشدق** : جانب الفم من باطن الخد."
ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو رديء خبيث خداع **شكس**. "**الشكس:** العسر والسيء الخلق."
ومن طال وجهه فهو وقح؛ من كانت أصداغه منتفخة **وأوداجه** ممتلئة فهو غضوب. " **الودج:** عرق في العنق ينتفخ عند الغضب وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة . "
ومن نظرته فاحم وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسم تبسمة لا يريده فهو لك متودد محب فيك؛ ولك في نفسه مهابة .

الصوت:

الصوت الجهير يدل على الشجاعة، والمعتدل بين الكد والتأني والغلظ والرقة يدل على العقل والتدبير والصدق؛ سرعة الكلام ورقته تدل على القحة والكذب والحيل؛ الغلظ في الصوت دليل على الغضب وسوء الخلق.
الغنة في الصوت دالة على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس. " **الغنة :** صوت يخرج من الخيشوم. "

التحرك الكثير :

دليل على الصلف والهذر والخداع؛ الوقار في الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد في فصول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير وصحة النقل.

العنق:

قصر العنق دليل على الخبث والمكر، طول العنق ودقته دليل على الحمق والجبن والصياح، فإن انضاف إليهما صغر الرأس فإنه يدل على الحمق والسخف .
غلظ العنق يدل على الجهل وكثرة الأكل.

اعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق .

البطن:
البطن الكبير يدل على الحمق والجهل والجبن؛ لطافة البطن وضيق الصدر تدلان على جودة العقل وحسن الرأي .

عرض الكتفين والظهر:
يدلان على الشجاعة وخفة العقل؛ انحناء الظهر دليل على الشكاسة والنزاقة ؛ استواء الظهر علامة محمودة؛ بروز الكتفين دليل على سوء النية وقبح المذهب.
إذا طالت الذراعان حتى تبلغ الكف الركبة دل على شجاعة وكرم ونبل النفس ، وإذا قصرت فصاحبها جبان محب للشر .

الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعة وإحكام الأعمال وتدبير الرئاسة.

القدم:
اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور؛ القدم الصغير اللين يدل على الفجور؛ دقة العقب تدل على الجبن وغلظته تدل على الشجاعة.

الساق:
غلظ الساقين مع **العرقوبين** دليل على البله **والقحة** ."**العرقوب:** وتر غليظ فوق عقب الإنسان . **القحة** من الناس: الجافي ، القاسي الطباع "
من كانت خطاه واسعة بطئة فهو منجح في جميع أعماله منكر في جميع عواقبه، والضد للضد.
فهذا وفقك الله فصل مختصر في الفراسة الحكمية على ما وضعته الحكماء، فتحققه ترشد في معرفة الناس إن شاء الله تعالى وحده .

قال المؤلف رضي الله عنه :
ولنعمد في هذا الفصل الذي ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة المذكورة في أول هذا الباب، ولنمش عليها النشأة الإنسانية الروحانية حرفا حرفا فأقول :
اعلم، لما كان للروح الإنساني وجه إلى النور المحض ووجه إلى الظلمة المحضة وهي الطبيعة، كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة .
وسبب ذلك أنه خلق مدبرا لنشأة طبيعية عنصرية كالنفس الكلية التي بين الهوى والعقل.
فالهوى ظلمة محض والعقل نور محض، والنفس بينهما كالصدفة.
فمتى لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كان معتدلا يؤتى كل ذي حق حقه .

ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحضة كان لما غلب عليه .
كما ذكر في النشأة الجسمية من الطول المفرط أو القصر المفرط والبياض المفرط والسواد المفرط، وكل ضدين على التفاوت في أحد الطرفين.

فأقول : أما البياض المفرط فاستفراغه للنظر في عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبر به عالم طبيعته، فيفسد سريعا قبل حصول الكمال فكان مذمومة .
وكذلك في الجانب الآخر وهو السواد المفرط، بحيث يمنعه النظر في طبيعته عن عالم النور فذلك أيضا مذموم.
فإذا كان وقتا ووقتا كما قال عم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه غير ربي». أخرجه على القاري
وكان له وقت مع أصحابه ووقت مع أهله؛ وكذلك الطول والقصر مدة إقامته في النظر في أحد الجانبين، فينبغي أن تكون المدة بقدر الحاجة .
وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والدقة فهو اعتداله في البرزخيات بين المعنى والحس، كاللحم بين الجلد والعظم.
وأما اعتدال الشعر فكونها بين القبض والبسط .
وأما كونه أسيل الوجه فهي الطلاقة والبشاشة .
وأما كونه أعين فصحة النظر في الأمور؛ وأما كون عينه مائلة إلى الغؤور والسواد فاستخراج الأمور الخفية والعلوم الغيبية.
وأما كونه معتدل عظم الرأس فتوفير العقل.
وأما كونه مائل الأكتاف فاحتمال الأذى من غير أثر.
وأما كونه مستوي العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميل إليها .
وأما كونه معتدل اللبة التي هي مجرى النفس الاستقامة الأصوات فاستقامة الكلام في الخطاب بما يليق بالمخاطب .
وأما كونه ليس في وركه ولا صلبه لحم فنظرة إلى الأمور التي إليها ويتورك عليها أن يكون تخلصه لأحد الطرفين .
فإنه إن كانت برزخية فقد تغرر به في غالب الأمر .
وأما كونه خفى الصوت فهو حفظ السر.
وأما صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئا؛ وأما طول البنان فـ لطافة التناول.
وأما بسط الكف فرمي الدنيا من غير تعلق .
وأما قلة الكلام والضحك فنظره إلى مواضع الحكمة فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة .
وأما كون ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوي .
وأما كونه في نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالمحبة.
وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن العائلة ؛
وأما كونه ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة فهو شغله بكمال نفسه لا بك .

وأما كونه ليس بعجلان ولا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز .

فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة الإنسانية حرفا بحرف على النشأة المعتدلة الطينية التي ذكرناها عن الحكماء آنفا، ثم نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثال بقدر ما يوقف للنظر السديد في ذلك، ولم نودعه هنا لئلا يطول الكتاب. فلنرجع إلى الفراسة الشرعية **فأقول:**

الفراسة الشرعية:

اعلم رحمك الله ونور بصيرتك أن عالم الملكوت هو المحرك العالم الشهادة، وهو تحت قهره وتسخيره حكمة من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك ؛ فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت إلا عن عالم الغيب .
وذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب وهو من عالم الغيب والحركة وما شاكلها من عالم الشهادة.
وعالم الشهادة عندنا ما أدركناه بالحس عادة.
وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي أو النظر الفكري فيما لا يظهر للحس عادة.
فنقول: إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرك بعين البصر.
وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع؛ فإذا ارتفعت الموانع وانبسطت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات.
فإدراكها مقرون بنور البصر ونور الشمس أو السراج وأشباهها من الأنوار .
كذلك عين البصيرة حجابها الريون والشهوات وملاحظات الأغيار، إلى مثل هذه من الحجب، فتحول بينها وبين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب.
فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات والمجاهدات حتى أزال عنها كل حجاب واجتمع نورها مع النور الذي ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذي يتراءى به أهل الملكوت، وهو بمنزلة الشمس في المحسوس، اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز، فكشف المغيبات على ما هي عليه .

غير أن بينهما لطيفة معنى، وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا القصور عادة .
وقد تنخرق لنبي أو ولي كقول النبي : «إني أراكم من وراء ظهري». أخرجه أحمد و ابن كثير وابن حجر والسيوطي وغيرهم.

وفي الأولياء ابتداء المكاشفات لهم في أول سلوكهم، فإن المريد أول ما يكشف له عن المحسوسات فيرى رجلا مقبلا، أو على حالة ما وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكة أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب، وهذا كثير عن المريدين في أول أحوالهم.

ذقت ذلك كله وعرفته ولله الحمد.
ثم ينتقلون عن ذلك إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية ؛ وإن بقى عليهم ذلك ، أعني خرق العادة على الدوام، فهم المعبر عنهم بالبدلاء.
وإن تخللهم ذلك في وقت دون وقت فهو إما وارث وإما عابد صاحب الفترات .
وأما عالم البصيرة فلا، إذ عالم الغيب ليس بينه وبين عين البصيرة مسافة ولا بعد ولا قرب مفرط، وحجابه إنما هو **الران** والقفل **والكن.**
"**الران :** الغطاء والحجاب الكثيف. أو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب، أو هو الدنس . **كن الشيء كنا:** ستره وصانه وأخفاه ."

وقد ارتفعت بالمجاهدات فلاحت أعلام الغيوب. لكن ثم أمر سنذكره وهو إن انجلت عين البصيرة كما ذكرناه فإن ثم حجابا آخر إلهية وهو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية ليس يعمها إلا على قدر ما يريد الله تعالى أن يكشف لك منها مع أنك في غاية الصفاء والجلاء، وذلك هو مقام الوحي.

دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له، ولغيرنا قوله تعالى قل: "ما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليه" [الأحقاف : 9] مع غاية الصفاء النبوي .

فكيف بالولي الذي ما فتح له من الطريق خرت إبرة؟
"الخرت: الثقب في الأذن والإبرة وغيرهما"
فهذا هو الحجاب الإلهي ، وهو في الكتاب العزيز : "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب " [الشورى: 51]. "أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء".
فقوله: إن أتبع إلا ما يوحى إلي هو قدر ما يكشف له من عالم الغيب فيري تأثيره في عالم الشهادة، فيتكلم به على ذلك الحد.
فيقول: يكون كذا ولا يكون كذا، وعاقبة أمر ما إلى كذا ؛ على قدر الكشف .
وهذا الحجاب الإلهي لا يمكن رفعه عقلا ولو بلغ المرء على الغايات، بدليل أن هذا الحجاب إنما هو العلم الأزلي المتعلق بمعلومات غير متناهية وكل ما حصره الوجود فهو متناه؛ ولا تكشف عين البصيرة إلا ما دخل في الوجود بوجه ما من أوجه مراتب الوجود.
فلا حجة لك في قوله تعالى : "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" [يس: 12].
قال الله تعالى : "ما نفدت كلمات الله " [لقمان : 27].
وقال : "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي" [الكهف: 109] وذلك لعدم التناهي.
فإذا تقرر لنا هذا وصح لنا حد الكشف عن عالم الغيب فمهما ظهر مما حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما.
فتلك الفراسة وهي أعلى درجات المكاشفة، وحظها من الكتاب المبين "إن في ذلك لآيات للمتوسمين" [الحجر: 70].

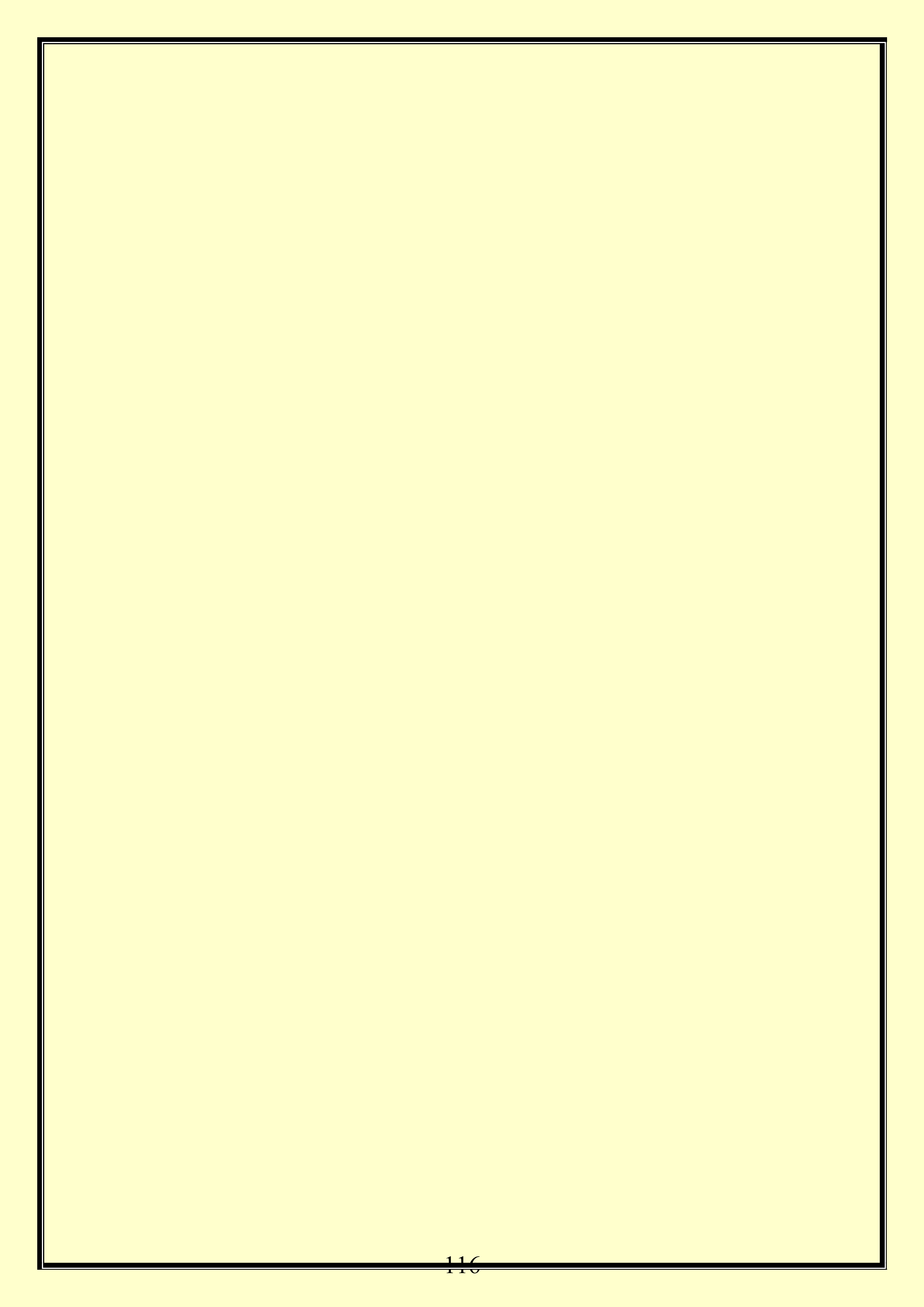
وذلك أن لها علامات في الحس بينها وبين عالم الغيب ارتباط، وهذا علم موقوف على الذوق.
خلاف الفراسة الحكمية فإنها موقوفة على التجربة والعادة وقد لا تصدق ؛ وهذا لا سبيل عند أهل هذا الشأن إلى تكذيبه فإنه نور الله تعالى فلا يعطي إلا الحقائق .
فهكذا تكون الفراسة الشرعية وسبب حصولها ما ذكرناه ؛ وقد جعل الله لعالم علمها علامات في ظاهر الموجودات كما جاء الأثر عن عثمان "ابن عفان" رضي الله عنه حين أخذ على الرجل في نظره إلى ما لا يحل له.
فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ولكن قال رسول الله : «اتقوا فراسة المؤمن» "فإنه ينظر بنور الله».
رأيت ذلك في عينيك، وتلك العلامات إنما هي حجب نصبها الله تعالى لأعين الغير لتأنيس القلوب الضعيفة واستمالتها حتى تطمئن.
ولو قال غير النبي إنما رأيت ذلك لما انبسط نور اليقين على الكتاب الحفيظ فنظرت فعلك فيه، فقضيت عليك محبة الأذان لقبضت عنه النفوس مع صدقه في ذلك .
فلما علقت بعلامات ظاهرة سكن القلب والخاطر الضعيف إلى ذلك مع قوة دليل الشرع قوله : «اتقوا فراسة المؤمن» .
فاجتمع من ذلك بعض إيمان، ومع ذلك قد يتهم ويقال لعله كاهن أو صاحب رأي فالعلل كثيرة.

تنبيه:

بقي لنا من الباب شيء في الغرض الذي قصدناه ، وهو تصحيح النسختين بالمقابلة في الفراستين الشرعية والحكمية.
وذلك أن للقائل أن يقول: إذ ولا بد عندكم من المقابلة فأين حظ الأشقر والأزرق والعظيم الأنف والمعتدل الكحولة من هذه الفراسة الشرعية والحكمية .
فنقول له سألت سؤال عارف، ونحن إن شاء الله نخلصه لك ونلخصه بأيسر شيء، وهو نظرنا إلى الفراسة الحكمية فرأينا أربابها والقائلين بها، والقاطعين بحكمها راجعين إلى طرفين وواسطة.
وقسموا الأشياء إلى محمود ومذموم، فجعلوا الخير كله والمحمود في الوسط، وجعلوا الذم والشر في الطرفين.
فقالوا في الأبيض الشديد البياض والأشقر والأزرق ما سمعت من الذم وأنه غير محمود.
وكذلك الأكحل الشديد السواد والدقيق الأنف جدا مذموم ؛ كل هذا والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين ميلا كلا هو المحمود على حسب ما تقدم في الفراسة الحكمية .

فلما رأيناهم قد حصروا هذه الأشياء وحصروها على هذا القدر، نظرنا ذلك في هذا العالم أين ظهر الحسن والقبح، فقلنا : لا حسن ولا قبح إلا شرعة على هذا قام لنا الدليل .
فلما رأينا أن الحمد والذم على الفعل من جهة ما شرعا، نظرنا كيف نجمع طرفين وواسطة لنجعل الطرفين مذموما ولنجعل الوسط محمودة الذي هو محل اعتدال .

فنقول: الإنسان لا يخلو أن يكون واحدة من ثلاثة بالنظر إلى الشرع:
1 - وهو إما أن يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها ؛ وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين فهو مذموم بإطلاق؛ عصمنا الله وإياكم من ذلك .
2 - وإما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا بحيث أن يؤدي ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهذا مثل ذلك ملحوق بالذم شرعا.
3 - وإما أن يكون جاريا مع الشريعة على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشي وحيثما وقف وقف قدم بقدم، وهذا هو الوسط ؛ وبهذا تصح محبة الله له.
قال تعالى : "فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" [آل عمران : 31] ؛ فباتباع الشارع واقتفاء أثره صحت محبة الله للعبد وغفرت الذنوب، وحصلت السعادة الدائمة .
فهذا أعزك الله وجه مقابلة النسختين؛ فإن قال قائل سلمنا هذا التقابل وهو صحيح، فكيف نميزه من الإنسان على التعيين.
وأنا رأيت رجلا ساكتا يشهد الصلوات والجماعات، وهو مع ذلك منافق مصر؟
قلنا: قد تقدم مكان هذا في هذا الباب ، ولكن لا بد أن نجيبك على ما سألت؛ وذلك أن السكوت وشهود الصلوات وأشباههما من عالم الشهادة.
وكونه كافرا بها في سره، فهو من عالم الغيب ؛ ونحن إذا تحصل لنا الفراسة الشرعية حكمنا بكونه كافرا في نفوسنا، وأبقينا ماله ودمه معصومة شرعا لظهور كلمة التوحيد.
فمعاملتنا له على هذا النسق وما كلفنا غير هذا.
وهذا وفقك الله تلخيص الفراسة الشرعية والحكمية قد أوضحتها لك غاية الإيضاح والتبيين.
والله سبحانه يوفق سيدنا للعمل بأسباب حصولها في نفسه، ويحابيه بالوقوف عليها إنه القادر على ذلك والمملي به .
.



الباب التاسع في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه

عليك بكاتب لبق رشيق .... ذكي في شمائله حرارة
تناجيه بطرفك من بعيد ..... فيفهم رجع لحظك بالإشارة

الكاتب وفق الله به الإمام، وسلك به من حيث لا خلف ولا أمام، موجود لطيف كريم شريف، اتفق عالم الغيب على شرفه واعتلائه ؛ نجي إدريس النبي عم.

وهو أول من خط بالقلم، وهو صاحب جلاء القلب وغطائه ، وبيده زمام منع الخير وعطائه ؛ يجول بين سناه الباهر وسنائه ؛ ويتردد بين شعاعه وضيائه ؛ ومنفذ الأوامر على القرب والبعد.

عالم بسر من له الأمر من قبل ومن بعد؛ يغني ويفقر ويشح؛ ويؤثر سجله ذات النفس الكلية وهي حرة الإمام الزكية، الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضية؛ كتب في رقها المنشور العلوم البرزخية.

فعندما ظهرت آثاره على صفحات قراطيس الأجسام عبر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام.

ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب صفة الكاتب والكتاب في فصلين؛ والله المؤيد لا رب غيره .

فصل في الكاتب:

اعلم وفقك الله أن الله تعالى جعل في المملكة الكبرى لوحا محفوظا وقلما معلوما عليا بيمين مقدسة عن التأليف والتغيير ؛ فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان وما هو كائن وما يكون وما لا يكون.

ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشأتين أردنا أن نعرف أين الكاتب منا؛ شعر :

قلمي ولوحي في الوجود يمده .....قلم الإله ولوحه المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته ..... ما شئت أجري والرسوم حظوظ

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين، "لها عين"، ومادتها من عليين وهو مقام الأبرار صاحب الشراب الممزوج.

فإذا أراد الإمام أن يظهر أمرا من الملكوت في عالم الشهادة تجلى للقلب فانشرح الصدر؛ وذلك عبارة عن كشف الغطاء، فارتقم فيه مراد الإمام.

وذلك القلب هو مرآة العقل فرأى العقل في مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلعه على المراد.

وقال له اكتب في ذات النفس كذا وكذا. فإذا حصل في النفس خرج على الجوارح، فلهذا قلنا فيه إن شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل.

فلهذا حصل له الشرف الكامل في حقه.

فإن قيل ما مقام هذا الكاتب العرش أو الكرسي أو بينهما، وقد علمنا على ما قررنا في مواضعها أن الكرسي هو محل الفرقان، وهو النفس.
قال الله تعالى: ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها كه [الشمس: 7 و8]، فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب في مذموم ومحمود على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحسب كتابته ؛ فخبرني كيف يتفق هذا؟
قلنا : قولك صحيح؛ فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسي مدح ولا ذم سوى علوم مقدسة وتنزلات منزهة عن الاتصاف بالفرقان، والعرش مقام الإمام، والكرسي مقام النفس؛ وهي محل التغيير والتطهير حالا ومقاما.
فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحدا مقدسا لا يتصف بذم ولا حمد.
والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم؛ فيؤخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلق ؛ فإن كان حمدا فهو ذلك ؛ فيحصل عند ذلك للكاتب علما وعينة لا حالا ولا مقامة لأنه فوق ما يكتب.
فما يصدر عنه إلا حسن، فهو بذاته مع الإرادة، وتصرفه في شغله الذي هو الكتابة من الخزانة المحمدية .
فالذي حصل الأمر ورده أمرين إنما هو الرسول بذلك الأمر والمخاطب ؛ فالكتابة من ظاهره والكاتب من باطنه.
فحقيقة الرسول هي الممدة لحال الكاتب في حاله ومقامه ؛ وحاله أو حقه هو الممد له في رقومه وأفعاله، فهو فوق من حيث هو مشرف، وهو واحد من حيث ذاته .
وهذا كله ليس لنفسه لأنه لو أراد الله تعالى أن يبدله بالتقديس تعييرا وبعليين سجينا لما منعه من ذلك مانع.
لكن هنا سر نسوقه في معرض السؤال لترتفع الهمة إلى طلبه، وهو أن نقول :
أمن الحال أن يوجد هذا الكاتب في سجين حتى نقول إن بعض أبي جهل وغيره من الفراعنة في عليين؟ "سجين : وادي في جهنم فيه كتاب الفجار"
أعني كاتبه، وحقيقته وبعضه في سجين؟
أو تكون المشيئة في حق المعتني به تقدس كاتبه وحقيقته، وغير المعتني في سجين؟
وإن كان محا" ارتفاعه عقلا فقد شرح شقي الشقي بكليته؛ فانظروا في كشف هذا السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم.
قلنا : فهذا الكاتب موجود شريف اصطنعه الخليفة لنفسه واتخذه سميرا لأنسه ؛ فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبورا حمولا للأذى، كاتما للأسرار الملكوتية ، فصيحا بليغا يستدرج المعاني الكثيرة في عبارات وجيزة تنبىء عنها صريحا، لا يسوق نصا في كتابه إلا في مقام يأمن عقابه .
فإن لم يأمن فليسق من ألفاظ في كتابه ما يحتمل معنيين فصاعدا.
حتى لو ظهر على الإمام في بعض كتبه شيء يعطيه أحد محتملات اللفظ ، وكره الإمام ذلك، عدل الإمام إلى الاحتمال الثاني الذي يحتمله ذلك اللفظ، والله كثير العفو والتجاوز.

فإنه إذا دخله الاحتمال سقط كونه دليلا على شيء معين، وهذا من مهارة الكاتب وثقافته؛ وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعانيه، ولا يستعمل في كتابه إلا الألفاظ الصقيلة العبارة الخطابية التي لها وقع في النفس وتعلق بالقلب.
وأن يبدأ في سجلاته بالحمد والثناء والصلاة، ثم يأخذ في عدل الإمام وأوصافه الحسنة الشريفة ومقامه المنيف ؛ ويرغب فيه، ثم بعد ذلك يذكر ما أمر به .
فإن كان خيرا فهو المرغوب فيه ؛ وإن كان غير ذلك فقد قيل لأبي يزيد أيعصى العارف؟
وقال : "وكان أمر الله قدرا مقدورا " [الأحزاب : 28].
واعلم يا أخي أن الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو قرع باب الصديقين ومن ثم يحصل له ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله .

فصل في الكتاب:

ولما كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلم ودواة واستمداد ولوح يقع فيه الخط كالحق واليمين والنون والعلم الأعلى واللوح المحفوظ. "الدواة : المحبرة "
وما هو مثل التخليط في الحال وارتقام الأمثلة في اللوح؛ ومثل ما يكون إيجاد العوالم الصادرة عن الأمثلة المرقومة في اللوح.
فافهم اللوح المحفوظ هنا، ولوح المحو والإثبات وانظر كيف أثبتناه حاويا لما لا يتناهي في رقمه وكل ما دخل في الوجود متناه، فابحث كيف لا يتناهى.
وما هو في العالم الأصغر كالقطب، ولعله السر المرقوم في الصدور وهو موضع يحتاج العارف إلى الالتجاء في معرفته .
فاللوح هو محل الكتابة فلنسمه الكتاب ونقول إنه ينقسم قسمين:
كتاب مرقوم وكتاب مسطور.
قال الله تعالى: "والطور وكتاب مسطور" [الطور: 2]،
وقال : "كتاب مرقوم" [المطففين : 9] فأقسم بالمسطور؛ وأخبر عن المرقوم أنه في محلين في سجين أو في عليين.
فالمسطور في عالم الأرواح والمرقوم في عالم الغيب والشهادة .
ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح؛ لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى إلا الوجه الواحد الذي من قبلها وهو عالم الأمر كان مسطورا. " الملأ الأعلى : عالم الأرواح المجردة ومن الملائكة المقربون والنفوس الكلية ."
ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين فكان له مرقومة:
فما ولي الراقم فهو المسطور، وهو الموضع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض.
وما ولي الأرض من الكتاب كان مسطورا أيضا ومرقوما باعتبار الوجه الذي يلي الراقم في حق من شاهدهما .

فهذا المسطور الأرضي هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت .
فالملائكة في المسطور من عالم الأمر العلوي، والفقهاء المحجوبون في المسطور من عالم الخلق السفلي.
والمحققون في المرقوم بمشاهدة الوجهين:
فما ولي الأرض شاهدوه حسا وما ولي الراقم، وهو ما فوق العرش في حق سر المحقق وما فوق السماء في حق بعض العوالم، شاهدوه قلبا وعقلا .
حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟
قالوا: الحق تجلى لهم فخاطبوه وخاطبهم فانحجبوا.
فإذا خرقوا الحجاب وانعدمت في حقهم الأسباب نظروا إلى سر القدر كيف يحكم في الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شاؤوا صمتوا وإن شاؤوا نطقوا.
فمخاطبته إياهم كتابه في قلوبهم وهي الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وفيها يقرؤون وعنها يخبرون، وتلك الخواطر الربانية .
فيا أيها السيد تفطن لهذا الكاتب فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه.
فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته ؛ ولكن لإقامة الحق لك في الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره في حزبها فراع حرمته فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك.
فتحبب إليه وإلا أفسد عليك ملكك فإن الوزير مفتقر إليه ، وغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مملكتك ؛ وكتبه تمشي في باديتك بما يريده لا بما تريده أنت إن شاء ذلك.
واعلم أن الحضرة لا معنى لها إلا ببا ديتها، فإن فسدت البادية وثارت عليك أدى ذلك إلى فساد ملكك، وأنى لك تلافيه فهو الأمين على الفجور وملكك يقبل الصفتين معا، وقد نصحتك فالزم.

توقيع رباني:

نفذ الأمر المطاع الإلهي إلى الخليفة الإنساني المثبوت فيه سر ألوهيتي بالتردد بين إنيتي وهويتي.
وقد أبحت وجهي لمن أراده بلا إرادة ، ومزقت الحجب تمزيقا لا يقبل ترقيعا ولا تلفيقا ؛ وفرغت عن القلوب فتزينت بعالم الغيوب.
فاعكف في حضرتي ساجدا فإنك لا تزال مشاهدا هذا، فإن الرؤية في السجود والحجاب في الوقوف ؛ فإني القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، فافهم ما سطرته وانظر فيما رسمته فإنه لا خطاب في الرؤية ولا رؤية في الخطاب ؛ والسلام عليك سلام من لم ينفصل عنك ولا اتصل بك ، ورحمة الشهود وبركات الوجود.

توقيع ملكي:

نفذ الأمر الحتم إلى الملك الكريم، أنزل على قلب الخليفة الإنساني فإنك تجده على أحد ثلاثة أحوال:

إما معي، أو مع نفسه، أو مع عدوه إبليس.

فإن وجدته معي فلا تلقي إليه شيئا مما وقعت لك في هذا التوقيع، فإني أتولاه بنفسي، لا أكل من توجه إلى آثرني على كل واحد إلى غيري فإني أتولى سياسة قلب عبدي . فتأدب أيها الملك الكريم ولا تشعره بنزولك فيفرق ويبادر إليك لمعرفته انك من عندي من جهة اسم ما ؛ فتوار عنه واحفظه من نفسه وشيطانه ، وجاهدهما ما استطعت .

وإن وجدته مع نفسه فأخطر له محادثة منك في سره من غير أن يشعر بذلك القرين العدو ولا النفس أن يأفل أنفاسك محسوبة عليك وأوقاتك عليك شهداء . فإياك والمباح فتندم، وإياك والمحظور والمكروه فتشقى .

وإن وجدته مع إبليس عدوه حُل بينه وبينه، وأشرق عليه بنور ملكيتك بها تحرق ناريته ، وإياك أن يخلص إليه.

وعليك بالحجة البيضاء وأداء ما افترض الله عليك، وإذا أردت فعل مباح من المباحات من أكل وشرب ونوم وغير ذلك فلا تتناوله تناول العامة فتندم أو تشقي، ولكن تناوله بتنزيه وعبادة .

فأما التنزيه فأن تتناوله برؤية نقصك و افتقارك إلى الحق فيه ، وتنزيه الحق عن حاجته لذلك، كما قال تعالى : "وهو يطعم ولا يطعم" [الأنعام: 14]؛ فقد نبهتك وعلمتك .

وأما العبادة فأن تنظر في ذلك من جهة ما يليق فتتخذه عونا على عبادتك كالأكل للقوة على أداء الصلاة والفرائض من جهاد وغيره ، والنوم للقدرة على قيام الليل والنكاح لا لإنزال الشهوة ، ولكن لولد صالح أو اعتصام عن مواقعة محرم.

والفرصة للاعتبار وإماطة الأذى وإرشاد الضال وإغاثة الملهوف، وما أشبه ذلك ؛ فهذه خواطر الملك بالتوقيع الإلهى .

توقيع نفساني

نفذ الأمر الإلهي الذي لا يرد إلى نفس البرزخية ؛ أخطري إلى الخليفة الإنساني أن يفعل ما فيه راحة في الدنيا ولا طلب عليه في الأخرى، ولا له فيه أجر عندنا، فإن أجابك فهو لك لالى؛ وإن أعرض عنك فهو لي لا لك، أو لمن هو له على حسب وقته، وإنك ستجدينه على ثلاث:

إما معي، أو مع الملك أو مع الشيطان .

فإن وجدته معي فتعرضي إليه، فإنه يصير فراغك شغلا ويرفع حجابك وتسعدين به.

وإن وجدته مع الملك فتأدبي وقفي حتى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو ؟ وحينئذ تخطرين له ذلك.

وإن وجدته مع الشيطان فزاحميه وحولي بينهما وأتيه بالملايمة ولا يغلبنك عليه ،

وامضي في سلطانك وكيديه، فإن كيده ضعيف، واثبتي على ما جئته به ولا تتنوعي عليه فإنه سيعود إليك .

توقيع شيطانى:

نفذ الأمر الإلهي إلى الشيطان الإرادي لا الأمري، انزل على الخليفة الإنساني بتعدي الحدود وانتهاك المحارم والكفر والشرك والبغي والحسد والفحشاء وعبادة غيري؛ فإن توقف لك في أمر ما فاعدل عنه إلى أمر آخر، ولا بد لك أن تجده على إحدى ثلاث :

إما معي، أو مع الملك، أو مع النفس.

فإن وجدته معي فانظر في أي باب هو وفي أي اسم، وأنزله من مملكتك التي ملكتك إياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التي هو معي فيها حتى ترى عصمتي الأوليائي وحفظي لهم وغيرتي عليهم كيف هو.

فإذا نزل إلى أفعالي وصفاتي فألق له مما في توقيعك ؛ فإن قبله فهو لك في ذلك الوقت ثم يتوب، فيجوز وزره عليك تعذب به في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، وإن أشرك فهو وعذابه عليه وعليك.

وإن وجدته مع الملك فحاربه، فإن غلبته بقيت أنا، فإن خذلت عبدي ملكتك ناحيته؛ وإن نصرته فأمران :

إما أن لا يقبل منك، أو إن قبل قلب عينها، فعاد ما قضيته له بعدة قربة إلي وجاز كيدك عليك .

وإن وجدته مع النفس فزين لها العاجلة وابسط لها الأمل، فإن اشتغلت به فألق فإنه عبد مطيع لك في الحال، وأنا معه بين الخذلان والنصرة، أحكم بعلمي فيه وأنا العليم القدير .

فهذه أيها السيد الكريم توقيعات الحق في الوجود المعبر عنها بالخواطر، قد أوضحت لك مكانتها، وإن كاتبك من أعرف الناس بها؛ وهؤلاء الثلاثة تحت تسخيره، والحق تعالى يجيبه ؛ فقد حاز العلم الإحاطي والمقام؛ فاعرف قدره ولا تنزل به عن درجته ؛ فإن هذه التوقيعات بيده وأمرها لا يرد؛ وما أتى على الملوك قديمة إلا من مجالسها، ولا يغير حالها إلا من بسائطها .

فتفقد بساطك الكريم وميز بين الولي والعدو منه بفعلك معه، والإحسان في الجملة مفيد مسدد يذهب بالضغائن ، ويزيل الحقد ويثمر المودة والغيرة والسلام.

" الضغينة : الحقد المستحكم الشديد"

الباب العاشر في المسدّدين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج

اعلم أيّها السيّد الكريم حفظ الله عليك سلطانك أنّ الله تعالى قد رفع الموجودات بعضها على بعض وجعلها رئيسة مرءوسة ومالكة مملوكة وأنّ الله تعالى يطالبك يوم القيمة بالعدل في رعيّتك باديتها وحاضرتها وأنّ الله تعالى سيسألهم عنك كما قال : إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا .
وقال : يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ . يعنى بها
وقال : حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ
وقال يبيّن الحقائق : " وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ " وأمثال هذا .
فالعين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل من عمّالك وأمنائك من أهل باديتك وكلّ واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الّذي يجبيه ورئيسهم وإمامهم الحسّ الّذي ترجع هذه الحواسّ كلّها بأعمالها إليه وإنّ الحسّ برئاسته ومملكته مرءوس تحت سلطان الخيال والخيال بما فيه من صحّة وفساد مرءوس تحت سلطان الذّكر والذكر مرءوس تحت سلطان الفكر والفكر مرءوس تحت سلطان العقل والعقل وزيرك وأنت الرئيس الإمام المعبّر عنه بالروح القدسيّ .

والّذي ينبغي لك أيّها الإمام الكريم إذ لا تتمكّن أن تباشر الأشياء بنفسك أن تجعل الأمر متّحدا فتنظر في أمين ثقة قوىّ الجأش ينظر في استخراج هذه الجبايات من أيدي الرعيّة على طريق العدل والسياسة فإنّك لا بقاء لك دون بيت مال ولا غنى عنه البتّة وأنت مطالب بجميعها تطلبك الرعيّة بالرفق وحسن المعاشرة ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل فاحذر هذين المقامين ولا تولّ مسدّدا ولا عاملا إلّا عارفا بقدر ماله وعليه شحيحا .

وليكن واحدا فإنّ الكثيرة تؤدّى إلى الفساد في الأمر الواحد فإنّك إن ولّيت أكثر من واحد طلب كلّ واحد منهم الجاه عندك والظهور على صاحبه فيظهرون الاجتهاد والرعيّة ضعيفة فربّما حملوا عليها ما لا تحتمل فيكون ذلك سببا إلى قطعتهم وهلاكهم فالّذي يفسده بهذا النظر أكثر ممّا يصلحه
وقد قال صلى الله عليه وسلم إنّ المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى
وقال من يشادّ هذا الدين يغلبه وقال من استخلفك : وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ .
فصم وأفطر وقم ونم وقد اخترت لك مسدّدا لن تعدم خيرا ما دام معك وقد نظرت له في وزعة يمشون معه .

فابعثه على هذه الجبايات بوزعته فإنّك تحمد سيرته وتشكر بصيرته ألا وهو العلم ووزعته الثبات والاقتصاد والحزم والرفق فإنّه إذا دخل إلى عمالتك مع وزعته أقام ميزان العدل وحسن السياسة فإنّه نافذ .
البصيرة يعرف خبث الرعيّة ومكايدها فيأخذ ما يجب له ويكلّف على قدر المصلحة والوسع ولم يتجاوز فاعتمد عليه وأمّره على ما ذكرناه من الرؤساء أصحاب الخراج فإنّك تحمد عاقبته إن شاء الله

الباب الحادي عشر في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهيّة
ووقوف الإمام القدسيّ عليها ورفعها إلى الحقّ سبحانه

اعلم أيّها السيّد الكريم إعلام تنبيه لا إعلام تعليم أنّ الله تعالى هو ملك الأملاك وربّ الأرباب وسيّد السّادات والكلّ عدم بوجوده إذ هو الموجود على الإطلاق الّذي لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقّه بل الأشياء كلّها قديمها وحديثها أوّلها وآخرها أسفلها وأعلاها إنّما ظهرت به وإنّما رجعت إليه منه لا يخرج شيء منه إلّا إليه

فجميع أعمالك كلّها خفيّها وجليّها هو سبحانه مطّلع عليها فلا يطّلع منك على ما يكرهه منك ولا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع ،

أيّها السيّد الكريم تعيّن علينا التنبيه على كيفيّة وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبيّة والحسّيّة ومنك إلى الله تعالى أمّا الحضرة الحسّيّة فانّها تجبى المحسوسات الّتي ذكرناها والخيال أميرها وصاحب خراجه الحسّ فتأخذ الحواسّ جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها وتؤدّيها إلى الحسّ صاحب الخراج فيرفعها في خزانة الخيال فتكتسب هنالك اسما من جنس ما رفعت إليه وزال عنها اسم المحسوسات وانطلق عليها اسم المتخيّلات

ثمّ يكون الخيال أيضا صاحب خراج تحت سلطان الذّكر فيحفظها وينتقل هنا لك اسم المتخيّلات عنها إلى المذكورات والمحفوظات

ثمّ يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الفكر فيعرضها عليه ويسبرها ويخلّصها ويسأل الرعيّة عنها ويفرق بين الحقّ والباطل في ذلك فإنّ الحسّ له أغاليط كثيرة وينتقل اسم المذكورات عنها إلى المتفكّرات فإذا سبرها وردّ منها إلى الحسّ ما غلط فيه وأخذ منها ما صحّ ورحل به إلى حضرة العقل صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل .

فلمّا وصل إلى حضرة العقل دخل عليه وعرض عليه ما جاء به من العلوم والأعمال مفصّلة هذا عمل السمع هذا عمل البصر هذا عمل اللسان حتّى يستوفى جميع ذلك وينتقل اسمها إلى المعقولات

فيأخذها العقل الّذي هو الوزير ويأتي بها إلى الروح الكلّى القدسيّ فتستأذن له النفس والناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه

ويقول له السلام على السيّد الكريم والخليفة هذا وصل إليك من بادية حضرتك على يدي عمّالك فيأخذها الروح فينطلق إلى حضرة القدس فيخرّ ساجدا

وتلك السجدة قرب وقرع لباب الحقّ حضرة القبول فيفتح فيرفع رأسه فتقع الأعمال من يده للدّهش الّذي يحصل له في ذلك التجلّى

فينادى ما جاء بك فيقول أعمال فلان ابن فلان الّذي جعلني سلطانك خليفة عليه قد رفع إلىّ جميع الخراج الّذي أمرتني بقبضه من بادية الحضرة

فيقول الحقّ قابلوه بالإمام المبين الّذي كتبته قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفا واحدا فيقول ارفعوا زمامه في علّيّين فيرفع فهذا في سدرة المنتهى .

وأمّا إن كان في تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تفتح لها أبواب السماء ومحلّ وصولها الفلك الأثير

وهنالك يقع الخطاب كما وقع في الأوّل ثمّ يؤمر بها فتودع في سجّين قال تعالى :" إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ " وقال :" إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ "

فيقول الحقّ للروح القدسيّ في سدرة المنتهى يا عبدي هذه الأعمال رفعتك إلينا وأحلّتك هذا المحلّ الأسنى.

انظر أخاك وصاحبك دون السماء فينظر إليه فيعرف منّة الله عليه فيشتغل بالمنّة عن المشاهدة فيقول الحقّ قد شغله فضلى عنّى فيحتجب .

ولولا هذا ما صحّ أن يزول من تلك الحضرة ولكن قد جعل الله لكلّ شيء سببا ليتمّ الكلمة قال تعالى : " وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ " .

وقال : " إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ " .

وينتقل اسم الأعمال عندما وصلت إلى الروح من المعقولات فأطلق عليها الأرواح فكساها سبحانه لمّا نظر إليها بأحلّة البهاء وأقعدها على منبر الجلال ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار

فهذا معنى قول القائل تزكو الأعمال أي تعلو وتنمو فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهي واحدة في ذاتها فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة وهنالك يجتمع الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة وعمل الجوارح وعمل القلوب أعنى في حضرة العقل وأمّا أعمالك السيّئات فإنّها تفترق من الصالحات في خزانة الخيال ومن العالم العلويّ في الفلك الأثير .

فعليك أيّها السيّد بهذه الأعمال الّتي تخترق السماوات العلى وأمّا العلوم فليست من الأعمال الّتي ذكرناها فإنّ العلوم بحيث معلوماتها فإذا صعدت المعارف وقفت كلّ معرفة بمعروفها فاجعل علمك بالله يكن علمك مقدّسا منزّها عن النقائص ولله الحمد ولله درّ القائل :

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه ...... فكان بلا كون لأنّك كنته

الباب الثاني عشر في السّفراء والرسل الموجّهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيّها السيّد الكريم أنّ الحكمة قد أعطت عند من غلب عليه عقله على شهوته من الملوك أنّه لا يوجّه رسولا إلى عدوّ من أعدائه إلّا ذا فطنة وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصدق وديانة وأمانة وعلم بالحجّة ومواقع الكلام .
فإنّ الرسول دليل على مرسله ومنزلته فإن كان على هذه الأوصاف علم أنّ مرسله بهذه والمثابة وأعلى فإنّه لولا علم من أرسله وعقله لما ميّز هذا الرسول من غيره .

وإن كان بضدّ ما وصفنا كاذبا خائنا كثير الهوس سخيفا علم أنّ الّذي أرسله أسخف منه

فإذا تقرّر هذا فلتكن رسلك أيّها السيّد إلى الهوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيق والهدى والفكر والاعتبار والتدبّر والثبات والقصد والحزم والإستبصار والتذكّر والخوف والرجاء والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف فهذا ينبغي أن يكون رسلك فأفلح وربح وعظم ملك كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه فإنّه يعلم على الضرورة أنّهم يقمعون عدوّه بالحجّة القاطعة وربّما أسلم ويرجع الهوى الّذي كان يقصد الشرّ يقصد الخير وتكفى مئونة المقابلة والمقاتلة .

فإن قدمت رسل الهوى الّذي هو الثائر عليك والساعي في فساد ملكك فلا تغلظ عليهم فإنّ إهانة الرسل من عدم السياسة .
ورسله الحرص والكذب والخيانة والغدر والجبن والبخل والجهل والشّره والعيّ والبلادة وما شاكل هذا الصنف فمن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتداء فلا تنهرهم "وقل لهم قَوْلًا كَرِيماً " فإنّك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم .
واقعد على سرير ملكك وأخل لهم مجلسك وأمر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فإنّه سؤوس .
فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلّم فإنّه لا يتكلّم إلّا بحقيقته ،
فيقول لك إنّ هذا الملك المطاع الّذي اسمه الهوى قد أرسلنا إليك لتدخل تحت سلطانه وإلّا فلتأذن بحرب وقد أمرك

بأن تحرص على جمع الأموال والادّخار ومخالفة ما جاءت به الشريعة فتقول له أيّها الرسول مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمة فإنّه إذا سمع هذا منك سرّ به فإنّه لا يسمع مثل هذا من سلطانه .

ولكن أيّها الرسول انظر هذا بعقلك وأنصف من نفسك ما تقول في الله أهو ربّنا أم لا فيقول نعم هو ربّنا فتقول له هذه الدار الّتي نحن فيها أنحن راحلون عنها أم لا فيقول بلى راحلون عنها .

فتقول إنقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره فيقول لك إلى الله فتقول بما ذا وصف من خالف شرعه ودينه فيقول بالشقاء فتقول له ومن أطاعه فيقول بالسعادة فتقول له وهل يغنى عنك أحد من الله شيئا فيقول لا فتقول له أنت أيّها الحرص رسول هذا الهوى .
تعلم أنّى أدعو إلى ما فيه مرضاة الله هبك تحرص على طلب المال هل يصحّ لك منه إلّا ما كتب الله لك ولو لم تحرص فيقول نعم فتقول حقيقتك باقية أيّها الحرص ولكن اصرفها إلى الطاعات ومرضاة الربّ واحرص عليها تسعد بها ومتاع الدنيا قليل ومع قلّتها فانية والدار الآخرة خير وأكبر « أنت يا حرص هنا ما انتقص لك من منزلتك فيقول نعم .

فيسلم ويتوجّه الحرص على طريق العلم والدين فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى وهكذا تفعل مع كلّ رسول منهم مثل الخيانة والكذب والفجور إلى آخرها ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كلّ رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتّى يسلم الكلّ فإنّ الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم بخلاف رسلك فإنّهم لا
يرتدّون أبدا عليك وغايتهم ألّا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين .

فاعرف هذه الحقائق فقد بيّنت لك كيف تكلّم أرسال عدوّك ومن ذلك الواحد تستدلّ على الباقي ولهذا ترى المريدين اليوم يقلّ فلاحهم لعدم محاضرة مثل هذا المجلس وإنّما هم يغلظون بالقول على هؤلاء الإرسال من غير سياسة فلهذا تراه له دخول في طريق الخير وليس له ثبوت ويسخر منه الشيطان وهنا حقائق متّسعة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن ينخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار

وهذا القدر كاف فاستعمله وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ *والصلاة على نبيّه

الباب الثالث عشر في سياسة القوّاد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيّها السيّد الكريم أنّ الأجناد هم الأعمدة الّتي يقوم عليها فسطاط الملك والأوتاد الّذين يمسكونه واعلم أنّ الملك بيت فلا بدّ له من أربعة أركان تمسكه وأنا أبيّنها لك إن شاء الله وهي أوصافك المحمودة وخلقك الرفيعة فلتصطف منهم أربعة خواصّ تدور عليهم أفلاك مملكتك ورحى سلطانك وما بقي من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة فينحصر لك النظر فيهم وهم يدبّرون ملكك كلّ واحد بطائفة معلومة .

وإنّما جعلناها أربعة لأمرين الأمر الواحد أنّ الأربعة الأصل الثاني في البسائط العدديّة والبسائط أصل في تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى وذلك أنّ بسائط العدد من واحد إلى عشرة وليس في البسائط من يجمع العشرة إلّا الأربعة فإنّ الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة وفيها الثنتان فكانت تسعة وفيها الواحد فكانت عشرة وليس في العدد عدد يتضمّن العشرة غيرها .

فلهذا اصطفيناها لتضمّنها هذه الحكمة وحلّها قوى ما بقي بالقوّة فعلمنا أنّ الأربعة يقومون بالملك ولهذا كانت حملة العرش ثمانية .
كما قال تعالى وهم اليوم أربعة كذا قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لمّا وصف يوم القيامة "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ." فقال يومئذ يشير إلى يوم القيامة .

ووجدنا ملك هذا العالم الحيوانيّ وهو ملكك قد قام على أربع طبائع والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر وهذا باب الأربعين والأربع باب واسع يخرجنا إيراده لك عن المقصود في الفائدة.

وأمّا الأمر الآخر الّذي لأجله أمرناك أن تختصّ أربعة فلأنّ الجهات الّتي يدخل عليك الخلل منها ويفسد ملكك أربع جهات **اليمين والشمال والخلف والأمام**
فمن ثمّ يأتيك الخلل قال الله تعالى : " ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ " .
ولم يذكر أكثر ولا يصحّ فإنّه ما بقي إلّا اثنان الفوق والتحت فأمّا التحت فإليه يدعوك .
وأمّا الفوق فهو محلّ طريق التنزّل الإلهيّ فلا تقربه لئلا تهلك هو طريق القضاء والقدر اختصّ الله به فلا مدخل لمخلوق فيه .
فينبغي لك أيّها السيّد الكريم أن تنظر في هذه الجهات الأربع الّتي يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كلّ جهة منها واحدا من هؤلاء الأربعة بأتباعهم وأجنادهم وهم يحمون الملك وتعيش هنيئا في عافية آمنا فإنّ عدوّك ختّار جبان لا يقوى على القتال وإنّما يطمع في الغدر .

فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صلح أمرك ومهما جاءك العدوّ من أيّ ناحية جاء وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك فلتجعل الخوف عن يمينك والرجاء عن شمالك والعلم من بين يديك والتفكّر من خلفك
فإذا جاء العدوّ عن يمينك وجد الخوف بأجناده فلا يستطيع معه دفاعا وكذلك ما بقي .

وإنّما رتبنا هذا الترتيب لأنّ العدوّ إنّما يأتي من هذه الجهات **فخصّصنا الخوف باليمين** وذلك أنّ اليمين موضع الجنّة **والشمال موضع النار** فإذا جاء العدوّ من قبل اليمين إنّما يأتي بالجنّة العاجلة وهي الشهوات واللذّات فيزيّنها لك ويحبّبها إليك فيعرض له الخوف فيدرأه عنها ولولاه لوقع فيها وبوقوعه يكون الهلاك في ملكك .

فلا يجب أن يكون الخوف إلّا في هذا الموضع ولا تستعمله في غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنط .
ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها فالخوف للإنسان كالعدّة للجندىّ فلا يأخذها إلّا عند مباشرة العدوّ أو لتوقّى نزوله وإن أخذها في غير هذا الموطن سخر به وكان سخيفا جاهلا .

وإن أتاك العدوّ من جهة الشمال :
فإنّه لا يأتيك إلّا بالقنوط واليأس وسوء الظنّ بالله وغلبة المقت ليوقع بك فتهلك فيقوم لك الرجاء بحسن الظنّ بالله عزّ وجلّ فيدفعه ويقمعه .

وكذلك إذا أتاك من بين يديك :
أتاك بظاهر القول فأدّاك إلى التجسيم والتشبيه فيقوم لك العلم فيمنعه أن يصل إليك بهذا فتكون من الخاسرين

وكذلك إذا أتاك من خلفك :
أتاك بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة **فيقوم التفكّر فيدفعه** فإنّك إن لم تتفكّر وتبحث حتّى تعثر على أنّ تلك الأشياء شبهات وإلّا هلك ملكك
ولا سبيل للعدوّ في قتال هذه المدينة الّتي هي سلطانك إلّا من هذه الأربع جهات
فإذا رتّبت هؤلاء كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى ولم يستطع العدوّ مدافعتهم فإن زدتّ ولا بدّ على هؤلاء فلا تزد على العشرة

يكونون في بساطك تلقى إليهم وإنّما جعلناها عشرة من أجل حفظ العقائد فإنّ الحدود عشرة الّتي هي رأس تنزيه الحقّ
وهي أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وقبل وبعد وكلّ وبعض

فمن نزّه ربّه عن هذه الحدود الّتي مدار السلامة عليها وبقاء الملك في دار البقاء فقد نزّه ونال السعادة الأبديّة

فإن غرض العدوّ في هدم قاعدة من قواعدنا الّتي ذكرناها فاحذر واجعل تحت أيدي هؤلاء القوّاد من الأجناد ما تحتاج إليه وتخصّه بحدّ ما من هذه الحدود لكلّ حدّ أمير بأصحابه يقف عنده من أيّ بنقبائهم وعرفائهم فإذا جاء العدوّ سهل عليك المرام ونظرت من أيّ ناحية وصل فتدعو بالأمير الّذي في تلك الناحية وتأمره بالبروز فإنّه يكفيك همّه ،وهكذا في جميع النواحي .

فتحقّق أيّها السيّد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغتبط إن شاء الله تعالى وحده

الباب الرابع عشر في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيّها السيّد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة فاقصد أنزه موضع عندك وأحصنه فالزمه واجعله موضع سكناك ألا "وهو الكرسىّ موضع القدمين ".
وذلك المنزل هو دار السنّة وحصن الشرع الحامي المانع العالي الذّروة ولا تباشر الحروب بنفسك فإنّك إن هلكت هلك ملكك وإن بقيت في حضرتك وتوجّه المباشرة الحرب بعض قوّادك وأمرائك الّذين ذكرناهم ورتّبناهم لك فإن هربوا بقيت أنت وبقي ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدّهم ألا ترى إذا يبس الفرع وهلك جبره الأصل وتفرعت الشجرة وإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلّها .

فالملك أصل ملكه فببقائه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه والدولة جسم روحه الملك فمتى هلك الروح هلك الجسم وإذا انفسد في الجسم شيء والروح باق أصلحه الطبيب والتدبير هو طبيبك فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوّك.

مكيدة :
إذا نزل بك عدوّ والتقى الجمعان فقف على ساحل العلم ثمّ اضرب بعصا الهمّة متن ذلك البحر العلميّ فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإنّ عدوّك سيقفو أثرك فإنّ العلم باب الرئاسة والعجب والشيطان يطمع فيه

فإذا توسّط العدوّ بحرّ العلم خلفك فإنّه ضرورة ينطبق عليه فيغرق من غير قتال ولا صداع ولهذا قال بعض العلماء طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردّنا إلّا إلى الله وهذا من أحسن مكر اللّهوَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ *فإنّ فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله وهلك .

فإذا قال لك عدوّك اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق <u>فلا تقل هذا خاطر شيطانيّ فيتفطّن لك عدوّك</u>
ولكن اشرع في طلب العلم فإنّ الشيطان وهواك يفرحان بعملك في غير معمل وغاب عنهم أنّ العلم يأبى إلّا أن يعطى حقيقته
والجهل الّذي طرأ على إبليس في هذه المسألة أنّه تخيّل أنّه بالعلم ضلّ .
وظنّ قوله "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "
وأنّ السجود لغير الله على طريق العبوديّة .
لذلك وهذا كلّه جهل محض لا علم وهو يتخيّل أنّه علم فقال بالعلم ضللت فلهذا ويحرّض على طلب العلم ولا يعلم أنّ العلم يكشف عورته وجهله .

وهكذا أيّها السيّد جميع مطالب الخيرات إذا حرّض عليها عدوّك بالمقاصد الفاسدة فلا ترجع عنها فإنّ المرائي العامل أحسن من المخلص البطّال فإنّ العمل إذا استمرّ وإن لم يكن خالصا لا بدّ من نور يحصل للقلب يردّه في لحظة إلى الإخلاص فيقلب جميع أعماله السالفة .

ولهذا يكثر حزن العدوّ وأسفه فإنّه المحرّض لك على هذه الأفعال الّتي انقلبت في حقّك حسنى فاعلم وأمّا ترتيب الجيش عند اللقاء فكما ذكرنا لك في الباب قبل هذا ولتكن أنت في القلب مع خواصّك .

فإنّ هذا ممّا يهول العدوّ منظره فإنّه لعنه الله لا يقاتلك أبدا وإنّما يريد غدرك فإنّ مقاتلته إنّما هي مع الملك عليك ولك أنت الردّ والقبول وترتيبه على التفصيل تضيق هذه العجالة عن بسطه ولا فائدة فيه لعدم القتال من العدوّ فغايتك معه أن تحذر مواضع الغدر .

فافهم وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ *

الباب الخامس عشر في ذكر السرّ الّذي يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه

اعلم أنّ العدد سرّ من أسرار الله تعالى في الوجود وكلّ عدد مذكور في القرآن وفي الشرع فلمعنى وهكذا خلق الله الموجودات متعدّدة من اثنين إلى اثنى عشر وهي نهاية مراتب العدد
فإنّ مراتب العدد أربع **آحاد وعشرات ومائون وآلاف** والأربعة أكمل العدد ونهاية كلّ واحد منها إلى تسعة ويأخذ في التكرار .
وإنّما قلنا أنّ الاثني عشر هي النهاية فإنّ العالم الإنسانيّ نهاية تركيبه بوجه ما من اثنى عشر فإنّه مركّب من أمّهات أربع ومولّدات أربع ونفس وعقل والإنسان والمرتبة وقد تولّع قوم بهذه الأعداد واستخرجوا منها علوما كثيرة ودلّوا بها على التوحيد وشرح ذلك يطول في هذا المختصر .

فلنرجع ونقول : إنّ الواحد إذا حملته على مثله بواسطة الواو لا بواسطة في فيظهر وجود الاثنين والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد وبعدمه يفنى فتركّبه على الاثنين فيظهر وجود الثلاثة وعلى الثلاثة فيظهر وجود الأربعة وتنقصه من الألف فيزول الألف فهو أصل .

فأوّل الأعداد الشفعيّة الاثنان وأوّل الأعداد الفرديّة الثلاثة فالاثنان أصل لكلّ شفع أو زوج والثلاثة أصل لكلّ فرد أو وتر فالزوج مقدّم على الفرد تقدّما طبيعيّا لا يمكن خلافه فإنّ تقدّمه تقدّم طبيعيّ لا يمكن أبدا أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة.

فإذا تقرّر هذا العدد محصورا في زوج وفرد فثمّ مواطن يغلب الزوج فيها الفرد وثمّ مواطن يغلب الفرد فيها الزوج وعلى الإنسان أن يحارب هواه وهوى غيره وإذا حاربه فلا يخلو أن يحاربه في مباح أو في معصية .

فإذا حارب هواه فليغلّب الزوج على الفرد في معصية كان أو في مباح وإن حارب هوى غيره فليغلّب الفرد على الزوج إلّا إن كان في معصية فإنّه يغلّب الزوج على الفرد ،
فإنّ التوحيد توحيدان توحيد الأحديّة وهو توحيد العصاة من الأمّة الإسلاميّة وهو توحيد صحيح مركّب على أصل فاسد وتوحيد الفردانيّة وهو توحيد محمّد وموسى عم والعارفين العلماء من الأمّة الإسلاميّة وهو توحيد صحيح مركّب على أصل صحيح .

فتوحيد الأحديّة يغلب كلّ شيء في كلّ موطن فتحفّظ منه أن يصرفه عليك عدوّك
وتوحيد الفردانيّة يغلب في مواطن ويغلب في مواطن فالتزمه في مواطن غلبته وإذا
غلب فالتزم توحيد الأحديّة .
وهذا الباب يحتوي على أسرار عظيمة تركناها طلبا للاختصار فإنّها متشعّبة يتعلّق
بعضها ببعض .
ويتوقّف فهم بعضها على فهم بعض فيكتفى هذه الإشارة للعارف

الباب السادس عشر في ترتيب الغذاء الروحانىّ على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنسانىّ وبقائه

اعلم أنّ الغذاء سبب إلهىّ موضوع لبقاء كلّ متغذّ لا غناء له عنه وما بقي بيننا وبين الطبيعيّين إلّا في الأشياء الّتي اعتدّت غذاء فنحن نجوّز عدمها وترك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة في المتغذّى ببقاء الحرارة والرطوبة الّذي هو طبع الحياة بصورة ما فما دام الحقّ يغذّيه بخلق الحياة فيه بقي وهم يرون هذه الأطعمة الّتي هي عندهم أسباب وجود الحياة وهذا الفصل لا يحتاج إلى الكلام مع المخالفين فيه فإنّ طريق التصوّف ليس مبنيّا على مجادلة المخالفين لأنّهم في عين الجمع مشغولين بقلوبهم مع الله كيف ينبغي أن يكون .

فاعلم أنّ فصل الربيع حارّ رطب وهو طبع الحياة وأنّ النفس تنشط فيه للحركة والإسفار والفرج والنّزهات فإنّ ذلك زمان الحركة الطبيعيّة في جميع الحيوانات والنباتات فتهتزّ النفس الحيوانيّة لذلك فإن سامحها المريد أخطأ .

فالله الله أيّها السيّد الكريم إذا أعطى الزمان شيئا بطبعه ورأيت بعض أهل مملكتك يشاكل طبعه ذلك فلا تتركه وطبعه ولكن مر وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوّة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعيّة مثل قوله تعالى :"إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ "

وقوله تعالى :" فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ". وقوله:" حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ " وجعل ذلك حياتها فتكون حركة المريد في هذا الفصل الربيعىّ في طلب الغذاء الّذي يوافق هذا الزمان فيأخذ من أسرار المعاملات ما ليس للنفس فيها تلك المجاهدة الشاقّة فتشرع في السّنن والشرعيّات الّتي تعطيها المقامات العلميّة مع عدم الشدّة والضيق كالاعتبارات والأفكار في المصنوعات وإجالة البصيرة على شهود الصانع عند إجالة البصر في المصنوعات .

فإذا تحقّقت بهذا النظر سامحها في الخروج إلى الفرج والأنهار والمروج ومواضع النواوير والأزهار من الجبال والغياض فلا تزال تجنى ثمرة الاعتبار والفكر والإستبصار على كثرة ما شاهدته من عوالم الأزهار والنّوّار في الجبال والقفار وشواطئ الأنهار والتفكّر في الجنّة وما أعدّ الله فيها لأوليائه فإنّ زمان الربيع زمانها وهي الدار الحيوان فهي حارّة رطبة طبع الحياة .

فإذا فكّر في هذا كلّه حرّصه على الأعمال وهوّن عليه شدائدها لعظيم ما يرجوه من النعيم الدائم عند الله فهذا هو زمان الشباب والاقتبال وليس آخره كأوّله .

وأمّا زمان القيظ فهو حارّ يابس طبع النار فينبغي لك أن يكون الغالب عليك أيّها السيّد في هذا الفصل الفكر في حال الشيخوخة والضعف عن الأعمال الّتي لا يقدر عليها من كبر سنّه والفكر في جهنّم وشدّتها وسعيرها وتنظّر في آية قوله : " وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ".

وتفكّر في حرّ القيمة وعطشها وطرد الناس عن الحوض وإلجام العرق فأمثال هذا ينبغي أن يكون غذاء نفسك في هذا الفصل فإنّه يلائمه للالتحاق بالعالم السعاديّ هذه حالة جيّدة .

وأمّا زمان الخريف وهو الفصل الثالث فهو بارد يابس وهذا طبع الموت فينبغي أن يكون الغالب عليك في هذا الفصل في غذائك التفكّر في الموت وسكراته وغمراته وهل يختم لك بالتوحيد أو بالشرك ،
وما تلقاه من خصميك ومن نزع الملك روحك الطيّبة أو الخبيثة وهل يفتح لك باب السماء أو لا وهل تكون عند موتك في علّيّين أو في سجّين وأنّ ذلك أوّل موطن من ولادة الآخرة وأنّ الدنيا اليوم حاملة بك وهذا الجسم كالمشيمة للمولود وبالموت تقع الولادة لهذا قال :" وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً" .
وكذلك أنت اليوم بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة وما تعاينه وما أعدّ الله لعبيده من الوعد والوعيد فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك في زمان الخريف .

وأمّا زمان الشتاء فإنّه بارد رطب وهو طبع البرزخ فينبغي أن يكون غذاؤك في هذا الزمان التفكّر في البرزخ بين المنزلتين هل أنت ممّن يعرض على النارغُدُوًّا وَعَشِيًّا كآل فرعون أو ممّن يعرض على الجنان تعلف من رياض الجنّة وتتبوّأ منها حيث شئت كالمؤمنين ،
وتفكّر في الحسرة المستصحبة لك في البرزخ على ما ضيّعت من الأنفاس والأوقات إمّا في المخالفات أو في المباحات فتتمنّى في ذلك الوقت أن يردّك الله إلى الدنيا وليس ذلك التمنّى بنافع وليس الله برادّك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك زفراتك .
فإذا تيقّنت بالفكر الصحيح والعلم الراسخ أنّ ذلك وقت الحسرة والتغابن ولا ينفعك فيحرّضك على الجدّ والاجتهاد في هذا الوقت في حياتك الدنيا حيث ينفعك حسرتك إن حسرت وتوبتك إن تبت وندمك إن ندمت
كما قال تعالى :" إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وقال تعالى:" وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ " .

فإنّ ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها وإنّما هو من البرزخ من الدار الّتي لا ينفع فيها ما عمل فيها فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء في هذا الفصل فإنّه نافعك إن شاء الله.

فإذا جمعت بين الغذاءين فقد صحّ جسمك للمعاملات وصحّ عقلك للواردات وكنت في كلّ زمان صاحب علم وعمل وهو الّذي حرّضك الشرع عليه وأمرك به وندبك إليه .

فاسع أيّها السيّد في نجاة نفسك ونجاة رعيّتك واعلم أنّ أهل دولتك إن عاشرتهم في الدنيا بالحقّ والعدل والإنصاف وتمشّيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعيّة فإنّ الله تعالى يقيمهم يوم القيمة شهداء لك بالعدل وحسن النقيبة والسيرة والمعاشرة .
وإن عدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحقّ يوم القيمة شهداء عليك بقبح السيرة وسوء المعاشرة فالله الله تحفّظ .
قال الله تعالى :" الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ "
وقال :" يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ " .
وقال:" إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا" .

وكما أنّه لكلّ فصل من فصول السنة علل وأمراض تحدث فيها في الأبدان وعلى حسب السنّ كذلك يكون في الروحانيّين علل فلتنظر إلى الأغذية الروحانيّة الّتي رسمنا لك في كلّ فصل فإنّ الشيء الّذي يحول بينك وبين تناولها والأخذ فيها فهو علّتك في ذلك كائنا ما كان من غير تعيين أنت تعيّنه لنفسك فإنّك تدري السبب الّذي حال بينك وبين أخذ هذا الغذاء الّذي فيه حياتك وصحّتك وبقاؤك .

وإنّما ذكرنا العلوم في الأغذية وسكتنا عن الأعمال ولم نجعل العمل غذاء فإنّ العمل لا يجيء به الروح وإنّما يجيء بالعلم الإلهيّ والعلم الإلهيّ لا يظهر إلّا بالعمل فإذا أمرتك باكتساب هذه العلوم الإلهيّة في هذه الأزمان المختلفة
فقد أمرتك بالأعمال كما يقول الطبيب يكون غذاؤك زيرباجا ومن المحال أن تتغذّى بقوله زيرباجا .

وإنّما في الزيرباج روحانيّة مودعة يؤدّيها إليك فيقوم الجسم فيأخذ اللحم ويضيف إليه السّكّر واللوز والزعفران والخلّ والفلفل
ومن أفاوه الطيب ما تيسّر وتركّبه على النار اللّيّنة المعتدلة حتّى يكون طبخه معتدلا فإذا استوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيّته وهي الأمانة الّتي أودع الله فيه لك فحيّيت بها وتقوّت صحّتك وبقي كلّ ما عمله الجسم وخدم فيه خرج ثفلا ترميه في المرحاض .

كذلك الأعمال تعملها فتأخذ روحانيّتها من العلوم والدرجات وتتركها كما تركت ثفل ذلك الطعام في جهنّم على الكفّار ، وهي المشاقّ والشدائد الّتي نلت في تلك الأعمال من قيام في الأسحار والسّعى إلى المساجد وفي سبيل الله
وإسباغ الوضوء في السّبرات وجميع المكاره وهي هذه الأعمال الشرعيّة في الدنيا فتتركها كلّها ولا تنقلب إلى الآخرة إلّا بلطائفها الّتي أودع الله فيها الّتي رأيت هنا عيونها في قوله :" وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا"، "واتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ "

فكما أنّ الغذاء الجسمانىّ لم تقدر أن تصل إليه حتّى تعمل سببه كذلك هذا الغذاء الروحانىّ لا تصل إليه حتّى تعمله وأيسر أعماله أن تأكله فأكله عمل فإنّ عمله خادم فلا بدّ من تحريك أسنانك فيه وتسخير اللسان والأحناك والحلقوم والمريء والمعدة والمعاء والكبد وحينئذ يسرى منه فيك روح حياة وليس إذا أكله غيرك يحصل لك منه شيء .

فكذلك هذا الغذاء الروحانىّ لا بدّ أن تكون أنت المتناول له بنفسك وحينئذ يعطيه الله لك فما أعمى أكثر الناس عن إقامة هذه النشأة الروحانيّة بهذا الغذاء الإلهيّ عن هذا العمل الشرعيّ وقد علمنا قطعا أنّ الجسم يحشر يوم القيمة على صورة عمله والنفس على صورة علمها فالسعيد من حسّن صورتيه وجمع بين كلمتيه فهذا هو الغذاء الّذي يحصل من جهة الأعمال .

واعلم وفّقك الله وسدّدك أنّ كلّ محدث فلا بدّ له من غذاء يغتذي به فيه بقاؤه

واعلم أنّ ميكائيل هو الأمين على الأرزاق والأغذية كلّها المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الّذي يعطى الغذاء الجميع البدن وكذلك إسرافيل يغذّى الأشباح بالأرواح وجبرائيل يغذّى الأرواح بالعلوم والمعارف .

فكلّ موجود يكون بقاؤه مربوطا بأمر ما فذلك الأمر هو غذاؤه كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه وكذلك الجسم بالتأليف وكذلك العقل ببعض العلوم الضروريّة وكذلك الهيولى بالصّور فلا يزال الروح القدسىّ متعطّشا لبقائه في وجوده وبقاؤه بالعلوم الإلهيّة فهي غذاؤه
ولهذا قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم :"وقل ربّ زدني علما"
ثمّ رآه في صورة الغذاء المحسوس على ما خرّجه البخارىّ في صحيحه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأنّى أتيت بقدح لبن فشربته حتّى خرج الرىّ من أظافيرى ثمّ أعطيت الفضل عمر قالوا : فما أوّلته يا رسول الله قال العلم وشربه ليلة إسرائه ". وقيل له هو الفطرة أطاب الله بك أمّتك ،

فينبغي لك أيّها السيّد الكريم أن تكون مع الله على حكم تدبيره سبحانه في بادية ملكه ولا تتأنّى في استجلاب غذاء الأرواح فإنّك مأمور بسؤال الزيادة منها فإنّ الأرواح لا تشبع من العلوم أبدا وقد عرّفنا بذلك
وقال صلى الله عليه وسلم : "منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا " ولا تطلب من العلم ما تأخذ من تحت قدمك وإنّما اطلب منه الرحمة الّتي اختصّ الله بها عباده الّذين أفردهم إليه والعلم الّذي خصّهم به وهو العلم اللدنىّ.

فإنّ علوم المعاملة وإن لطفت وعلت فإنّما علوّها وجمالها وحسنها ولطفها بالنظر إلى علوم الأفكار المدنّسة بحكم النظر العقلىّ والافتكار وهذه وراء طور العقل فنورها أجلى ومرآتها أصفى .

ولكنّ العلوم الدنيّة الّتى لم يقترن بتحصيلها عمل مع استصحاب العمل والفرقان بينهما بيّن فإنّ علوم الأعمال الهمم متعلّقة بها ولهذا أتت على مدرجة من مدارجها وهي علوم السعادة .

وهذه العلوم الّتي نبّهتك عليها علوم لدنيّة موقوفة على الامتثال المطلق الّذي لم يدنّسه المخلوق بكدّه وإن كان الحقّ أكدّه ولكن ثمّ لطيفة الكسب تطلع سحابة على مرآة الروح فإنّه انبعاث سفلىّ من الهواء من حيث صعود الأبخرة وتولّد السحاب وكلّ ما دخل تحت العناصر
فإنّ التغيير يسرع إليه إلّا أن يكون صاحبه قوىّ الحافظة على الموازنة في الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب يحفظ بذلك رتبة الاعتدال فحينئذ إذا تخلّص له هذا المقام يكون سعيدا وهذه العلوم لا تحتاج إلى شيء من الحفظ البشرىّ من أجل العناية والسلام .

الباب السابع عشر في خواصّ الأسرار المودّعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله

وفي هذا الباب أودعت المضاهاة وهو على خمسة أبواب اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطّشة إلى أسرار الغيوب أنّه لا أضيف شيء إلى شيء بأيّ وجه كان من وجوه الإضافات من إضافة تشريف واختصاص أو ملك أو استحقاق ولا دلّ دليل على مدلول ولا رأى راء لمرئىّ ولا سمع سامع لسموع إلّا لمناسبة غير أنّه قد تظهر فتعرف لقربها وقد تخفى فتجهل لبعدها وهي على قسمين ظاهرة وباطنة .

فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحقّقوا والباطنة لا تعرف أبدا بالنظر فإنّ معرفتها موقوفة على الوهب الإلهيّ وهذا هو طور النبوّة والولاية والفصل بينهما لا خفاء به ..

فإنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم متبوع تابعه الولىّ ومقتبس من مشكاته وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقوع الخطاب تثبت العقائد الّتي تعمّد الخلق بها فقالوا الله موجود ونحن موجودون فلو لا معرفتنا بوجودنا ما عرفتنا معنى الوجود حتى نقول أنّ الباري موجود وكذلك لمّا خلق فينا صفّة العلم أثبتنا له العلم وأنّه عالم .

وهكذا الحياة بحياتنا والسمع والبصر والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا وحروفنا والقدرة والإرادة وكذلك سائر الأسماء كلّها من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلّها موجودة عندنا فلمّا سمّى لنا نفسه بها عقلناها .

فما عقلنا منها غير ما أوجده فينا وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب وهو ليس كالقدم ليس بصفة إثبات وإنّما معناه لا أوّل له في وجوده فتعلّق العلم بنفي الأوّليّة عنه وعلمناها أيضا فإنّ الأوّليّة موجودة عندنا حقيقة والنفي عندنا معلوم منّا بفقد أشياء منّا بعد وجودها

فينا أوضحها انتقالها من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن نظر إلى نظر .

فقد عرفنا حقيقة النفي وحقيقة الأوليّة ثمّ حملنا النفي على الأوّليّة ووصفنا الحقّ بها وهي صفة سلب وقد يعلم الشيء بنظيره وبضدّه وقال صلى الله عليه وسلم :" من عرف نفسه عرف ربّه". فأثبتّ له من الصفات ما خلق فىّ لا غير فهذه معرفة

وبقيت معرفة السلب الّتي بها امتاز عنّا فأخذنا الصفات الّتي ثبت بها حدوثنا وعبوديّتنا وإخراجنا من العدم إلى الوجود ونفيناها عنه ولم نجد له صفة إثبات معيّنة ليست عندنا

نعرفه بها لكن نعرف أنّه على حكم ليس نحن عليه ثابت له فلو لا هذه المناسبة ما صحّت لنا عقيدة وما عرفناه أصلا .

ثمّ بعد هذا وإن عرفناه بما وصفنا فإنّ هذه الصفات في حقّنا تعقبها الآفات والأضداد وهي له باقية لا يعقبها ضدّ ولا آفة وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعدا فقد عرفنا صفة البقاء فأصحبناه تلك الصفة النزيهة المقدّسة وهذا الباب يطول وأوضحناه بيّناه في كتاب إنشاء الجداول وهو كتاب شريف بيّنت فيه المعارف بالأشكال ليقرب إلى الأفهام فهذا ضرب من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلهيّة .

وأمّا المناسبة الباطنة فوكّلناك فيها إلى نفسك فإنّها تدرك بالمجاهدات في المشاهدات وبقيت لنا المضاهاة الثانية الّتي بين الإنسان والعالم .

وقد بسطنا القول فيه في أكثر كتبنا ولنذكر منه هاهنا فصلا قريبا جامعا يحوى على كلّيّاته وأجناسه وأمرائه الّذين لهم التأثير في غيرهم ولو ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبيه لضربنا له دوائر على صور الأفلاك وترتيبها ونجعل لكلّ فلك في العالم ما يقابلها من الإنسان بخاصّيّة ذلك الفلك ويدور الخلق كلّه **على أربعة عوالم :**
العالم الأعلى وعالم الاستحالة وعالم عمارة الأمكنة وعالم النسب
ولكلّ واحد من هؤلاء العوالم غاية :
فجميع ما يحتوي عليه **العالم الأعلى** من العالم الكبير عشرون حقيقة
وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة
وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق
وعالم النسب عشر حقائق
وهي كلّها في الإنسان موجودة وهذه هي الأمّهات وهي تسع وأربعون حقيقة .

وكذلك الإنسان فالعالم محصور في ثمان وتسعين حقيقة ممّا يقتضيه خلقه ثمّ زاد الإنسان على العالم بالسرّ الإلهيّ المبثوث فيه الّذي صحّ له به الاستخلاف وتسخير ما في السماوات وما في الأرض فجاء الأمر كلّه تسعا وتسعين حقيقة من أحصاها دخل الجنّة والموفّى مائة المهيمن على كلّ شيء وهو الحقّ .

فالوجود كلّه مائة الموفّى مائة منها الاسم الأعظم وكذلك الجنّة مائة درجة الموفّى مائة منها جنّة الكثيب الّذي ليس فيه نعيم إلّا الرؤية وليس لمخلوق فيه الدخول إلّا وقت النظر هو حضرة الحقّ .
وهذه أسرار عجيبة نبّهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات وإنّ النار مائة درك والموفّى مائة منها درك الحجاب وهو محلّ المشاهد إذا ارتدّ ورجع فإنّه يهوى في

جهنّم وينزل في دركاتها على مقابلة الدرج الّتي سقط منها فأعلى علّيّين يقابل أسفل سافلين

قال الله تعالى : " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم ".ٍ فما بعده أحسن منه " ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ". فما بعده أسفل منه.

ثمّ نرجع ونقول فأمّا العالم الأعلى فأعلاه لطيفة الاستواء وهي الحقيقة الكلّيّة المحمّديّة وفلكها الحياة ينظر إليها من الإنسان لطيفته والروح القدسىّ ثمّ في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم ثمّ في العالم الكرسىّ بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها وكما كان موضع القدمين فكذلك النفس محلّ الأمر والنهى والمدح والذمّ .

ثمّ في العالم البيت المعمور ينظر إليه من الإنسان القلب ثمّ في العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب ثمّ في العالم زحل وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوّة الذاكرة ومؤخّر الدماغ .

ثمّ في العالم المشترى وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوّة العاقلة واليافوخ ثمّ في العالم الأحمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوّة الغضبيّة والكبد ثمّ في العالم الشمس وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوّة المفكّرة ووسط الدماغ .

ثمّ في العالم الزّهرة وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوّة الوهميّة والروح الحيوانىّ ثمّ في العالم عطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوّة الخياليّة ومقدّم الدماغ ثمّ في العالم القمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوّة الحسّيّة والحواسّ . فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان .

وأمّا عالم الاستحالة فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحها القوّة الهاضمة ثمّ في العالم فلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوّة الجاذبة ثمّ في العالم فلك الماء وروحه البرودة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان البلغم وروحه القوّة الدافعة ثمّ في العالم فلك التراب وروحه البرودة واليبوسة ينظر أيهما من الإنسان السوداء وروحها القوّة الماسكة.

وأمّا الأرض فسبع طباق أرض سوداء غبراء وأرض حمراء وأرض صفراء وأرض بيضاء وأرض زرقاء وأرض خضراء ينظر إليها من الإنسان طبقات الجسم الجلد والشّحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام .

وأمّا عالم عمارة الأمكنة فمنه الروحانيّون ينظر إليها من الإنسان القوى الّتي فيه ثمّ في العالم الحيوان ينظر إليه ما يحسّ من الإنسان ثمّ في العالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان ثمّ في العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحسّ من الإنسان .

وأمّا عالم النسب فمنه العرض ينظر إليه من الإنسان أسود وأبيض وما أشبه ذلك ثمّ في العالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيح سقيم ثمّ في العالم الكمّ ينظر إليه من الإنسان سنّه عشرة أعوام وطوله خمسة أذرع .
ثمّ في العالم الأين ينظر إليه من الإنسان الأصابع موضعها الكف ، الذراع موضع اليد ، ثمّ في العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرّك وجهه وقت تحريك رأسه .

ثمّ في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله ثمّ في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته ودينه ثمّ في العالم أن يفعل ينظر إليه من الإنسان أكله ثم في العالم أن ينفعل ينظر إليه من الإنسان ذبح فمات وشرب فروى وأكل فشبع .

ثمّ في العالم اختلاف الصور في الأمّهات كالفيل والحمار والأسد والصّر صر ينظر إليه من الإنسان القوّة الّتي تقبل الصّور المعنويّة من مذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل وهذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصر .

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفى مختصرا فما بقي له فيه شيء فما له لا يسعى في تخليص نفسه من رقّ الشهوات كما حصل له أشرف المراتب في الوجود فيحصل له أسنى المراتب السعاديّة .

وأمّا الأسرار المودعة في الإنسان فكثيرة جدّا منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعيّ ومنها ما يرجع إلى حاله ووضعه الإلهيّ ونحن نحتاج في هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلهيّة الروحانيّة وإن خالطها من المزاج أمر يسير

فليس غرضنا ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزّلات الإلهيّة بواسطة روح القدس على الروح بأسرار الولاية على الوليّ وأسرار النبوّة على النبيّ كلّ قد علم صلاته وتسبيحه وقد ذكر النبيّ صلعم ضروب التنزّلات بالغتّ والغطّ وجعل أشدّه عليه فيه صلصلة الجرس لاختراق النور الملكيّ ظلمة هذا التركيب الطبيعيّ حتّى يصل بذاته إلى النور الروحيّ الّذي في الإنسان فيلقى إليه .

فباشتغال الروح معه تتخدّر الجوارح وينحرف الطبع ويتغيّر المزاج فإنّ الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه فإذا انصرف عنه النور الملكيّ سرّى عنه وقد عرق جبينه واحمرّ وجهه وقام كأنّه نشط من عقال وهو قوله تعالى :"نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى

قَلْبِكَ ". وكان أهون ما يلقى عليه إذا تمثّل له رجلا فيأخذ من جهة سمعه وهي المحادثة ولأولياء الله في هذا مشرب شهيّ .

ومتى اشتدّ الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسّيّ فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع ويعبّر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبارة فذلك هو الحال الإلهيّ ويجد القلب عند الإفاقة سرورا وربّما عرته أبردة فذلك حال صحيح .

وإن غيّب ثمّ ردّ ولم يجد شيئا إلّا أنّه أخذ عنه بقبضة قبض عليه لم تثمر له فائدة ولكن غاب عن حسّه فهذا حال من المزاج لمّا حمى القلب بالذكر أو بالتخيّل صعد منه بخار من التجويف الكثير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيوانيّ من السّريان ورمى بصاحبه كالمصروع فهذا حال صحيح ولكن من المزاج ليس فيه فائدة .

ولهذا إذا سألته يقول رأيت كأنّى كسيت برنسا أسود وسحابة مرّت على عيني فغبت وهو ذلك البخار الّذي ذكرناه .

وأمّا الحال الثالث الكذّاب هو الّذي يعقل صاحبه أهل مجلسه ولم يغب عن نفسه ولا عن حسّه ويتحرّك ولا سيّما في مجالس السماع فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سخر به الشيطان فكلّ ما يلقى إليه يتخيّل أنّها علوم وهي سموم فلا يعوّل على كلّ ما يخاطب به في هذه الحالة فإنّها حالة شيطانيّة وإنّه ليس في قوّة الشيطان أن يفنيك عن حسّك ثمّ يلقى إليك وتعقل عنه وإنّما هو على أحد وجهين على البدل :

إمّا أن يفنيك مثل الصرع ولكن لا يلقى إليك شيئا لأنّه لا يجد من يأخذ عنه
وإمّا أن لا يفنيك ويلقى إليك وأنت مع حسّك وقد كسا باطنك شيئا من حرارة وتوهّم واستطلاع إلى بعد ،
وضرب من استعداد لحظات فإذا عرف أنّه قد تمكّن منك في هذا المقام ألقى إليك خطابا فتحسّ بمواقع الخطاب في نفسك على حسب ما يلقى إليك فتخبر عمّا وجدتّه فإخبارك أنّك وجدتّ هذا في نفسك صحيح وكونك تنسب ذلك إلى الحقّ باطل .

وربّما يقول لك في مواقع خطابه عبدي إنّى أنا ربّك لا تنظر إلى غيرى فأحجبك ولا تنظر إليّ إلّا بي فإن نظرت إليّ بك أشركت فإنّا الناظر والمنظور وما أشبه ذلك النوع من الخطاب ويقنع إبليس منك أن تعتقد أنّ ذلك من الله فيستولى عليك فتصير محلّا له طول عمرك .

فلو علمت أنّ مخاطبة الحقّ لا تترك إحساسا وليست بالوهم ولا بالتخيّل ولا بالاستعداد والانتظار لعلمت ببقاء حسّك معك أنّك مع من يجانسك محدث مثلك يريد أن يسخر بك

وأكثر ما يجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيّل فعليك بالفناء المحض وإن لم تجد شيئا فهو أسلم من الفتنة فإن وجدتّ فيه شيئا فهو المطلوب وارتفع التلبيس فلا مدخل هنالك لإبليس .

فهكذا ينبغي أن تكون أيّها المريد وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك ثمّ لتعلم أنّ الروحانيّين ليس لهم إلقاء الأمر والنهى وإنّما لهم التحضيض والإخبار لأنّه لا فائدة لأمرهم .

فإذا استولت عليك روحانيّة تدبّرك فانظر فإن أمرتك ونهتك بضرب من العبادات فتلك شيطانيّة فأضرب عنها وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسيّ وسورة البقرة .
وإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطانا أو غير ذلك وتميّز بينهما سرعة التنوّع في الإلقاء بين أن يلقى شيئا ثمّ شيئا آخر ثمّ شيئا آخر فهو روح شيطانىّ .

وإن استمرّ أمر واحد فإنّك معه في حال الفتنة أيضا فلا تقبل من الإلقاء إن أردت الصّحيح إلّا ما حصل لك في حال الفناء الكلّيّ من غير تمثيل ولا حسّ سوىّ مجرّد الفهم منك بما تكون منه وسرّ المشاهدة للبهت وسرّ الكشف للعلم وسرّ البقاء للأدب وسرّ الفناء للتوحيد وسرّ القبض للافتقار وسرّ البسط للسؤال والأسرار كثيرة وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله .

فلنذكر خواصّ الأحجار الإنسانيّة **فمن ذلك حجر البهت** وهو حجر عزيز فيه غيره [وهو يتلون عند الشروق وعند الإستواء وعند الغروب و شعشعته أفواجا أفواجا]
ومحلّه بحر الظّلمات وله أسرار عجيبة .
[ومن لبسه فإنه يقهر كل من يخاصمه و ينتصر عليه ، واذا دخل على جبار أهابه وعظمه و انبهت وانبهر منه بشرط أن يحرك الحجر في وجهه عند الدخول والمخاصمة]،
وهو نكتة ذاتيّة في القلب كمثل الإنسان في العين الّذي هو محلّ الرؤية وكالساعة الّتي في الجمعة كما قال صلى الله عليه وسلم : وقد مثّلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء وأخبر أنّها الساعة الّتي في الجمعة .
فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود وجميع الأرواح الّتي في الإنسان من عقل وغيره إنّما هو مترقّب لمشاهدة تلك النقطة فإن الصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة ،

فإذا بدت ما لها ما تقابل سوى حضرة الحقّ الذاتيّة فينتشر من ذلك الحجر نور من أجل التجلّى فيسرى في زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره ويبهرهم ذلك النور المنفهق

من ذلك الحجر وشعشعاته فلا يظهر لهم تصريف ولا حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولهذا سمّى حجر البهت .

فإذا أراد الله أن يبقى هذا لعبد أرسل على القلب سحابة كون ما تحول بين النور المنفهق من تلك النكتة وبين القلب فيتشمّر النور إليها منعكسا وتشرح الأرواح والجوارح وذلك هو التثبيت فيبقى العبد مشاهدا من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم وبقي التجلّى دائما لا يزول أبدا في ذلك الحجر ولهذا يقول كثير إنّ الحقّ ما تجلّى لشيء قطّ ثمّ انحجب عنه بعد ذلك ولكن تختلف الصفات ولنا في هذا المعنى أبيات منها :

لما لزمت قرع باب الله ..... كنت المراقب لم أكن باللاهي
حتى بدت للعين سبحة وجهه ..... وإلى هلم لم تكن إلا هي
فاحطت علما بالوجود فما لنا ..... في قلبنا علم بغير الله
لو يسلك الخلق الغريب محجتي ..... لم يسألوك عن الحقائق ما هي

وكذلك من كتب الله في قلبه الإيمان فإنّه لا يمحوه أبدا ولهذا قال : "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ" . "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ" فهذا هو الحجر النافع المطلوب الّذي يطلعك مشاهدة المحبوب فاعلم ذلك .

وآية هذا السّر من القرآن : "حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ" وخاصّيّته أنّه إذا قام بالعبد في وقت ما فإنّه يقهر كلّ ما تعرّض له من غير التفات ولا معرفة به .

ومن ذلك حجر الزّمرّد آيته من كتاب الله تعالى :"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ " فالقوّة المذكّرة خاصّيّتها أن تعمى إبليس عن ملاحظة كيده في الحال وتدهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلّا **والمؤمن على إحدى حالتين:**
إمّا في غفلة فيمسّه مرّة أخرى ،
وإمّا في حضور فيحترق إن دنا منه .
وقد رأيته لعنه الله لا يجترئ على دخول بيت فيه عارف بالله سواء نام العارف أو كان مستيقظا ،
ومن ذلك حجر الياقوت الأحمر وآيته من كتاب الله تعالى:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" خاصّيّته إذا كان الإنسان مشاهدا له من جهة روح قدسيّ فإنّه يعلّم من العلوم المتعلّقة بذات الحقّ ما لا يطّلع عليه غيره فإن كان مشاهدا له من جهة نفسه الغضبيّة وصادف جبّارا من الجبابرة فإنّه يذلّ له ويخضع لما يجد له في نفسه من التعظيم وإن كان توعّده عفا عنه ،

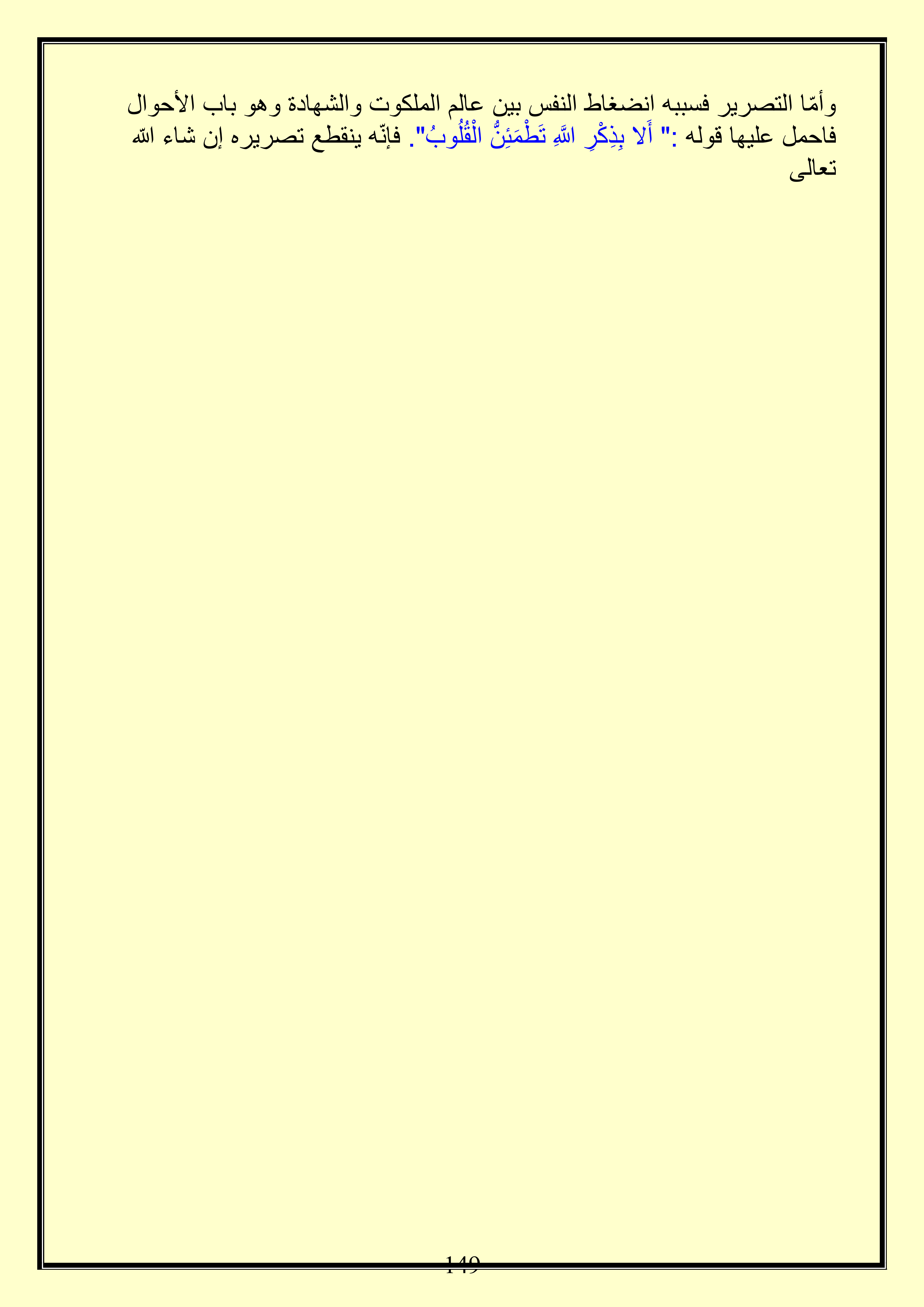
ومن ذلك حجر الياقوت الأزرق آيته من كتاب الله تعالى :"لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ".
هو الّذي يعطى الربّانيّة للإنسان مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق ،
حجر الياقوت الأصفر آيته من كتاب الله تعالى :" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ" مخصوص بأصحاب المقامات وخاصّيّته العبوديّة والذلّة والافتقار مقام مشترك من حصل له جهل حاله ،
الحجر المكرّم آيته من كتاب الله تعالى :" وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ"ٍيدور به فلك الحياة يوجد في كلّ موجود وفي كلّ شيء خاصّيّته قلب الأعيان إذا دبّر وأحكم وألقيت منه أدنى شيء على ما شئت قلب عينه لما تعطيه حقيقة ذلك الشيء ،
كالإكسير عند أهل الكيمياء تأخذه فتحمله على القزدير والحديد فيقلّبهما فضّة وعلى النّحاس والرّصاص فيقلّبهما ذهبا وهو واحد فاختلف القبول لاختلاف الطبائع .

كذلك هذه الحقيقة تلقيها على العاصي فيصير طائعا وعلى الكافر فيصير مؤمنا وهذا هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الّذي جعله الله من ضنائنه وأودعه في أرفع خزائنه من وصل إليه لا يرى أثره عليه فإنّ الحاصل به ضنين

ولنا أبيات في معناه منها ، شعر:
مدّعى الصّنعة من غير سبب * عثرت في زور ودعوى وكذب
فاستمع قول محبّ ناصح * صادق اللّهجة محفوظ الطّلب
نزّل النيّر من أفلاكه * واسع في تحصيل تركيب النسب
وخذ الآبق من معدنه * وأمط عنه الفرار المكتسب
فإذا ما رضته واحتملت * ذاته التركيب فيها ورسب
صعّد الفاضل وانظر حاله * بامتزاج النيّرات في لهب
فإذا أفناه يبقى سبب * يقلب الآنك في العين ذهب

إزالة الظلّ وقطع التصرير : قال الله تعالى:" ثمّ قبضناه إلينا قبضا يسيرا"
وإنّما يبقى الظلّ لعلّة في الصنعة فما دام الظلّ كان في الأمر تدليس وحرم التصرّف فيه وإزالته .
إن لم يكن عندك سرّ الحجر المكرّم ولا نتيجة الحقائق الأربع فلا بدّ من طلب إمام فإن لم تجد فأخل بيتا من جميع الأشياء واتّخذه خلوة ،

فليكن ذكرك الله الله لا غير ولتتفرّغ من همّ المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك واجعل مستندك هذه الآية :" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" .
فإنّه لا بدّ من زوال الظلّ أقربه في سبعة أيّام وأبعده في أربعين يوما .



وأمّا التصرير فسببه انضغاط النفس بين عالم الملكوت والشهادة وهو باب الأحوال فاحمل عليها قوله :" أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ". فإنّه ينقطع تصريره إن شاء الله تعالى

الباب الثامن عشر في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب
[وهو الباب الأوّل من الباب السابع عشر]

نقدّم مثالا للتقريب فيما نذكره وذلك أنّ الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنّه ينبعث من ذلك الجسم نور يضيء به موضع لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع كضوء القمر الّذي هو انعكاس ضوء الشمس فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه في الموضع الّذي يضرب فيه النور المنعكس وينظر في الجسم الصقيل
فإنّه يكشف الشمس ويجيء من هذا الترتيب شكل مثلّث الركن الواحد الشمس والركن الثاني الجسم الصقيل والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس

واعلم بعد أن ضربت لك المثال أنّ النفس الحيوانيّة يفيض عنها نور من جانب التجويف الّذي فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثمّ ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتّى يتّصل إلى الدماغ فيتّصل بالعقل اتّصال سريان يكون له تأثير استفاضة على عين البصيرة ،

فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة كالشمس للبصر وهو المخاطب بقولهإِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌفلا معنى للحسّ هاهنا فينعكس الشعاع من عين البصيرة على ساحة القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت وتتّصل الأنوار وتنفتح عند ذلك العين الثانية في القلب وهي عين اليقين وهي ناظرة إلى نور اليقين .

فإنّ لله تعالى نورين : نورا يهدى به ونورا يهدى إليه وله في القلب عينان عين بصيرة وهو علم اليقين والعين الأخرى عين اليقين فعين البصيرة تنظر بالنور الّذي يهدى به وعين اليقين تنظر بالنور الّذي يهدى إليه قال الله تعالى: " يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ "وهو نور اليقين
وقال في النور الآخر : " وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ" فإذا اتّصل النور الّذي يهدى به بالنور الّذي يهدى إليه عاين الإنسان ملكوت السماوات والأرض ولاحظ سرّ القدر كيف تحكّم في الخلائق وهو قوله تعالى : "نُورٌ عَلَى نُورٍ"

الباب التاسع عشر في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت
[وهو الباب الثاني من الباب السابع عشر]

قد قدّمنا أنّ الأنوار ثلاثة نور الحياة ونور العقل ونور اليقين فأمّا نور الحياة الّذي هو انعكاس شعاع النفس الحيوانيّة فعلله ثلث الران والحجاب والقفل فكلّها مذكورة في القرآن الكريم وموادّها من الصفات البشريّة الظاهرة في عالم الشهادة فهذه الأمراض الّتي حصلت للقلب في هذا المقام إنّما ذلك من جهة النفس الأمّارة بالسوء البهيميّة.

وأمّا النور الّذي يحصل للقلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فعلّته النفس الغضبيّة لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يحول بين القلب والعقل فتنقطع المادّة فيظلم القلب وذلك الدخان هو الغطاء والكنّ والغشاوة فإن تكاثف أدّى إلى العمى ولكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وفي ذكر الصدور هنا إشارة تركناها لك.

وأمّا نور اليقين الّذي هو الأمد الأقصى فالعلّة الّتي تحول بينه وبين عين اليقين من القلب عدم الإخلاص والقبض بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمذمومة فلو أعرض لزال الحجاب ووقع الانشراح واتّصلت الأنوار وظهرت الآيات والعجائب وتحقيق هذا الفصل فيمن نظر من قوله تعالى:" اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ " .
إلى قوله :" وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ" هنالك تبدو لك الحجب في مقابلة الأنوار آيات بيّنات لقوم يعقلون .

الباب العشرون في اللوح المحفوظ الّذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات
[وهو الباب الثالث من الباب السابع عشر]

وهذا المقام هو الّذي يجمع الولىّ والنبىّ وهو الّذي يفرق بينهما فجعل الله القلم ترجمان الدواة ومفصّل علومه بالرسوم فهو العالم المحفوظ وهو المثبت والماحي وأمّ الكتاب وهو الكتاب المسطّرة علومه في قوّته مجملة لا يعقل عنه حتّى يفصح .

وأمّا لوح المحو والإثبات فهو لوح الدفّتين الزمرّدتين المودع كائنات العالم إلى يوم [الدين ، وأما لوح] التبديل فهو لوح محصور وعليه اعتكفت ملائكة التسخير وينظره منك في العالم الإيمان .

وفي اللوح تنوّع الأحوال بتنوّع الأزمان بتنوّع الأماكن بتنوّع الأوضاع بتنوّع الأعراض .
فينسخ الآخر الأوّل أبدا وهو المحو والإثبات فإذا رجعوا إلى تماثلهم حشروا في القلم الأعلى فاستعلوا السماوات العلى
فيخرج النبىّ والوارث العالم بالقلم الأعلى ويختلف الإلقاء لأنّ قلم النبىّ له طرفان وقلم الولىّ له طرف واحد ويخرج الولىّ العارف والمؤمن باللوح فتمتاز المراتب " وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "والله أعلم

الباب الحادي والعشرون في أسباب الزّفرات والوجبات والتحرّك عند السماع السماع [وهو الباب الرابع من الباب السابع عشر]

سرّ من أسرار الله تعالى في الوجود العليّة واحد في نفسه والسامعون شخصان شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله وليس ثمّ سامع آخر ومن قال أنّه يسمع بربّه فإنّه نهاية درج سمع العقل لكن للعقل سمعان :

سمع من حيث فطرته

وسمع من حيث الوضع

فالّذي له من حيث الوضع هو الّذي قيل عنه يسمع بربّه وقوفا عند قوله عم عن ربّه كنت سمعه الّذي يسمع به فالّذي يسمع بعقله يسمع في كلّ شيء ومن كلّ شيء وعلى كلّ شيء لا يتقيّد وعلامته في ذلك البهت وخمود البشريّة .

والّذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلّا في النّغمات والأصوات العذبة الشهيّة وعلامته أن يتحرّك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس ومهما أحسّ المتحرّك في السماع فإنّه مسخرة للشيطان وإن لم يحسّ وفنى عن كلّ شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها وحاله صحيح صحّحه الفناء ولا يأتي بعلم أبدا عقيب هذا الفناء والحركة في السماع .

فإن ادّعى أنّه أتى بعلم فلم يكن فانيا ولم يكن سمع بعقله فإنّه قد تحرّك فلم يبق له إلّا إلّا أن يكون كاذبا فإنّ سماع النفس لا يأتي بعلم البتّة وسماع العقل لا تكون معه حركة فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق .

واعلم أنّه إذا أراد الله تنزّل المعارف على قلب عبد بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القرب على القلب المعقول فتبرد سماء القلب فيأخذ سفلا فيجد الحرارة الغريزيّة صاعدة إلى الدماغ فيعتمد عليها فتنعكس الحرارة فتأخذ سفلا حتّى تحلّ ساحة القلب فتتولّد من ذلك الحكّ نار فتصعد .

فإن وجدت في سحاب برد اليقين والقرب خللا صعدت فكان ذلك التأوّه الّذي يسمّى الزّفرة وإن لم تجد خللا حلّلت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فذلك هو البكاء الّذي يطرأ على صاحب الحال في حاله .

فإن كانت تلك النار قد أنضجت الكبد يشمّ في ذلك التأوّه رائحة الحرق ويصدّع تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الّذي هي فيه فيسمع له في ذلك الوقت أزيز يسمّى الوجبة والصّيحة والرّجفة وفي ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال.

فمن كان في قلبه جلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهي صلصلة النار الطبيعيّة بالقلب وتتصدّع لها القلوب إذا قويت عليها .

ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أخذته لتلك الصيحة رعدة وفزع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال وقال هذا ما سمعنا أنّه كان في السّلف وقد كانت الموارد ترد على قلب النبىّ صلى الله عليه وسلم وما سمعنا عنه أنّه صاح ولا صعق فلا تلتفت إلى قوله فإنّ قلبه مطبوع .

وقد فرّقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكلّ في بابه صحيح وفي خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف .
فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الّذي ذكرناه ووجدته متراكما ما فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد في الحين وأحرقتهما فمات صاحب الحال من فوره وعند زجّ تلك النار من القلب إلى الدماغ تكون الحركة والشطح من صاحب الحال وأكثر خروجها ملتوية متداخلة فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة وأكثر ما يظهر منهم الدّوران لأنّ شكل الإنسان في الحقيقة مستدير والنار تجرى على شكله .
فإن كان ذلك السحاب رقيقا واسع الخلال فإنّ الحرارة تنفشّ فيه فلا تظهر من صاحبه زفرة ولا تسمع لقلبه وجبة ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال للاتّساع الّذي يجده .

فلا تغالط نفسك أيّها المريد فقد أبنت لك صورة الأمر فإن شئت أن تكون صاحب عقل وإن شئت أن تكون صاحب نفس .
والله تعالى يصلحنا وإيّاك وجميع المسلمين

الباب الثاني والعشرون في الوصيّة للمريد السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب [وهو الباب الخامس من الباب السابع عشر]

اعلم أيّها المريد نجاة نفسك أنّه أوّل ما يجب عليك قبل كلّ شيء طلب أستاذ يبصّرك عيوب نفسك ويخرجك عن طاعة نفسك ولو رحلت في طلبه إلى أقصى الأماكن وأنا أوصيك إن شاء الله ما تفعله في مدّة طلبك الشيخ حتّى تجده .

فإذا وجدتّه فانقد إليه وأصدق في خدمته فالحاضر أبصر من الغائب فكن بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل ولا يخطر لك عليه خاطر اعتراض ولو عاينته قد خالف الشريعة فإنّ الإنسان ليس بمعصوم .

ولا تكتم عنه كلّ ما يقع لك في نفسك من محمود ومذموم في كلّ من كان ولا تقعد في مكانه ولا تلبس ثوبه ولا تجلس بين يديه إلّا وأنت مستوفز جلوس العبد بين يدي سيّده وإذا أمرك بفعل شيء فتثبّت فيه حتّى تعرف ما أمرك به ولا تبادر وأنت غير عارف بما أمرك به . فلا تأتي بشيء ولا تسأله عن سبب ما أمرك به.

وإذا وصفت له حالا من أحوالك في رؤيا أو غيرها فلا تسأله عن شرحها وإذا كلّمته في أمر فلا تطلب منه الجواب عليه ولا تحتمل فيه قول قائل وإذا عرفت له عدوّا فاهجره في الله ولا تجالسه ولا تعاشره .

وإذا رأيت من يحبّه ويثنى عليه فأحبّه واقض حوائجه وإن طلّق شيخك امرأة فلا تتزوّجها وإيّاك أن تدخل بيت خلوة الشيخ ولا تبيت معه في بيته أو حيث يبيت ولتنم قريبا منه بحيث لا تراه وإذا دعاك سمعته ولا تشاوره في أمر تفعله فإنّك تناقض أصلك فإنّ الأصل الّذي ربطت عليه أمرك ألّا تريد إلّا ما أراده شيخك .

فإذا خطر لك شيء فاتركه عن نفسك والتفت لما يرسمه لك وعليه اعتمد فإنّ من الشيوخ من إذا شاورته في أمر قال لك افعله وإن كان لا يريد ذلك فإنّ الحال يعطيهم ذلك وهو يضرّ بك وإن قال لك لا تفعله نفعك وضرّ نفسه وصلاح نفسه عنده أولى فما تسلم من هذه الضرر إلّا بأن لا تشاوره في أمر خطر لك أن تفعله

ولكن اترك ذلك الخاطر ولا تفعله فإنّ وقتك قد عمّره ما كلّفك به شيخك وإنّما تقع الخواطر للمريد السوء البطّال الفارغ . ظاهرا وباطنا .

ولا تعترض عليه في فعل من أفعاله ولا تسأله لم فعلت ذلك وتلمّذ وأخدم كلّ من قدّمه عليك شيخك ولا تقعد مقعدا حيث كنت إلّا وتتيقّن أنّ الشيخ يراك فالزم الأدب ولا

تمش أمامه في طريق إلّا بليل ولا تدم النظر إليه فإنّ ذلك يورث قلّة الحياء ويخرج الاحترام من القلب .

ولا تكثر مجالسته وليكن جلوسك في بيت خلوتك أو خلف باب بيت الشيخ حتّى إذا أرادك وجدك ولا تقض لأحد حاجة ولو كان أباك حتّى تشاور شيخك ولا تدخل عليه متى ما دخلت عليه إلّا قبّلت يده وأطرقت وتحبّب إليه بامتثال أمره ونهيه لك وكن حافظا شحيحا على عرضه .

وإذا قدّمت له طعاما فألقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وقف خلف الباب فإن دعاك فأجبه وإلّا فاتركه حتّى يفرغ وإذا فرغ فأزل المائدة أو السّفرة إذا أمرك فإن بقي من طعامه شيء وأمرك بالأكل فكله ولا تؤثر بنصيبك أحدا وإيّاك أن تحدّث نفسك أنّ الشيخ يأكل وحده .

فتستعظم أكله وإن كان طعاما كثيرا فيفرغ أو تقع فيه من أجل الخبر فيمن أكل وحده واجهد أن لا يراك فيما لا يسرّه منك ولا تتمنّ عليه،
<u>واحذر مكر الشيوخ فإنّهم يمكرون بالطالب في أوقات فحافظ على أنفاسك</u> في الحضور معهم ،
فإن وقعت منك زلّة في حقّ أدب مع الشيخ وعرفت أنّه قد عرف بها وسامحك فيها ولم يعاقبك فاعلم أنّه قد مكر بك وقد علم أنّه لا يجيء منك شيء ولهذا سكت عنك وإذا عاقبك على الخطرة واللحظة وضايق عليك أنفاسك فأبشر بالقبول والفتح والرضى ولا يدللك عليه بسطه بل كلّما انبسط فلتزد في قلبك المهابة والإجلال وتعظيم الاحترام والاحتشام ، شعر :

كلّما ازداد بسطة وخضوعا .... زدتّ فيه مهابة وجلالا

وإن سافر شيخك وتركك في موضعك فلازم الموضع الّذي كان يقعد فيه بالسلام عليه في كلّ يوم في الأوقات الّتي كنت تأتي إليه فيها كأنّه ما غاب وارع من حرمته في غيبته رعايتك في حضوره وإذا رأيته يريد الخروج إلى موضع فلا تقل له في ذلك إلى أين وتدخل عليه رأيا في أفعاله .

وإن شاورك فردّ الأمر إليه فإنّ مشاورته إيّاك ليست من افتقاره إلى رأيك وإنّما شاورك تحبّبا لك وسياسة وإذا رأيته يلازم موضعا فلا تقل له في ذلك ولا تحدّث نفسك أنّ تلك عادة منه وإذا انتقل عن موضع كان يلزمه فلا تذكّره به ولا تتأوّل عليه كلامه فيما يأمرك أو يحدّثك به وقف عند ظاهر ما تسمع وافعله إذا أمرك .

وإن تيقّنت أنّه خطأ فامض لما أمرك ولا تعرّج على تأويل فيه وإن تأوّلت أمره وأصبت فهو خطأ كما أنّك إذا لم تتأوّل وفعلته كما أمرك وكان ذلك الأمر خطأ فقد أصبت فإنّ الهداية في الطريق عندنا في حقّ المريد مع الشيخ والشيخ مع الله ليس هي في إصابة التأويل في الأمر بوجه العلم الصحيح وإنّما الهداية في امتثال الأمر من غير تأويل البتّة وسرّه عندنا بيّن ظاهر في الحضرة الإلهيّة .

ومتى ما تأوّلت على الشيخ ما أمرك به أو تقول له تخيّلت أنّك أردت كذا فاعلم أنّك في إدبار فإنّك على نفسك فما أوتى على أكثر المريدين إلّا من التأويل فإنّ التأويل حظّ النفس والعقل ظاهريّ لا يقينيّ ولا تتأوّل على أمره بل الأمر كلّه على الوجوب فهو يبادر إليه إذا خوطب به .

ولا تصلّ في موضع تستدبر فيه شيخك إن كان حاضرا واجمع بين الأدبين ولا تفش له حديثا إلّا بأمره ولا تقف له على أكل ولا نوم ولا حالة من أحوال العادة فإنّه أنفع لك إلّا إن دعاك إلى ذلك وصورة دعائه لك في ذلك أن لا تتعرّض إليه بمشورة مثل أن تقول له يا سيّدنا تأمرني أن آكل معك أو تأمرني أن أنام معك في بيت واحد أو أنصرف ،
فإنّي أخاف أن يقول لك افعل كل معي أو نم معي وهذا غاية الإبعاد عندنا فإنّه داعيه إلى الإدلال وإسقاط الحرمة والهيبة ومتى ما عدم هذا من المريد فإنّه لا يفلح ولا بدّ منه البتّة ومن قال خلاف هذا فلا يعرف نفسه .

فكذا أيّها المريد فلتكن حالتك مع الشيخ إذا وجدته وأنا الآن أوصيك ما تفعله في المدّة الّتي تطلب فيها الشيخ إن شاء الله فأوّل ذلك التوبة بارضاء الخصوم وردّ المظالم الّتي تستطيع على ردّها والبكاء على ما فات من أوقاتك في المخالفات ومصاحبتك للعلم بأنّك من ذنوبك على يقين ومن قبول توبتك على خطر ولا تقعد إلّا على طهارة كاملة ومتى ما أحدثت توضّأت ومتى ما توضّأت صلّيت ركعتين والمحافظة على الصلوات الخمس والتنقّل في بيتك

<u>فصل في الصلاة :</u>

فإذا توضّأت فاسع في الخروج من الخلاف وتوضّأ أسبغ وضوء يتوضّأه أحد للصلاة وأتمّه وسمّ الله في بدء كلّ حركة من حركاتك واغسل يديك بترك الدنيا منها ومضمض بالذكر والتلاوة واستنشق بشمّ الروائح الإلهيّة
واستنثر بالخضوع وطرح الكبر واغسل وجهك بالحياء وذراعيك إلى مرفقيك بالتوكّل وامسح رأسك بالذلّة والافتقار والاعتراف وامسح أذنيك باستماع القول واتّباع أحسنه واغسل قدميك لإيطاء كثيب المشاهدة ثمّ أثن على الله بما هو أهله وصلّ على رسوله الّذي أوضح لك سنن الهدى صلّى الله عليه وسلّم .

وقف في مصلّاك بين يدي ربّك من غير تحديد ولا تشبيه وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك وتحقّق أنّ ما في الوجود أحدا إلّا هو وأنت فتخلص ضرورة وكبّره بالتعظيم ومشاهدة عبوديّتك وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوّة فإن كانت الثناء على الله فكن أنت المحدث وهو الّذي يتلو كتابه عليك فيعلّمك الثناء عليه فيما يثنى به على نفسه وكذلك في آية الأمر والنهى وغير ذلك لتقف عند حدوده وتعرف ما وجّه عليك سيّدك من الحقوق فتحضرها في قلبك لأدائها والمحافظة عليها .

والحظ ناصيتك بيده في ركوعك ورفعك وسجودك وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوى في هذه الملاحظة حتّى تسلّم فإذا سلّمت فابق على عقدك أنّه ما ثمّ أحد غيرك وربّك سبحانه وسلّم باللفظ على من أمرك فإنّ سلامك على نفسك : فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً الآية .
ومتى دخلت بيتك فحيّه بركعتين وكذلك كلّ موضع تدخله .

فصل الأكل والشرب :

ولا تأكل إلّا من فاقة ولا تشبع ولا تكثر شرب الماء ولا تأكل تصنّعا ولا تعزّزا ولكن كل على قدر حاجتك إلى الطعام ولا بشره إليه لجوعك بل خذ اللّقمة متوسّطة فإذا جعلتها في فيك فاشدد مضغها وسمّ الله عليها فإذا مضغتها فابتلعها ثمّ احمد الله الّذي سوّغكها
وحينئذ تمدّ يدك إلى لقمة غيرها فتسمّى الله أيضا مثل الأولى حتّى تبتلعها ثمّ تحمد الله وحينئذ تمدّ يدك إلى غيرها حتّى تأخذ حاجتك .

وكل ممّا يليك ولو كنت وحدك كيلا تعتاد سوء الأدب واحذر الشهوة ولا تنظر إلى وجه أكيلك ولا إلى يده ولتنظر بقلبك في ذلك إلى تنزيه منيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُفيتبيّن لك نقصك وعجزك فتكون في عبادة في أكلك ولا تلتفت ولا تصغ لمن يقول لك أنّك تأكل قليلا فيؤدّيك ذلك إلى أن تتركه رياء حتّى يقال أنّك تأكل قليلا ،
وإذا حضرت على مائدة طعام فكن آخر من يرفع يده ولا تقم حتّى ترفع المائدة ولا تأكل في بيتك ثمّ تأتي إلى الجماعة فتأكل معها بالتعزّز كأنّك قليل الأكل فإنّ ذلك من شيم «المنافقين وليكن أكلك من وقت إلى وقت

فصل في الكسب والتوكّل :

ولتحترف إن عدمت اليقين ولا تظهر التوكّل وليس عندك منه شيء وتتخيّل أنّ عجزك من قوّة يقينك وحسن توكّلك وإنّما هو من نقص همّتك ودناءة أصلك وقلّة معرفتك فاحترف على حدّ الورع واجهد في ذلك جهدك فإن طالبتك نفسك بالقعود والتوكّل فلا تجاهدها في ذلك واسمح لها دعواها وأرحل بها عن المواطن الّتي تعرف فيها إلى

الأمصار الكبار الّتي لا يعرف فيها الغريب من البلدىّ ولا تقعدها في موضع واحد من ذلك البلد بل خالف بها المواضع ولا تعاشر أحدا ولا تتعرّف إليه .

فإذا رأيت إنسانا وتوسّمت فيه أنّه قد جاءك بشيء أو سمعت حركته ولم تره فقالت لك النفس هذا فتح من الله فدخل عليك ذلك بذلك الفتح فلا تقبله وردّه عليه فإنّه أتاك باستشراف ولتعلّقها بالرزق حتّى كوشفت عليه فأين الله منها في ذلك الوقت فلا تقبله ولو كنت على الهلاك .

فإذا أتاك الشيء من غير استشراف وحصل بين يديك فانظر على الفور ما تجد في نفسك في أوّل خاطر عند رؤية ذلك الفتوح فإن وجدت في نفسك انقباضا منه فردّه عليه ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ،

وإن لم تجد انقباضا ووجدت شرحا فإن صاحبه شره فردّه ولا تقبله وإن لم يصحبه شره فحينئذ فخذ منه قدر ما تحتاج إليه في ذلك الوقت وردّ عليه ما بقي ولا تقعد في ذلك الموضع وأرحل عنه إن كان المصر كبيرا جدّا إلى موضع آخر
ولا ترد المواضع جرت العادة بإتيان الفتوح إليها كالرّبط والمساجد وما أشبه ذلك وهذا كلّه حتّى يتقوّى يقينك
وإن لم تفعل هذا وإلّا فقد خنت نفسك ولا تسمع من صوفيّ نطق من مقامه فقال لا أرى غير ربّى ما قالها حتّى قاسى ما ذكرته لك وحينئذ وأمّا أن يفعل ذلك ابتداء فشغل البطّالين .

فصل في الصحبة :

والصحبة أشرّ شيء على المريد فإنّ الطريق مبنىّ على قطع المألوفات وترك المستحسنات ولما كانت الصحبة تؤدّى إلى الألفة والأنس وتغيير المحلّ بوجود الألم عند وقوع المفارقة لهذا كرهناها ولهذا تقول المشيخة من وجد الأنس في الخلوة والوحشة في الملإ فأنسه بالخلوة لا بالله وإنّما التبس عليه ،

فالأولى بالمريد الاعتزال عن الصحبة جملة ولتكن همّته في طلب الشيخ فإن وجد الشيخ فلا يلحظ غيره ولا يصاحب إخوته من تلامذة الشيخ ولا يجالسهم إلّا إن أمره الشيخ بذلك .

فينبغي للمريد أن يكون مع الخلق مع جنسه وغيره كالوحش يفرّ يطلب بذلك الأنس بالله ويكثر الذكر ويستهتر فيه ولا يبايت أحدا ولا يجالسه فإن اضطرّ إلى الصحبة

فليرقب نفسه مع صاحبه فإن وجد عند مغيبه وحشة إليه فليتخلّ عن صحبته فإن تبعه ذلك وطالبه فليفرّ من البلد .

وكذلك في ثوبه ومسكنه إذا أحسّ من نفسه أنّه أحبّ ثوبه باعه واشترى غيره وإن استغنى عنه أعطاه لغيره وإن أحبّ مكانه تحوّل عنه ولا يبقى مع شيء يأخذ من قلبه نصيبا حتّى يكون فردانيّا في الوجود فإنّ الحقّ سبحانه لا يتجلّى ، لقلب له أنس بغيره لا من الطائعين ولا من غيرهم .

ولولا أنّ الشيخ له طبيب ووجود العلّة الّتي فيها هلاك المريد عنده لم يجز له أن يجلس معه ولكن يجلس معه لا على وجه الأنس به ولكن على وجه تعليم الأدب فإنّ الطالب إذا تعلّق أنسه بالشيخ طال عليه الطريق وصعب على الشيخ طبّه وتعذّر عليه واستبطأ البرء من علّته وذلك لأنسه به .

وغرض الشيخ من التلميذ أن يجده في كلّ وقت معمور القلب بالذكر حتّى إذا ألقى عليه ما يؤدّيه إلى مجالسة أحد في فعله زمانا واحدا يراه يتألّم فيعرف الشيخ أنّ المريد قد فتح عليه واعتنى به .

ولتكن معاشرته بالإيثار والفتوّة وسخاوة النفس وترك طلب الحقوق منهم ويرى الفضل لهم ولا يرى لنفسه حقّا عندهم فكيف فضلا عليهم ولهذه العلّة أمرنا المريد بترك الصحبة فإنّ للصحبة حقوقا يجب عليه أداؤها تشغله عن أداء حقوق الله تعالى في قلبه وهو ضعيف فالعزلة والفرار أولى .

فإنّ الصحبة من شيم المتمكّنين الأكابر وكن معهم على نفسك إن ذمّوك فأنت للذمّ أهل وإن حمدوك فأوصافهم تكلّمت عنهم وستر الله عليهم أمرك ولو كشفه لهم رأوه عورة فلا تفرح بحمدهم وثنائهم عليك .

فصل السعي إلى المساجد :

وينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنّها مفرّقة ولهذا منعناه من السفر لئلّا يشوّش حاله إلّا في طلب شيخ يرشده فإذا خرج إلى المساجد أو إلى ضرورة فلا يلتفت يمينا ولا شمالا وليجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى ويكون مشتغلا بالذكر في مشيه ويردّ السلام على من سلّم عليه ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك وليحذر من هذا فإنّه صعب عندنا .

ويزيل من طريقه كلّ ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة ولا يجد رقعة في الأرض إلّا يرفعها في كوّة ولا يتركها تدرس بالأرجل ويرشد الضالّ ويعين الضعيف ويحمل عن المثقّل هذا كلّه واجب عليه .

وإذا سلّم فليسلّم على كلّ عبد صالح لله في الأرض والسماء من ذلك كالمقام يردّ عليه.

وإيّاك والسعي في مشيك ولكن بالتأنّى من غير عجب فإنّه أوفر لهمّك وإذا كنت حاملا شيئا فأردتّ الراحة فتعدل عن طريق الناس ولا تضيّق عليهم طريقهم .

وإيّاك وحضور مجالس السماع فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر ولا تسمع واشتغل بالذكر فإنّ سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سيّما والقوّال قلّما ينشد إلّا في باب المحبّة والشوق ،
والنفس تهتزّ عند ذلك وتورث الدعوى عندك فإن أنشد القوّال في الموت وما يردّك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنّم أو ذهاب العمر أو الموت وكرباته أو الحساب والقصاص أو مواقف القيمة فأصغ إليه وفكّر فيما جاء به فإن غلب عليك حال يفنيك عن إحساسك فقمت فليس قيامك لك وإنّما أقامك وأردك .

فمتى ما رجعت إلى إحساسك فاقعد من حينك وارجع إلى هيئة اعتدالك فإنّ الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتتنوّع بحسب القصد فإن تحرّكت وأنت تحسّ بحركتك فحركتك إلى أسفل كمن ينزل من علو إلى سفل حتّى تستقرّ في سجّين نسأل الله العافية .

وإن تحرّكت وأنت فإن عن نفسك وإحساسك فإن فنيت في الله تعالى باستيلاء عظمته في قلبك أو في الجنان أو في النار فحركتك علويّة حتّى تستقرّ في علّيّين .

وإن فنيت في معشوق لك من امرأة أو حدث فحركتك في جهنّم في سجّين مع كونك فانيا وحالك حال صحيح ولكن في الفساد ويتوهّم الناس أنّك في حقّ الله فنيت فإيّاك وحضور مجالس السماع .

وإن اضطررت إلى الصحبة ولا بدّ فصاحب العبّاد والمجتهدين من أهل المعاملة حتّى تجد الشيخ فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنّهم يطرقونها وقنن الجبال وبطون الأودية وإذا عزمت أن تكون منهم فإيّاك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلّا وأنت في المسجد والمفرّط من المريدين من يصل والصلاة تقام .

فإن جئت المسجد والصلاة تقام فقد فرّطت غاية التفريط ولست منهم وأمّا أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام فلا تتكلّم على هذا فإنّ هذا من حكم العامّة المطعون في إيمانهم فتب إلى الله واستأنف وإيّاك وملازمة مسجد واحد ولا صفّ واحد ولا موضع واحد في المسجد .

فصل في الخواطر :

واعلم أنّك إن عاشرت الفقراء وخدمتهم فلا تردّ خاطرا يخطر لك في مصالحهم من خدمتهم فإنّ خواطرهم رسل إليك فافعل كلّ ما يخطر لك من غسل ثياب أو طبخ طعام أو شيء من هذه المنافع فإنّ الفقراء الصادقين تخطر لهم الخواطر ومجاهدتهم تمنعهم من التحدّث بها [حتّى لا يسعى لنفسه في شهوته]
والله سبحانه يريد أن يجمع لهم بين الأمرين معا بصدقهم فيلقى في نفسك فعل ما خطر لهم فقم عند ذلك وافعله وأت به إليهم فتحصل لهم درجة المجاهدة ونيل المطلوب وتتعلّم أنت تصديق الخواطر سوى ما لك من الأجر في ذلك .

ولا تحتقر بشيء من الخير فإنّ هذا الطريق طريق الأرباح ولا يهلك على الله إلّا هالك وأربعة من أحكمها فقد فاز بجميع الخيرات كلّها خدامة الفقراء وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأن تكون معهم على نفسك وقلّما يسلم مريد في ابتداء حاله من الخواطر الرديئة في كلّ جانب من جانب الحقّ ومن جانب الخلق .

فآكد ما على المريد السعي في أن يسلم الناس من سوء ظنّه بهم وإن كنت صادقا صحيح الخاطر والكشف بالعادة والتجربة لذلك فيخطر لك خاطر سوء في واحد وهو كما خطر لك فاعلم أنه من إلقاء الشيطان .
وتب الى الله تعالى منه واستغفر الله وسله ان لا يعمر باطنك بالإشتغال بخلقه وكيف وقد شغلت بمساوئه .
وانما الشيطان يحب ان يستدرجك ويصدقك ليكذبك ويكرمك ليهينك فتحفظ.
و انما ينقطع هذا بالذكر وينقطع ما كان من جانب الحق عنك بالعلم .

تم الكتاب

فهرس الموضوعات

الباب الثالث عشر : في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم . ص 73

الباب الرابع عشر : في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء . ص 75

الباب الخامس عشر : في ذكر السر الذي يغلب أعداء هذه المدينة . ص 77

الباب السادس عشر: في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة . ص 79

الباب السابع عشر : في خواص الأسرار المودعة في الإنسان . ص 85